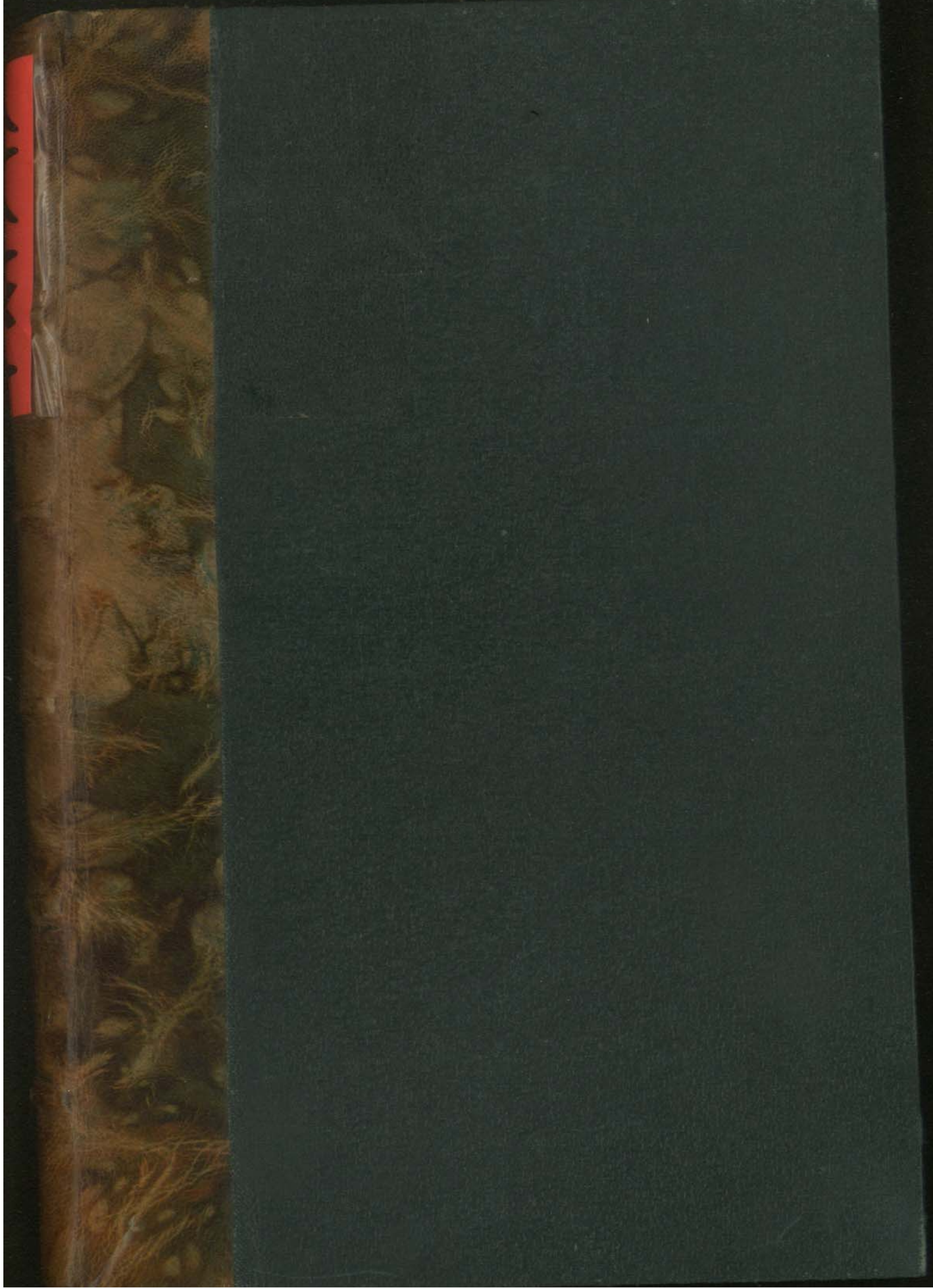
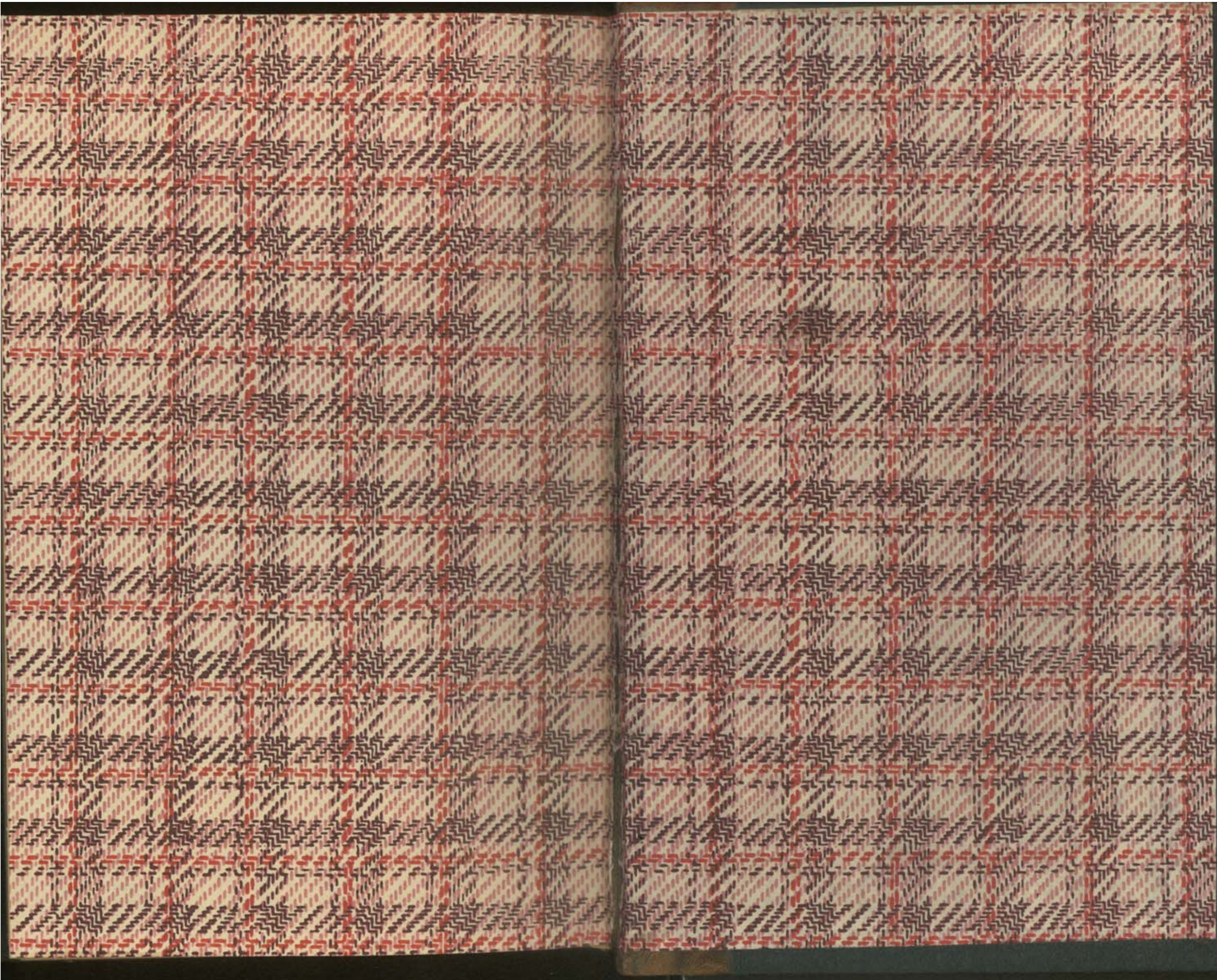
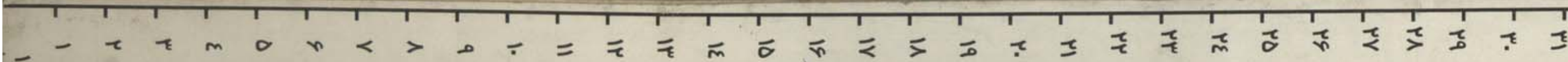
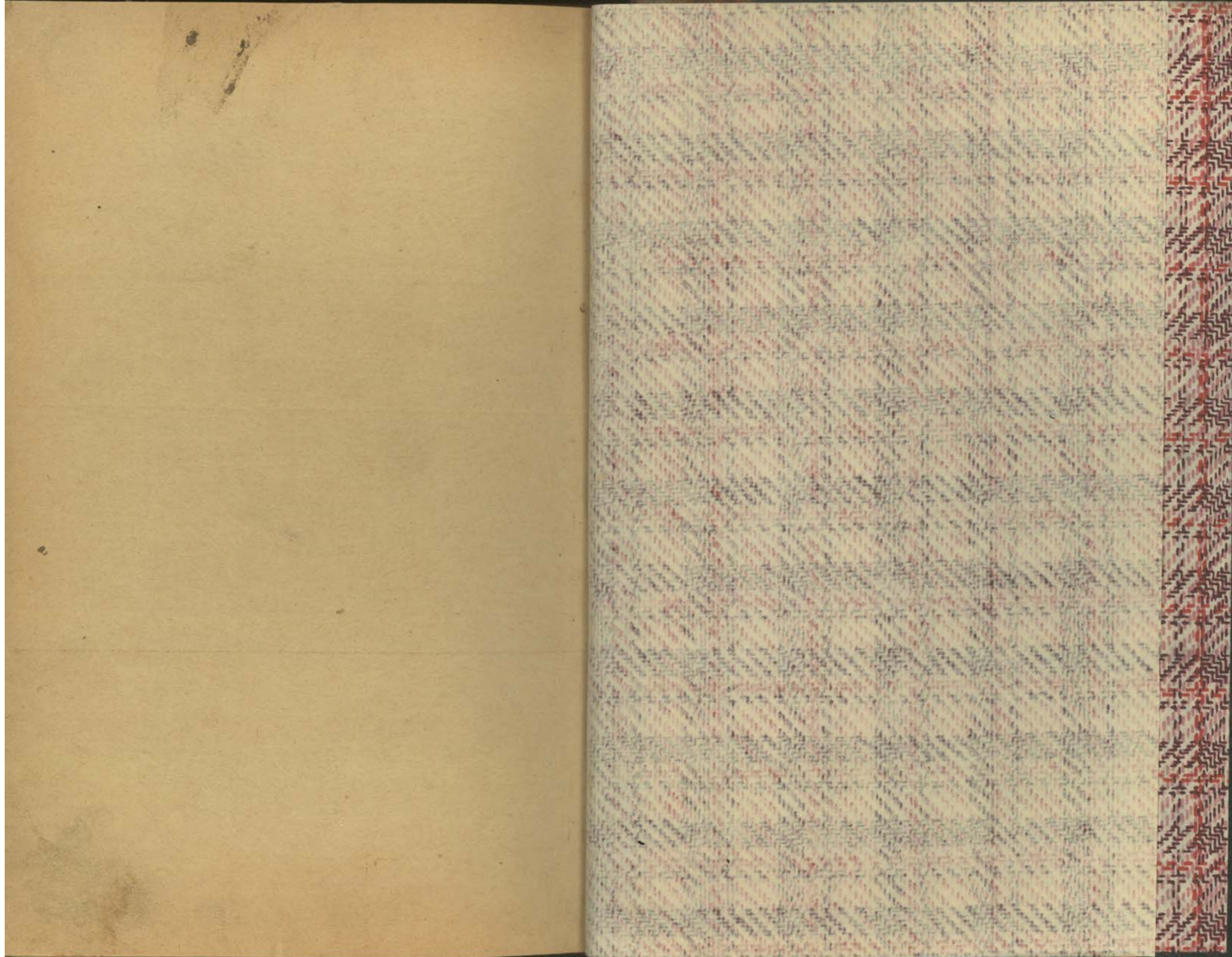








عمرانی

(الجزء الثانی)

من مطالع البدور فی منازل السرور
تألیف الشیخ الادیب والفاضل
الاریب علاء الدین علی
ابن عبد الله البهائی
الغزولی عفا
الله عنه
آمین



(الطبعة الاولی)

(طبع بمطبعة ادارة الوطن سنة ١٣٠٠)



(الباب السادس والعشرون فى الحمام وماغزى مغزاه)

الحمام بالتشديد واحدالحمامات المبنية وهومذكر *قال ابن الخباز فى شرح الالفية نادرة عن بعض الكتاب كتب يوماهذه الحمام فقيل له الحمام مذكر فقال أردت حمام النساء وهذاظريف *وحكى فيه التأنيث أيضا وأنشد *واذادخلت سمعت فيهارنة* وقال ابن عمر رضى الله عنهما الحمام من النعيم الذى أحدثوه *وروى عن أبى الدرداء وأبى ذرأنهما قالا نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر بالنار *وقال أبوهريرة يرفعه نعم البيت الحمام يدخله المسلم يسأل الله الجنة ويستعيذبه من النار *وأول من دخل الحمام ووصفت له النورة سليمان بن داود عليهما السلام *فلما وجدحرها قال أواه من عذاب النار * قال الغزالى فى الاحياء ومن جهة الطب قيل ان الحناء بعد النورة أمان من الجذام

وقيل

وقيل ان النورة فى كل شهر تطفئ الحرارة وتنقى اللون وتزيد فى الجماع *وقيل بولة فى الحمام قائما أنفع من شربة دواء وغسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس *وذكر السمعانى فى كتاب الحمام باسناده الى الفضل بن الفضل الكندى قال ذكر فى قوله تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين انها الحمام ووقت الضحى* وبسنده الى يونس بن عبد الاجل أنبأنا وهب قال سمعت مالكا يقول من أدخل رجلا الحمام وجب غذاؤه شاء أوابى وروى عن مجاهد عن على أنه كان يغتسل من مس الابط والحجامة *وعن جابر مرفوعا نهى أن يغسل البدن بشئ يؤكل وبسنده قال الحرث بن كلدة أربعة أشياء تهزم البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء وأكل القديد ومجامعة العجوز *وبسنده الى محمد بن عبد الحكيم قال سمعت الشافعى يقول رايت فى الطب عجبا لمن يدخل الحمام قبل ان يأكل ثم يؤخر الاكل بعد مايخرج كيف يموت وعجبت لمن احتجم ثم بادر الاكل كيف لايموت وذكر بعض الحكماء ان غسل الوجه بالماء البارد عقيب الخروج من الحمام يبقى طراوته مع كبر السن * قال الشيخ هبة الله أبو المكارم بن جميع الاسرائيلى الطبيب فى كتاب الارشاد (الفصل) الخمسون فى الاستحمام ومنافع الحمام ومضاره وكيفية استعماله منافع الحمام كثيرة وذلك لموافقتها لسائر الامزجة من الحارة والباردة والرطبة واليابسة اذا استعملت على ماينبغى وقد أشار جالينوس الى ذلك بقوله ان الحمام نافع فى الشتاء والصيف ولمن مزاجه حار أو بارد أو رطب أو يابس وقال أيضا ان الحمام علاج البدن من الضدين ان أخذه حار المزاج عدله بترطيبه وان اخذه بارد المزاج أدفأه بحرارته وهى توسع المسام وتستفرغ الفضول وتحلل الرياح وتدر البول وتحبس الطبيعة وتنظف الوسخ والعرق وتذهب الحكة والجرب والاعياء وتلين بشرة البدن وتجود الهضم وتنشط الاعضاء المتشنجة وينضج الزلات والزكام وينفع من حميات يوم ومن الدق والربع والبلغمية بعد نضجها وينفع من وجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة اللزجة بحرارته ويرطب الابدان اليابسة الخشنة برطوبته وقد قال جالينوس ان الحمام يحلل الكيموس اللذاع ويفيد البدن والاعضاء الاصلية نداوة ورطوبة

صافية كل ذلك اذا استعمل على القانون الطبى واما أيضا مضار وهى أنها تسهل انصباب الفضول الى الاعضاء الضعيفة وترخى الجسد وتضعف الحرارة الغريزية والاعضاء العصبية وتسقط الشهوة وتضعف الباءة قال وأفضل الحمام ما كان قديم البناء كثير الاضواء مرتفع السقوف واسع البيوت عذب الماء طيب الرائحة وكانت حرارته بقدر مزاج الداخل اليه وكان وقوده بما ليس له كيفية رديئة وقد أحسن الذى قال خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه وقدر الاتان وقوده بحسب مزاج من أراد وروده وقد قسم الحمام الى ثلاث بيوت كل بيت أسخن من الذى قبله لئلا يكون الانتقال من البرد الى الحر أو من الحر الى البرد فجأة فالبيت الاول مبرد مرطب والثانى مسخن مرطب والثالث مسخن مجفف وكذلك ينبغى أن يكون الانتقال فى بيوتها على تدريج * قال بختيشوع اياك أن تدخل الحمام أو تخرج بغتة بل البث فى كل بيت هنيئة واغسل رأسك بالسدر والطخمه بقليل ملح وادخل الحمام كل جمعة مرة فانك تأمن انتشار الشعر واستعمل المشط فانه يقوى البصر ويحدث أريحة وزهوا واخرج الى المسلخ متدرجا ثم صب عليك ثوبا نظيفا طيب الرائحة وتجنب النساء يوما وليلة * وقال ابن جميع فأما أصحاب الامزجة الحارة فينبغى ان يقعدوا فى البيت الاول قليلا وفى الثانى دون الاول وفى الثالث دون الثانى وأصحاب البلغم والسوداء بالضد فان قصد بالحمام الترطيب أطيل المقام فى الحوض ويكثر من رش الماء على أرض الحمام ليكثر البخار فيترطب الهواء وليتمرخ بالدهن ليزيد فى الترطيب ويكون الخروج من الحمام قبل أن تلحقه منه مشقة مثل ضعف أو غثيان أو غشى أو شذر أو دوار أو سكتة أو صرع أو ما شابهها مثل هذه الاعراض الرديئة فان كان القصد بالحمام التجفيف أطيل المقام فى البيت الحار ويقتصر على هوائه دون مائه ولاستعمال الماء البارد عقيب الحار منافع عظيمة (وقال) جالينوس الاغتسال بالماء البارد عقيب الحار يقوى الاعضاء حتى القوى الجوهرية التى فى الاعضاء لكن ينبغى ان لا يكون استعمال الماء البارد عقيب الحار بغتة بل بتدريج يستعمل الماء أولا ممزوجا بالبارد ثم ينتقل بعده الى البارد ومن قصد تسمين بدنه فيدخل الحمام بعد تناوله الطعام ومن قصد تهزيله يدخل الحمام على خلو

المعدة

المعدة ويطيل اللبث فيه ومن قصد حفظ صحته فيدخل الحمام عند آخر الهضم بحيث أنه اذا خرج منها يكون محتاجا الى الغذاء ويجب أن يجتنب الجماع فى الحمام والنوم والفصد والحجامة فان فى ذلك خطرا بينا وكذلك ينبغى أن يجتنب فى الحمام وبعده استعمال الاشياء الباردة بالفعل لان المسام حينئذ تكون مفتوحة فلا يلبث يندفع البرد الى جوهر الاعضاء الرئيسة فيفسد قواها وكذلك ينبغى اجتناب استعمال الاشياء الحارة الشديدة الحرارة بالفعل أيضا وخصوصا الماء فان ذلك يورث السل والدق وأما الدلك فى الحمام فان الضعيف منه يحلل ويوسع المسام ويذوب الاخلاط والقوى يصلب الاعضاء ويحلل الرطوبات والمعتدل يجلب الدم الى ظاهر الجلد وأما التمريخ بالدهن بغير ذلك فيسد المسام ويمنع ما يتحلل وبعد الماء الحار يحفظ الحرارة من التحلل ويسخن ويرطب وبعد الماء يبرد ويرطب (وقال) مهذب الدين بن هبل فى كتاب المختار خير الحمام ما كان قديم البناء فان الحمام القريب العهد بالبناء تكون حيطانه ندية فتكون أرابيح صهاريجه مضرة * قال بعض الشراح لهذا الفصل الحمام الجديد البناء يتحلل من حيطانه رطوبات ممتزجة بجوهر الكلس والجص والقار ويتبخر بحرارة الحمام فيضر استنشاقها بالروح والنفس لانها كيفيات رديئة خانقة يستصحب النفس ويهجم به على القلب فيغير قوام صحته بسبب رداءة الهواء الواصل به بهذه الكيفيات الرديئة الجوهر فأما اذا عتقت الحمام قبل تحليل الابخرة الرديئة منها ومن حيطانها فيؤمن الضرر الحاصل منها ومن الواجب أيضا أن يكون الفناء متسعا لان أبخرة الحمام رديئة وكثيرة ومحتبسة لانها تتحلل من أبخرة أبدان الناس ومن أنفاسهم ومن مجارى الحمام النافذة الى فضاء الحمام فيكثر ويتراكم ويختلط بهواء الحمام فيزيده رداءة الى رداءته المكتسبة بحرارة الحمام فاذا استنشقه الانسان أضر بحرارته الغريزية وأنهكها بسبب خروجه لها عن الاعتدال فى كمه وكيفيته أما كمه فهو كثرة الابخرة المخالطة له وأما كيفيته فرداآت الابخرة مع سخونة هواء الحمام فاذا كانت الحمام واسعة الفضاء تعلقت الابخرة بأعالى الحمام وتبددت وتفرقت فتلطف الهواء المستنشق فيها فيكون أقل ضررا من الحمام الصغير ويجب أيضا أن تكون الحمام عالية البناء فان ذلك معين على تقليل ضرر أبخرتها المستنشقة قال

وأما عذوبة مائها فلا تحتاج الى تعليل لظهوره لان المياه اذا كانت عذبة طيبة
ليس فيها شئ من الكيفيات الغريبة عدلت غالب الامزجة وصححتها فان
كانت كيفية غريبة مثل أن تكون مالحة أو كبريتية أو نحاسية أو حديدية
أو لها مرور على معادن رديئة الجوهر أو على منابت أشجار خبيثة أو على مطابخ
وآجام مبنية كثيرة الحيوانات الرديئة كأنواع الدود والضفادع والحيات
وما أشبه ذلك أخرجت المزاج عن اعتداله الى حكم هذه الكيفيات الرديئة
قال الشارح ومنافع الحمام كثيرة وأعظمها منفعة هواؤها اذا كانت معتدلة
الهواء والماء فانها تفتح مسام البدن فيسهل بذلك خروج الفضل منه ويكسبه
رطوبة عذبة يصير بها البدن الى نشاط وقوة وتفريح * وقال الرئيس أبو على
الحسين بن سينا رحمه الله فى كتاب سماه حفظ الصحة لم يذكر فيه سوى أحكام
الاسباب الستة الضرورية لا غير وينبغى ان يكون للحمام ثلاث بيوت بيت
معتدل وهو الذى لا يحس فيه بحر ولا برد وبيت يحس فيه بحرارة معتدلة
وبيت يحس فيه بحرارة زائدة عن الثانية بشرط أن يكون النفس فيه مستقيما
غير متواتر فالبيت الاول لا يضر كبير مضرة والثانى والثالث فلا يمكث فيهما
الا بقدر ما يتحلل من الرطوبة ما من شأنه أن يتحلل فان طال المكث بها أكثر
من المقدار المعتدل وخصوصا ان اقترن معه حركات قوية فانه يوقع فى الدق
لاشتداد سخونة القلب أو الاستسقاء لتحلل الحار الغريزى فيبرد مزاج الاحشاء
قال وينبغى أن يجتنب الحمام على الامتلاء من الطعام فانه يولد سددا فى الكبد
والعروق لانجذاب المواد الغذائية غير منهضمة الى ظاهر البدن فيكون ذلك
سببا لحدوث أنواع الحميات العفنية والاسهال الكائن بأدوار ويجتنب فيه
الاشياء الباردة مثل الفقاع والماء البارد لان فيه خطرا عظيما جدا لان الشئ
البارد السيال اذا حصل فى المعدة هجم دفعة على الكبد والقلب فبردهما
وأنهك حرارتهما الغريزية وأضعف الاحشاء وهيأها للاستسقاء ويجتنب
فيه الجماع أيضا فانه يسقط القوة ويوقع فى أمراض خطرة واعلم ان الحمام الحار
جدا يسيل الاخلاط الجامدة الى اعماق الاعضاء فيحدث اما سددا واما أورا ما
ويصعدها الى الدماغ ويحدث اما صداعا شديدا أو برساما والحمام البارد
يحرك المادة التى تحركت بالعرق حركة ناقصة فتنجذب المواد الى جهة سطح
البدن

البدن فربما أحدثت شبيها بالورم والحكة وربما أحدث الزكام والمغص
ورش الماء البارد أو بله بعد الحمام فانه ينعش القوة المسترخية من الكرب
ومن لهيب الحميات وعند الغشى وخصوصا بماء الورد والخل وربما صحح
الشهوة وآثارها ونصر أصحاب النوازل والصداع وأما سكب الماء البارد
على الرجلين فأحكامه أحكام ما تقدم فى الرش على الوجه والحمام النافع على
سبيل الاجمال وهو الحمام المعتدل فى حره وبرده الطيب الرائحة العذب الماء والتى
أضواؤه كثيرة مشرقة وفناؤه واسع وفيه تصاوير بديعة الصنعة بينة الحسن
مثل عاشق ومعشوق ومثل رياض وبساتين وطرد خيل ووحوش فان فى تصوير
مثل هذه تقوية قوية بليغة لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية
وقال الحكيم بدر الدين بن مظفر قاضى بعلبك فى كتاب مفرح النفس قد أجمع
الاطباء والحكماء والالباء قاطبة على أن النظر الى الصور الجميلة البديعة
الجمال يفرح النفس وينشطها ويزيل عنها الافكار والوساوس السوداوية
ويقوى القلب قوة لا مزيد عليها بسبب ازالة الافكار الرديئة عنه ثم قالوا
فان تعذر حصول النظر الى الصور الجميلة فليكن النظر الى صور جميلة متقنة
الصنعة مصورة فى الكتب أو فى الهياكل أو فى القصور الشريفة وهذا المعنى
قد ذكره الحكيم محمد بن زكريا الرازى رحمه الله وبالغ فى ملازمة فعله لمن يجد
فى نفسه أفكارا رديئة ووساوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعى وقال
فان الصور الجميلة اذا جمعت الى صورتها حسن الاصباغ المألوفة من الاصفر
والاحمر والاخضر والابيض مع ضبط نسبة المقادير فى أشكالها فانها تشفى
الاخلاط السوداوية وتزيل الهموم الملازمة لنفس الانسان وتزيل الكدورة
عن الارواح لان النفس تلطف وتشرف بالنظر الى مثل هذه الصور فيتحلل
ما فيها من الكدورة قال وتفكر فى الحكماء المتقدمين الذين استنبطوا الحمام
فى مدد من السنين كيف علموا بدقة فكرهم وصائب عقلهم ان الحمام اذا دخله
الانسان يتحلل من قواه شئ كثير فأفضت حكمتهم أن استخرجوا بعقولهم ما يجبر
ذلك بسرعة فرسموا فى الحمام صورا بديعة الصنعة بأصباغ حسنة مفرحة وقسموا
ذلك الى ثلاثة أقسام ولم يجعلوه قسما واحدا لانهم علموا أن أرواح البدن ثلاثة
أصناف حيوانية ونفسانية وطبيعية فجعلوا كل قسم من التصوير سببا لتقوية

قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها وصوروا للقوة الحيوانية القتال والحرب وطرد الخيل واقتناص الوحوش وصوروا للقوة النفسانية العشق والتفكر فى العاشق والمعشوق وتصوير معاتبة بينهما أو معانقة وما أشبه ذلك وصوروا للقوة الطبيعية البساتين وصور الاشجار البهية المنظر مع كثرة تصوير الازهار والالوان المشوقة فهذه التصاوير وأمثالها هى جزء من أجزاء الحمام الفاضل ولو سألت المصور المصير عن خصوصية أن الحمام لم لا يصور المصورون فيها الا هذه الاقسام الثلاثة لما علم لها تعليلا لكن بذكر هذه الصفات الثلاثة لا تعلل وسبب ذلك تقادم السنين على تعليل مبادى الاشياء فما خلوا شيأ سدا ولا يجعل شئ هدرا (وقال) الحسن المتطبب ورأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون بن الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن محمد الجوينى حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الانهار والاشجار فأدخلنى اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين على بن الفخر عيسى المنشى الاربلى وكان سائس هذه الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر ففرجنى فى ميائه وشبابيكه وأنابيبه المتخذة بعضها من الفضة المطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض ترمى جميعها الى بركة حسنة الاتقان ثم منها يخرج الى البستان ثم فرجنى فى خلوة نحو عشر خلوات كل خلوة صنعتها أحسن من أختها ثم انتهى بى الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بى الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفى صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو أربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانا جالسين أو نائمين ورأيت من العجب فى هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته فى أى حائط شاء منها ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر فأما الاخضر فقيل انه حجارة تأتى من الروم والمذهب فهو زجاج ملبس بالذهب صورا فى غاية الحسن والجمال وهما على هيئات مختلفة فى نومهم وهم بين فاعل ومفعول به اذا نظر اليهم الانسان تحرك شهوته قال الخادم هذا صنعوه هكذا المخدومى حتى اذا نظر الى

ما

ما يفعله هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدى بعضهم على أعجاز بعض تتحرك شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحب قال وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التى رأيت هى مخصوصة بهذا الفعل اذا أراد الملك هرون أن يجتمع بأحد من مماليكه أو خدمه الحسان أو جواريه أو نسائه فى الحمام ما يجتمع به الا فى هذه الخلوة فانه لما يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة فى الحائط ومجسمة بين يديه يرى كل واحد منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت فى صدر الخلوة حوضا رخاما مضلعا وعليه مركب فى صدره أنبوب من ذهب يفتح ويغلق بلولب يدار وفوقه أنبوب آخر مثله برسم الماء الحار وفوقه أنبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاول برسم الماء الفاتر وعن يمين الحوض ويساره عمودان صغيران منحوتان من البلور يوضع عليهما مباخر الند والعود ورأيتها خلوة شديدة الاضاءة مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة وسألت الخادم عن هذه الحيطان المشرقة المضيئة من أى شئ صنعت فقال ما أعلم فما رأيت فى عمرى ولا سمعت بأحسن من هذه الخلوة ولا أحسن من هذه الحمام مع أنى ما أحسن أصفها كما رأيتها فانه لم تتكرر رؤيتى لها ولا اتفق لى الظفر بصناعتها ومباشرتها وفى الذى ذكرت كفاية انتهى كلام الحكيم بدر الدين حسن بن زفر الاربلى ومن خطه نقلت هذه الفوائد وقال بعضهم فيه ملغزا

ومنزل أقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه

تنفس كربى اذ تنفس كربه * ويعظم أنسى اذ يقل أنيسه

اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

وقال العفيف التلمسانى

مررنا بحمام كأنا نحجه * وقد عقدت منا المآزر نحرم

فلما حللنا منه صدرا كأنما * غدت فيه نيران الصبابة تضرم

بكت منه أجفان الانابيب بيننا * كأنا له اللوام وهو المتيم

وقال محاسن الشواء الحلبى

شدوا المآزر فوق كثبان النقا * بأنامل حلوا بها عقد التقى

وتجردوا فرأيت بان معاطف * نشروا ذوائبهم عليه فأورقا

وبدوا فأطلع كل وجه منهم * بدرا فأضحى كل قطر مشرقا

ونضوّع الحمام مسكا عندما * فرطوا من الاصداغ نظاما معبقا

من كل أهيف حل عقدة بنده * وغدا بلحظ عيوننا متمنطقا

وقال جمال الدين يوسف الصوفى فى مليح تركى دخل الحمام وبخ ماء ورد

ولم أنسه لما تعرّى ثيابه * وجاء الى حمامه يتخطر

ولما أفاض الماء فوق قوامه * وفى وجهه نور من الحسن يظهر

رأيت هلالا تحته غصن فضة * يلوح عليه لؤلؤ يتحدّر

أتانا بماورد ذكى فبخه * بشعرله كالمسك بل هو أعطر

فقلت أظبى الترك قد فاح مسكه * أم الورد من خديه يحمى فيقطر

(دخل) بن بقى الحمام وفيه الطليطلى الاعمى فقال له ابن بقى أجز

حمامنا كزمان القيظ محترم * وفيه للبرد برد غير ذى ضرر

فأجازه بقوله

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * فالغصن ينعم بين الشمس والمطر

(وقال) ابن رشيق

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم * طلاب نعيم قد رضيت بيوسى

ولكن لتجرى عبرتى مطمئنة * فأبكى ولا يدرى بذاك جليسى

أخذه صدر الدين بن الوكيل فقال

ولم أدخل الحمام من أجل لذة * فكيف ونار الشوق بين جوانحى

ولكننى لم يكفنى فيض مقلتى * دخلت لابكى من جميع جوارحى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ الورع الزاهد الثقة شمس الدين محمد بن سعيد يار الذهبى مضمنا

لم أبغ بالحمام طيب تنعم * أفنى البكاء دموع عينى أجمعا

فبكيت فيه أسى بجسمى كله * حتى كأن لكل عرق مدمعا

وأنشدنى سيدى ومولاى القاضى صدر الدين بن الآدمى فسح الله فى أجله

ان حمامنا التى نحن فيها * أى ماء بها وأية نار

قد نزلنا بها على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخارى

كتب الشيخ صلاح الدين الصفدى فى حواشى المقامات عند ذكر ابن سكرة وذكر كافاته هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدى قال

دخلت

دخلت يوما الى حمام وخرجت وقد سرق مداسى فعدت الى دارى حافيا وأنا أقول

اليك اذم حمام ابن موسى * وان فاق المنى طيبا وحرّا

تكاثرت اللصوص عليه حتى * ليحفى من يطيف به ويعرى

ولم أفقد به ثوبا ولكن * دخلت محمدا وخرجت بشرا

(نادرة) اتفق ان اثنين سبحا فى نهر فلما خرجا صفع أحدهما صاحبه فقال له بعض الحاضرين اين فلوس الحمام فقال أنزلتها فى القرعه وقال النصير الحمامى

لى منزل معروفه * ينهل جودا كالسحب

أقبل ذا العذر به * وأكرم الجار الجنب

ووعده السراج الوراق وتأخر فقال

وكدرت حمامى بغيبتك التى * تكدّر من لذتها صفو مشربى

فما كان صدر الحوش منشرحا به * ولا كان قلب الماء فيه بطيب

(وقال)

ومذ لزمت الحمام صرت فتى * الطف يدارى من لا يداريه

أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

(وقال) يستدعى

من الرأى عندى أن تواصل خلوة * لها كبد حرا وفيض عيون

تراعى نجوما فيك من نار قلبها * وتبكى بدمع فائض لحزين

غدا قلبها صبا عليك وانت ان * تأخرت أضحى فى حياض منون

(وقال) صدر الدين بن عبد الحق الحنفى رحمه الله تعالى

وجنة لا تنطفى نارها * ندخلها وهى لنا مقصيه

نعيمنا فيها بلا طاعة * عذابنا فيها بلا معصيه

(وقال أيضا)

جهنم حمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما

وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

(وقال) شهاب الدين بن فضل الله

وحمامنا كعبة للوفو * د حج اليها حفاة عراه

يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

(وقال) الشهاب محمود مضمنا

قل لي عن الحمام كيف دخلته * يا مالكي لتسر خلا مشفقا
أدخلته وأولئك الاقوام قد * شدّوا المآزر فوق كثبان النقا

(وقال) محيي الدين بن تميم مضمنا

لو كنت في الحمام والحناء على * أعطافه وبجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

(وقال) مضمنا

عاينت في الحمام أسود وائبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

(وقال) جمال الدين بن نباتة مضمنا

تأملت في الحمام تحت مآزر * روادف غيد ما سناها بغائب
كأني من هذي وهاذيك ناظر * بياض العطايا في سواد المطالب

(وقال) آخر في تعجيل الخروج منها

خذ من الحمام واخرج * قبل ان يأخذ منكا
حدثن عنه والا * حدّث الحمام عنكا

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في المفاضلة بين حمامات مصر وحمامات الشام

أحواض حمامات شأم * تسمعي لي كلمتين
لا تذكري أحواض مصر * فأنت دون القلتين

(وأنشدني) من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي معاكسا للشيخ جمال الدين

اليك حياض حمامات مصر * ولا تتكبري عندي بعين
حياض الشام احلى منك ماء * وأطهر وهي دون القلتين

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

ولم أنسه كالغصن يعطره الحيا * على اثر حمام ويعطفه الصبا
ويلثم بالمنديل أبيض ساذجا * فصار بضوء الخد أحمر مذهبا

(وله)

دعاني صديق لحمامه * فأوقعني في العذاب الاليم
فشر مزيد وماء قليل * فبئس الصديق وبئس الحميم

(وقال) زين الدين بن الوردي

وما أشبه الحمام بالموت لامرء * يذكر لكن أين من يتذكر
يجرد من أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

(وقال) ابن وزير يشبه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جارى
كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

(فقال) ابن الوردي يهجوه

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء
أقام يجهد أياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

(وقال) المعمار أيضا

في صاحب الحمام ايرى قال لي * أيلوم في حبي له وملامي
لا يشتفي ايري عليه طهارة * الا بقلب الماء في الحمام

(قال) ابن وزير مثل قول الآخر

كأننا والماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

(وقال) ابراهيم المعمار في المجون

عاتبت ايري اذ جاء ملتمسا * من عقله بالخرا فما اكترثا
بل قال لي حين نكته قسما * ما جزت حمام قعره عبثا
كيف وفيه طهارتي وبه * أقلب مائي وأرفع الحدثا

(وقال) شيخ الشيوخ بحماه

وقيم كلمت جسمي أنامله * من غير ألسنة تكليم خرصان
ان أمسك اليد مني كاد يخلعها * أو سرح الشعر أبكاني وأبكاني
فليس يمسك امساكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وأنشدني) الجناب المخدومي بن مكانس للشيخ بدر الدين بن الصاحب

وقيم في حسن صنعته * حاز الجمال على لطف من الترف
لو يخدم البدر أنقى البدر من كلف * لكنه لم يزل ما بي من الكلف

(وقال) شهاب الدين بن العطار فى بلان يدعى موسى

هيأ البلان موسى * خلوة تحيي النفوسا
قلت ما أصنع فيها * قال تستعمل موسى

وعلى ذكر موسى ذكرت واقعة لطيفة اتفقت لركن الدين الوهرانى وهى انه لما قدم الى القاهرة المعزية مدح الامير عز الدين موسك بن حكو الهدبانى خال صلاح الدين يوسف بن ايوب فأمر له بشئ لم يرضه فحضر مجلسه يوما وفيه حفل كثير من الناس فقال يا مولانا احتجت الى أن أحلق رأسى هذه الساعة وانه الامر الى بعض الجدارية ان يحضر الساعة ليحلقه لى بحضرتك فكاد الامير ان ياذن له فى ذلك ثم فهم مقصده فقال لبعض مماليكه أعطه مائة دينار وقل له خذ هذه واحلق رأسك فى الحمام فأخذها ومضى شاكرا فقال له بعض الحاضرين يا مولانا ما معنى هذه الحركة فقال انه أراد اذا حلقه يقول يا مهتار موسك ردىء فيشتمنا فى وجوهنا * ولا بأس بايراد نبذة مما قيل فى المشط اذ كان من لوازم الحمام وقال شرف الدين بن الحلاوى وقد طلب منه ثلاث أبيات تكتب على مشط برسم سلطان حلب الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى

حللت من الملك العزيز براحة * غدا لثمها عندى أجل الفرائض
وأصبحت مفتر الثنايا لاننى * حللت بكف بحرها غير غائض
وقبلت سامى خده بعد كفه * فلم أخل فى الحالين من لثم عارض

(وللشيخ) بهاء الدين الموصلى ولد الشيخ عز الدين ملغزا فيه من أبيات

ظننتم تصحيف مقلوبه يخفى وليس الظن بالكاذب

(قلت) وورد على من سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بابن الدماميني رحمه الله كتاب من مكة المعظمة المشرفة بتاريخ تاسع عشر المحرم سنة احدى وثمان مائة وفيه انه اجتمع بمكة بالقاضى شهاب الدين بن حجر رحمه الله ووجد صحبته شخصا يقال له ابن المرجانى وذكر القاضى شهاب الدين ان المشار اليه كان رفيقا له من اليمن الى مكة المشرفة وأنشدنا له

يا اماما سألته حل لغز * شاطط عن مزار أهل الذكاء
اهمل الثلث باعتناء وقلب * تره جاء قائد الشعراء

وذكر لى القاضى بدر الدين فى مشرفته أنه من الالغاز الصعبة فينبغى ان تقع الفكرة

الفكرة فى حله قلت اشتغلت الفكرة فى حله فاذا هو لغز فى مشط فتأمله ولقد أجاد قائله قال السراج الوراق ملغزا

وبيضاء قد عانقتها وضممتها * ولا قبح فى جهرى بهذا واسرارى
على انه لا عار فيها محقق * وما سلمت والله قط من العارى

وقال بعض المتأخرين

الا رب حمام بدا لى حميمه * فظاهره ماء و باطنه نار
كاخوان هذا العصر من تلق منهم * فللود اعلان وللحقد اسرار

(وكتب) القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر يستدعى الى حمام هل لك أطال الله بقاك فى المشاركة فى جمع بين ماء ونار وأنواء وأنوار وزهر وأزهار قد زال فيه الاحتشام فكل عار ولا عار نجم سمائه لا يعتريه أفول وناجم رخامه لا يعتريه ذبول تتنافس العناصر على بلوغ مآربه فارسل البحر ماء جسده من زبده لتقبيل أخمصه اذ قصرت همته عن تقبيل يده ولم ير التراب له فى هذه الخدمة مدخلا فتطفل وجاء وما علم ان التصريح لمن جاء متطفلا وأعلمت النار ضدها الماء فدخل وهو حر الانفاس وغلت من أجله فلاجل ذلك داخله من صوب تشاكله الوسواس ورأى الهواء أنه قصر عن مطاولة هذه النار فأمسك متهيبا ينظر من وراء زجاجة الى تلك الدار ثم ان الاشجار رأت أن لا شائبة لها فى هذه الخطوه ولا مساهمة فى تلك الخلوه فارسلت من الامشاط أكفا أحسنت بما يدعو اليه الفرق ومرت فى سواد العذار الفاحم كما مر البرق وذلك بيد قيم بحقوق الخدمه عارف بما يعامل به أهل النعيم أهل النعمه خفيف اليد مع الامانه موصوف بالمهابة عند أهل تلك المهانه لطف أخلاقا حتى كأنها أعناب بين حنطة والرمان وحسن صنعة فلا يمسك يدا الا بمعروف ولا يسرح تسريحا الا باحسان أبدا يرى مع طهارته وهو ذو صلف ويشاهد مزيلا لكل أذى حتى لو خدم البدر لأزال ما بوجهه من الكلف بيده موسى كأنها صباح تنسخ ظلاما أو نسيم ينفض عن الزهر كماما اذا أخذ صابونه أفهم من يخدمه ما عز على جسده انه بحر عجاج وأنه يبدو منه زبد الاعكان التى هى أحسن من الامواج فهلم الى هذه اللذه ولا تعد الحمام دعوة أهل الحراف فربما كانت هذه بين تلك الدعوات فذه * وكتب فى محضر قيم حمام الصوفية

يقول العبد الفقير الى الله تعالى فلان ان أبا الحجاج يوسف مازال لاهل الصلاح
هيما وله جودة ذهن يستحق بها أن يدعى قيما كم له عند كل جسد من صباح من
جسيم وكم أقبل مستعملوه تعرف فى وجوههم نضرة النعيم كم تجرد مع شيخ صالح
فى خلوه وكم قال ولى الله يا بشراى لانه يوسف حين أدلى فى حوضه دلوه كم
خدم من الصلحاء والعلماء انسانا وكم ادخر ببركتهم لدنيا وأخرى فضل من
كل منهم شفيعين عريانا ومؤتزرا كم حومة خدمة له عند أكابر الناس وكم له يد عند
جسد ومنة على راس كم شكرته أبشار البشر وكم حك رجل رجل صالح فحقق
أن السعادة لتلحظ الحجر قد ميز بخدمة الفضلاء أهله وقبيله وشكر على ما يعاب
به غيره من طول الفتيله تتمتع الاجساد من تنظفه بحمامه بظل ممدود وماء مسكوب
ويكاد كثرة ما يخرجه من المياه أن يكون كزمزم أنبوبا على أنبوب كم رأس أنشدت
موساه

ولو أن لى فى كل منبت شعرة * لسانا يبث الشوق كنت مقصرا

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة الى ابن معبد وكان متولى دمشق يشكو من
حمام سرق فيها شاشه يقبل الارض مستجيرا بهذا البيت الذى لا يذل جاره
مستغيثا بكرمه الذى ملأت الاقطار أخباره فما عبر المملوك فى عمره أحوم من هذه
الحمام ولا انكس فى رأسه العلية مثل هذه الايام فيا للعواطف العربيه ويا
للمراحم النفوس الابيه فوالله لقد خف رأس المملوك من الجهتين عقله
وشاشه ولقد تعوض من تاج عمته العربية مخدة فراشه ولقد أخذت منه هذه
الحمام المتلفه ولقد نشفته بالمناشف فبئس الحمام والمنشفه وهذا وقت اغاثة
الملهوف والرغبة فى اسداء المعروف لا قطع الله عن أرواح المضطرين ترويح
هباته ولا عطل من منته المنتظمة أجياد عفاته بمنه وكرمه * وكتب الشيخ
برهان الدين القيراطى وقد استدعى الى الحمام

قد أجبنا وأنت أيضا فصحت * بتلاقيك سالف وسلاف

وبساق تسبى العقول بساق * وقوام وفق العناق خلاف

يقبل الارض وينهى ان المملوك ما خرج عن الاهتمام لدخول الحمام فانه متشوق
لما لمولانا تشوق اليه وموجه وجه فكرته عليه وكيف يمكن الوقوع فى الخلاف
والميل الى الاخلاف

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليها حفاة عراه

يكرر صوت أنابيبها * كتاب الطهارة باب المياه

فلا عدمت التنبيه من مولانا على هذا المنهاج ولا فقدت آداب ألفاظه
الممدوحة التى ما لها منهاج ولا حومت عند الحمام هذا النصير ولا عاقنى
عند ارادة التخليق بمطالها تقصير ولا زلت أمحو بها آية ليل الشعر واخلع بها
بعد ثياب البدن ثياب الوضر وأتنعم بها حسنا الهامن جامها فى كل ناحية من
وجهها قمر ولا يخفى ان الرأس تروى الآن عن الاشعث بن أبى الشعثاء أخباره
والجسد كأنما كانت على أب وزير المعتصم أطماره فالاولى أن يلقى ويعتاض
منها بما هو أبقى ومولانا أجل ساع فى اسداء المعروف وأفعال برأعيذها
بالاسماء الحسنى مما اشتملت عليه من الحروف لا زال بحر احسانه الطهور سالما
من الخوض وخزائن فضائله الجمة محروسة الجناب بجاه صاحب الحوض

(فصل) فيما ورد فى ذمها قال الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بئس
البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من
كتاب الله ودخل بعض الامراء مع الرقاشى الحمام فقال ذمه فقال يهتك الاسرار
ويؤلف الاقذار ويذهب الوقار * فقال امدحه فقال يذهب القشافه ويعقب
النظافه وينقى التخمه ويطيب النغمه * قيل ويكره الحمام بين العشائين
وقريب من المغرب قال الزمخشرى ويكره أن يعطى الرجل امرأته أجرة الحمام
لانه يكون معينا لها على المكروه وقال أيضا الحزم ترك الحمام اذ لا يخلو من
عورة مكشوفه ولا سيما من تحت السرة الى العانه * ومن آدابه انه اذا دخله رفع
رجله اليسرى عند الدخول وقال بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس
والنجس والخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وذكر السمعانى فى كتاب الحمام
من مجاهد عن على انه كان يغتسل من مس الابط والحجامة وماء الحمام وبسنده
الى فرقد السبخى أنه قال ما دخل نبى حماما قط ولا أكل ثوما ولا بصلا ولا كراثا
(الوصف) قال بعضهم

وحمام سوء وخيم الهواء * قليل المياه كثير الزحام

فما للقيام به من قعود * ولا للقعود به من قيام

حنياته عطفات القسى * وقطراته صائبات السهام

(وقال) شعرا

حمامنا من ضيقها اشتكى * كأنها صدر وقد أنوجوه

فهى لظى نزاعة للشوا * وماؤها كالمهل يشوى الوجوه

(وقال) ابن شرف القيروانى

كأنما حمامكم فقحة النتن والظلمة والضيق

كأننى فى وسطها فيشة * ألوطها والعرق الريق

(وقال) ابن رشيق

وأنت أيضا أعور أصلع * فصادف التشبيه تحقيق

(الباب السابع والعشرون فى النار والطباخ والقدور)

النار مؤنثة من ذوات الواو لان تصغيرها نويرة والجمع نور وانوار ونيران انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وليس فى الارض شجرة الا وتقدح منها النار الا العناب وهى على أنواع عند العرب نار القرى وهى أعظم النيران ونار السلامة توقد للمسافر اذا قدم سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم اذا لم يحبوا الزائر والمسافر أن يرجع أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعده الله وأسحقه ونار الحرب يوقدونها على مكان عال لمن بعد عنهم ونار الصيد يوقدونها للظباء فتغشى أبصارهم ونار الاسد كانوا يوقدونها اذا خافوه لانه اذا رآها حدق اليها وتأملها ولم يستطع الهجوم على ما حولها ونار الحلف لا يعقدون الا عليها يطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج وقالوا هذه غدرة فلان ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التى يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك فترد الماء أولا ونار الحرتين كانت ببلاد عبس تسطع من الحرة بالليل فبعث الله خالد بن سنان وهو أول نبى بعث من ولد اسمعيل وقد قدمت ابنته على النبى صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال بنت نبى ضيعه قومه فحفر لتلك النار بئرا فأدخلها فيها والناس ينظرون ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها وقد بالغ مهيار الديلمى فى وصف نار القرى

ضربوا

ضربوا بمدرجة الطريق خيامهم * يتقارعون على قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

(وقال) أبو طاهر البغدادى

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان

من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

(وقال) صردر

قوم اذا حيى الضيوف جفانهم * ردت عليهم ألسن النيران

(وقال) ابن سنا الملك

انيرانه فى الحى أى تحرق * على الضيف ان أبطا وأى تلهب

وأين هؤلاء القوم الكرام من الذين يقول فيهم الاخطل

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

فتحبس البول شحا أن تجود به * فما تبول لهم الا بمقدار

لا يخفى ما فى هذا البيت الاول من المعائب وقد ولع الادباء بحلها وما فيها من المعانى (وقال) مجير الدين بن تميم

وكأنما النار التى قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها يتضرم

سوداء أحرق قلبها ولسانها * بشفاهة للحاضرين تكلم

وقال آخر

انظر الى النار وهى مضرمة * وجمرها بالرماد مستور

شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريشهن منثور

(وقال آخر)

كانون يطفى برده كانوننا * ما بين سادات كرام حذق

بأراقم حمر البطون ظهورها * سود ينضنض باللسان الازرق

(وقال) ظافر الحداد

تأمل فى الكانون أعجب منظر * اذا سرحت فى فحمه جمرة النار

كميل الزق المروق ساكب * فدب احمرار الخمر فى قال القار

(وقال آخر)

كأن كانوننا سماء * والجمر فى وسطه نجوم

ونحن جن بجانبيه * والشرر الطائر الرجوم

(وقال آخر)

كأنما دخاننا اذ بدا * لعين من ينظره من قريب
ذوائب من غادة سرحت * وقد بدا فيها بياض المشيب

(وقال آخر)

كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أصابعها * من فوق نارنجة تغطيها

(وقال آخر)

كأن نضيد الفحم فوق شراره * اذا النار مست جاده فتلونا
يذكر أيام السحاب التي جرت * بنبته لما تأود أغصنا
فأبدت منها الآبنوس بنفسجا * وأثمر عنابا وأورق سوسنا

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلي

البحتري منذ فارقتموه غدا * يحثو التراب على كانونه الخرب
لوشئتم أنه يضحى أبا لهب * جاءت بغالكم حمالة الحطب

(وقال) ظافر الحداد

كأن سواد الفحم من فوق جمره * وقد جمعا فاستحسن الضد بالضد
غدائر خود فرقتها وقد غدت * على خفر من تحتها حمرة الخد
فلما تناهى صبغه خلت أنه * فصوص عقيق أو جني زهر الورد
الى أن حكى بعد الخمود رماده * غبارا من الكافور في قطع الند

(كتب) النصير الحمامي ملغزا الى السراج الوراق

وما اسم ثلاثي به النفع والضرر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا يختشي الرمح بأسه * ويسخر يوم الحرب بالصارم الذكر
يموت اذا ماقت تسقيه قاصدا * وأعجب من ذا أن ذلك من الشجر
أيا سامع الابيات دونك حلها * والافهم عنها ونبه لها عمر

ومن التغزلات اللطيفة بذكر النار قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل في الليل مثل النجم حيرانا

راودته

راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال اني استعرت اليوم نيرانا

(قال) علاء الدين الوداعي

يا مودعا بوداعه في مهجتي * نارا تؤججها يد التذكار
أبكيت طرفي بعد ادمعه دما * وكذا يكون بكاء أهل النار

(قال) صفي الدين الحلي

لا غرو أن يصلى الفؤاد ببعدكم * نارا تؤججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم يصور شخصكم * فيه وكل مصور في النار

(وأنشدني) الشيخ عز الدين الموصلي لنفسه

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه * لا تحرقيني بنارك

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة مع منقل أهداه ونهى انه تحجم ونقل منقلا لطيف الصنعه جليلا اذا تأمل نفعه اذا هبت الشرر في ليل فحمه ولعبت يد الرياح بأزاهر ضرمه فكأنه معدن ياقوت أحمر أونبت جلنار بزهر يروق البصائر والابصار والا يكن فيه على الحقيقة جلنار ففيه جلنار طالما حمدت معاشرته ولذت في الليالي الشتوية مسامرته وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران وتلا على الريح والثلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران والرأى أعلا في قبول اهدائه والله يجعل ما في قلبه في قلوب أعدائه * قرأت في كتاب روضة الجليس ونزهة الانيس تأليف الفاضل بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلي حكى عن سليمان بن محمد المهدي الصقلي قال كان بسوسة افريقية رجل نبيه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وقد اشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة منفرد بشرب الخمر وحده غلب عليه السكر وذكر معشوقه وأجرى بخاطره ما كان يفعله به من التجني فقام من حينه فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادروا باطفائها وقبضوا عليه واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضي وأعلموه بفعله فقال له القاضي لاى شئ أحرقت باب هذا الغلام فأنشأ يقول

لما تمادى على بعادي * وأضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد

حملت نفسى على وقوفى * ببابه حملة الجواد

فطار من بعض نار قلبى * أقل فى الوصف من رقادى

فأحرق الباب دون علمى * ولم يكن ذاك من مرادى

(قال) فاستظرف القاضى واقعته وشعره ورحمه وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام (وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى وصف حصار بالنار فما كان الا ريثما ابتعث لهم النار عن الموت العابس وعاملتهم من الحجال وقودها بالبابس وجاءت بما ينضج ملابس الجلود وجلود الملابس وعاجلتهم من منفعة الغوث قبل العطب واصلتهم نارا بتت بها أيدى الابراج حمالة الحطب واذا بأبدان البدنات القائمة قد قعدت والابراج لتلاوة الحرب قد سجدت فهنالك هجمها المسلمون هجوم الليث الكرار وقطعت السنة السيوف المجادلة حجج رقاب الكفار (وقال) القاضى الفاضل فى مثله فولجت النار مواج تضيق عنها الفكر ويعجز عنها الابر وخولف المثل فى ان السعادة تلحظ الحجر وأغنى ضوء نهارها سؤال كل امعة ان تسأل هذا وذاك ما الخبر الى أن بدا ضوء الصباح وكأنه منها امتار وانشق الشرق فكأنه من عصفرها صبغ الازار الى أن سرى ذا النقوب الى المقاتل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران قائمة والبلاسار فى أعقابها متجلدة والنار تحت ثيابها (وقال) أيضا وقد أجتته الى أن أحرقته وصرح الشرك وقد خاضته الى ان أغرقته وان الخندق بركة والبرج لها فوارة وان الله أعد للعدو نارا فى الآخرة وأحرقهم فى الدنيا بشراره وان العدو تحصن من البرج بكثيب بنصيح أحرقه الله بالنار (وقال) سيدى تقى الدين بن حجة فى حريق دمشق هذا وكم مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار (وقال) ابن سناء الملك

يافالق الصبح من لألاء غرته * وجاعل الليل من أصداغه سكنا

لا غرو ان أحرقت نارا لهوى كبدى * فالنار حقا على من يعبد الوثنا

(القول) على الطباخ وينبغى أن يكون عند الرئيس والملك طباخ حاذق اذا لم يشته طعاما صنع له ما يشتهيه وقيل كل طعام أعيد الى القدر فهو فاسد

وكل

وكل غناء خرج من تحت السبال فهو بارد (قال بعضهم) كنت جالسا عند بعض ولاة الطوف وقد جاءه الغلمان برجلين فقال لاحدهما من أبوك (فقال)

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا الى باب داره * فمنهم قيام حولها وقعود

فقال ما كان أبو هذا الا كريما ثم قال للآخر من أبوك (فقال)

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قلت للوالى أما الاول فكان أبوه يبيع الباقلى المصلوقه وأما الثانى فكان أبوه حجاما (فقال الوالى)

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

(قلت) وأنشدنى سيدنا ومولانا القاضى شهاب الدين بن حجر رحمه الله للشيخ بدر الدين بن الصاحب فى مليح يطوف بالفول

أنا ابن الذى فى الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للعب يحمل

يدور بأقداح العوافى على الورى * ويصبح بالخير الكثير يقول

(قال) محمد بن العفيف فى مليح طباخ

رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير

مالكى أصبح لكن * شغلوه بالقدور

(وقال) الصفدى

كلفى بطباخ تملك مهجتى * فعذاب قلبى فى هواه سرمد

وكأنما أنا منصب قدامه * نار تشب وزفرة تتصعد

(وقال) المعمار

كلفى بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق

لكن مخافى من جفاه وكم غدت * منه قلوب فى الصدور خوافق

(وقال) أيضا مواليا

هويت طباخ باصبحة أخذميه * حلو المزاج كانو ابن تركيه

ولو أطارف نواعم بيض زبديه * لها معانى على الاخوان مخفيه

(وقال) بعضهم ماعلى الشيخ المسن أضر من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء لانه يكثر من الطعام فيسقم ومن النكاح فيهرم (وقال) ابراهيم المعمار

وطباخ بمنصبه افتخار * وقدر قد علا فى الناس وافى
أياديه على الاخوان مدّت * وكم قلب له بالودّ صافى
وكم آمنوا به من خوف جوع * سيعطى الامن فى يوم المخاف

(دخل) ابن الفضل الشاعر يوما على الوزير بن هبيرة وكان عنده نقيب الاشراف وكان مبجلا وكان ذلك فى يوم شديد الحر من شهر رمضان فقال له الوزير أين كنت فقال فى مطبخ سيدى النقيب فقال له ويحك أيش عملت فى شهر رمضان فى المطبخ فقال كسرت الحر فيه يامولانا فتبسم وخجل النقيب الفرزدق

وقد علم الجيران أن قدورنا * ضوامن للأرزاق والريح رفرف
ترى حولهن المعتقين كأنهم * على صنم فى الجاهلية عكف

(وقال) أمية بن أبى الصلت

وكأنها بفنائه * للضيف مترعة زواجر
وكأنهن بماسجن * وماجين به ضرائر

(وقال الفرزدق) يهجو

لو ان قدرا بكت من طول ماحبست * على الجفون بكت قدر بن عمار
ماسها دسم مذ نض مدمعها * ولا رأت بعد نار القين من نار

(الباب الثامن والعشرون فى الاسماك واللحوم والجزور)

كتب الوزير المرحوم فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس الى الشيخ بدر الدين الشنشكى رحمه الله وقد كانوا بمجلس أنس بشاطئ الروضة فى أيام وفاء النيل السعيد فاتفق ان الشيخ بدر الدين صاد حوتا عظيما بالصنارة بداعبه بلغنى رفع الله قدرك على السماك وأعلى محلك وأسماك وأجرى بسعدك وأمرك فى نهر السماء و بحور الارض الافلاك ولازالت همم نظمك البدريه ونثرك تعلو على النثره وفتكات عزماتك الملوكيه تسموالى صيد نسر السماء من وكره وحوتها من المجره ولا برحت تصرف حروف المحاسن فتخدمك من كل محجر

عين

عين ومن كل حاجب نون ولا فتئت تجمع شمل المعالى الى أن يفترق الفرقدان ويلتقى الضب والنون ويغدو سهيل فى السماء مصادف الثريا ويصبو الحوت للسرطان ان مولانا مع جماله خلافا للمعز أفاق السابح فى لجه وراع كل حوت حتى حوت الارض فى تخومه وحوت السماء فى برجه وجاور ذوات البحر فكان لها بئس الجار يطعمه الذى أقامه عليهم فى الحيلة مقام بحجه وانه شد وسطه للصيد وكان من الحزم وأرسل آلة صيده الى الاسود والاحمر من أم البحار فعادت عود أولى العزم فعند بعد ذلك مولانا للصيد بالمرصاد واطاعته حروف النص فكلما تلا لسان البحر نونا تلا لسان العزم صاد (مفرد)

وهى السعادة فى السماء فلو تشا * لطعنت منها رامحا بالاعزل

فمن ذلك صيد الحوت الذى قدم من أقصى النيل فياله من سفر بعيد وفارق وطنه وورد مع التيار السريع فى البحر المديد فآوى الى الشط طالبا غداءه اذ لقى من سفره هذا نصبا وركن الى البرقليته لو عقل واتخذ سبيله فى البحر سربا ولم يعلم ان سيدنا وضع الحبل وجعله لصيده معنى وصورة سببا فاخترمته يد المنية باعوجاج الصنارة التى نصبها الدواب البحر فخا للقهر والضعيفة التى تعامل أقوياء الاسماك فى أعظم البحور السائلة بالنهر كأن هذا المسكين من صالح الاسماك الذى أفنى الايام سجاطو يلا فساح وأتى يقبل جدارا حل فيه قدم مولانا وبركته فجازاه فجازاه التمساح أو كأنه لجا الى البر هربا من عوارض الامواج وآمن بمجاورته فأخذ من مأمنه وخاب أمله من لاج فسبح بعد بحار الامن من بحار المنون فى لجج وقالت له الحيتان اذا أعماك القضاء عن رشدك حدث عن البحر ولا حرج وكان ظنه ان عومه فى الشط ينجيه فكان حتفه فى ذلك العوم وعلى الجملة فقد آن أجله ولو آوى الى جبل لقيل لا عاصم اليوم فأتت به حوتا يلوح بياضه بين هضاب الموج كالبدر من سجف الغمام وتبدو عليه مهابة تشعر أنه من نسل حوت يونس عليه السلام فأعيذ هذا الحوت بالنون وصائده الكاتب الاديب بالقلم وما يسطرون فلقد ظفر بما لا ظفر به الحواريون فى شباكهم المشبكه ووقع له مالو وقع لابن صياد لتطاول عجبا وانتفخ حتى ملأ الشبكه وحصل به للجماعة من السرور ما يحصل بوفاء النيل وشاهدوا من جزله العظيمة كل خير جزيل ومنحوا من سنه وعظمه بالجوهر النقى

وأنياب الفيل وأرخصوه للقرى بعد أن أمسى فى القدور يغلى وقلوه فطاب مأكلا وان كان مما لا يقلى ونوعوه محلى وحامضا فالمحلى جعلوه نقلا على الكؤس حين تجلى وفازوا على رأى ابن جزم وان لم يكن من أصحاب الرأى بالمحلى والمجلى والحامض فقطعوا عندأ كله بالذوق ان ذلك الحوت مرّ لا محاله وقال آخرون بل هو هالة لتناسب البدور والهاله وجلوا به الموائد وحكموا لصائده بالتقدم على الضفدع الاديب فى مصائد الشوارد وقدموه على ماعندهم من مارى وبائت وأكلوه من ساعته كيلا يندموا على فائت قائلين لا تؤخروه فللتأخير آفات ولا تبيتوه فكما بات فات وبادروا طراوته لعلمهم انه أطيب ما يؤكل من السمك البورى الطرى واستطابوه ضرورة ولا خلاف ان صائد الحوت أكثر تلذذا بأكله من المشترى هذا وأما الاسماك بذلك الشاطئ فقد نادى مناديهم بالرحيل وقال أديبهم للبنية مصحفا يابنية ليس المقام هنا جميل فكم فرخ حول وكراسه من هناك وشال وكم عصبة من السمك صرخت قافا وقطعت الجبال وكم طائفة من رشادها فرّت الى البرور الخالية من العباد وكم طائفة تخلفت ووقعت فى الشباك فقيل ضلت عن سبيل الرشاد وكم طائفة أسرعت الى رؤس الجبال الحركه وكذبت العروضيين فى قولهم لم أر على ظهر جبل سمكه وكم سمكة قالت لفراخها اهجروا ماء كم وما وا كم كما هجرت مأواى واخلوا هذه الديار وان أعشبت وابتغوا صائب الراى ومنهم من عمد الى عمق البحر بنجاه وسارت به سفينة عزمه فى موج كالجبال وكان سبب النجاه وتواصوا لما رأوا طغيان الماء ان لا يأووا الى البرور وتحققوا انه الطوفان لما فار على أخيهم المصاب التنور وكم قائل الحمد لله الذى قطع عنا أثر هذا النون العظيم وأزال عينه وقائلة سبحان من أراح ضعفاء السمك من هذا الجبار وفرق بينهم وبينه فشكرا اذا غدا مولانا شيخ البر والبحر وأضحى فى نسكه ابن السماك وفى صدق حديثه أباذر وأمسى ضرع البلاغة مسخرا له فان جمع لغيره أو أبا درّ أحياه الله بدرا يشرق فى سماء المعالى وتحلى أجياد الفصاحة من بحور نظمه ونثره بالجواهر واللآلى وجل به السماء كما جل به الارض ولا جعله كأدباء أهل هذا الزمان الذين هم كالاسماك يأكل بعضهم بالغيبة لحم بعض بعينه وكرمه والسمك بارد رطب يولد البلغم

وينفع

وينفع المحرورين ويضر بالمشايخ ودفع مضرته بالافواه الحارة والصعتر والملح وصغاره بالخل نافع لاصحاب الامزجة الحارة ومن به يرقان وكبده حار والمالح منه حار يابس يولد السوداء ويضر بالمحرورين

(فصل فى اللحوم) عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال *قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم *وفى حديث آخر سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء *وقال صلى الله عليه وسلم اللحم يطيب النفس ويفرّح القلب ويحسن الوجه ويشدّ العصب وكان محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه عبلا رخص الانامل يكاد الماء يجرى بين جلده ولحمه فقال له أبو حنيفة ماغذاؤك قال ما أزيد على الخبز واللحم شيأ قال هذه الشحمة منهما تنعقد *ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء *وقالت الاطباء أجد اللحمان ماخصى من الضأن وكان فتيا ولا خير فيما أسن ولحم الضأن نافع من المرة السوداء الا أن الممرودين الذين يصرعون اذا أكلوه اشتدّ بهم ذلك ولحم المعز يورث الهم ويفسد ويحرك السوداء ويحدث النسيان ويحيل الاولاد *ولحم الدجاج الهرم أضر اللحمان وأغلظها وقال أبو حاتم قال خالد بن يزيد أطيب الابل لحوما الورق وأطيب البقر لحوما الصفر وأطيب الشياه لحوما الحمر وأطيب الدجاج لحوما السود وأطيب الفراخ لحوما البيض *وقال عبد الله بن جعفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أطيب اللحم لحم الظهر *وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يقل غيظه فليأكل لحم الدراج *ولما حضرت الوفاة للحرث بن كلدة قيل له أوصنا بما ننتفع به بعدك فقال لا تتزوجوا من النساء الا الشباب ولا تأكلوا من اللحم الا الفتى ولا من الفواكه الا ما نضج ولا يتداوين أحدكم بدواء ما احتمل بدنه الدواء واذا تغذيتم فناموا قليلا واذا تعشيتم فامشوا خطوات *وقال بختيشوع للمأمون أوصيك يا أمير المؤمنين أربعة أشياء لا تأكل طعاما بين نديذين ولا تجامع على شبع الى أن يخلو جوفك من الرياح والنجو ولا تأكل من لحم البقر فوالله انى أمرّ به فى الطريق فأغطى عينى وعين برذونى من شدة مضرته (نادرة) قرأت فى كتاب ملح الكنايات ولمح التعريض والاشارات تأليف جمال الدين يوسف ابن مرتفع بن الفقيه فتح الدين مجلد المكتب المعروف بنقانق ووجد

الشريف محاسن عريف سوق الكتبيين في دكانه يتغذى فدعاه للأكل فقال من أي شيء تأكل فقال شيء من لحم جمل صغير رأيته فاشتهيت ان آكل منه فجلس وأكل معه فنظر اليهما الضياء موسى الناسخ فقال يا محاسن احذر أن يراك المحتسب فيؤذيك قال على م قال لانك تحشي النقانق بلحم الجمل فاستحسن ذلك منه وفي الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسى قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه

(فصل) كتب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس سامحه الله تعالى الى فتح الدين صدقة بن سعيد الكاتب بديوان الخاص وكان المذكور أسود ينحرف من ذكر العبيد والسواد يقبل اليد الكريمة السديدة الفتحية لازال فتحها رشيدا وفعلها سديدا وسعدها جديدا وقولها مفيدا ومطلعها صبيحا ومفلح مقاصدها نجيحا واقبال سرورها مستمرا ورواق العز عليها مسبطرا كثر الله عبيدها وألحق مقترها بسعيدها ويصف ولاءه الذي تشهد به ذاته الكريمة بل السواد الاعظم واخلاصه الذي صفا وده الى ان عاد كغرة البدر في الليل الادهم ويبدي ما يجده الى مولانا في نفسه من الميل ويذكر محبته التي لا تتغير ما ولج الليل في النهار والنهار في الليل وينهي أنه يبسط عذر مولانا في تأخير أبقار الاضحية بهذا العيد جعله الله عليك أبرك الاعياد ويتشكر من انعامه بكل كبش ينزل في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد وكيف لا ومولانا انسان عين الزمان والمفدا بسويداء القلوب من طوارق الحدثان فأبقاه الله يجرر في ميادين الكرم الذيل ويستر بجميله سقطات الجهال ستر الليل وعلم المملوك أن المقر الاشرف المالكي قد اقتدى في أضحية المملوك خاصة برأي الامام مالك اذ يرى الاضحية بالغنم أفضل وان القربى بذبحها أكمل وأن الله جعل الابقار لحرث الاراضي ذات الطول والعرض وأنه خصها من أضحية المملوك بكل ذلول تثير الارض فاذا عوتب على ذلك قال نعم أحلينا بأضحيته في هذا العيد وقابلناه عن محبته لنا من الحرمان بما لا عنه مزيد وقطعنا مرتبه من الديوان اذ كان عندنا المخاص ومار بك بظلام للعبيد ثم تأخذه العزة لا نفه المناصب ويتذكر عن المطلوب وذل الطالب فيقول قد منعنا ما سقنا من هدي انعامه اليه وان هو الا عبد أنعمنا عليه فلو كان الامر لمولانا مستبدا

مستبدا به لبدل البقر بكرائم الخيل وأوضح من فخر الانعام الخيط الابيض من الخيط الاسود ومحا من ظلمة المنع آية الليل وساق أيده الله ما شاء من البقر الينا وأنعم علينا غير معتذر ولا متعنت يقول ان البقر تشابه علينا على أن مولانا اذا لاحظ أنعم بكل صفراء فاقع لونها لكن من الذهب العين واذا نأى نعق بفراق البقر غراب البين واذا شاء أتحف من ضياء انعامه بكل درنفيس واذا أتى بقلع من بحر الظلمات في الريح المريس فطالما أمست شآبيب انعامه مسكوبه وحركات فضله محبوبه والسنة الخواص قائلة الحمد لله الذي كف عنا اثوب بأكف النوبه والمملوك ما برح كثير المحبة لمولانا من حين شمله بجزيل الاحسان هاجر مسموع الطير بجملته كرها للقائل منها مادق قفا السودان (وقال) الشيخ زين الدين بن الوردي مضمنا

بتناضيوف الغادة قصدت * ذبح خروف قد طاب واعتدلا
حلت رباط الخروف منشدة * أما ترى الشمس حلت الحملا

(وممن) ولع بذكر الجزارة والجزور الاديب الفاضل أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار فمن ذلك قوله

اني لمن معشر سفك الدما لهم دأب * وسل عنهم ان رمت تصديقي
تضيء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

(وقوله)

حسن التأني مما يعين على * رزق الفتى والخطوب تختلف
والعبد مذ كان في جزارته * يعلم من أين تؤكل الكتف

(أهدى بعضهم) الى صديق له كبشا في يوم أضحية وكتب معه رقعة يصف سمنه فأجاب المهدى اليه وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ولفظ مونق وعبارة مضيئه ومعان غريبه وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر وتنقلت في وجوه الخطاب الجامع للصواب الا أن الفعل قصر عنه القول لا بل ذكرت جملا جعلته بصفتك جملا واتساع في البلاغة يعجز عنها عبد الحميد في كتابته وسحبان في خطابته وكان المعيدي يسمع به لا أن يراه وحضر فرأيت كبشا متقادم الميلاد من نتاج قوم عاد قد أفنته الدهور وتعاقبت عليه العصور

وظننته أحد الزوجين الذى جعلهما نوح فى سفينته ليحفظ بهما جنس الغنم لذريته صغر من الكبر واطف من القدم فبانت زمانته وتقاصرت قامته وعادنا حلا ضئلا باليا هزيلا بادى السقام عارى العظام جامعا للمعائب مشتملا على المثالب يعجب العاقل من حلول الحياة فيه لانه عظم مخلد وصوف ملبد لا يوجد فوق عظامه سلب ولا تقع اليد منه الا على خشب لو مر به الكلب لاستجافه أو اطرح للذئب عند الخوى لعافه قد طال فقده الكلاء وبعد عهده بالامتلاء لم ير العشاء الا نائما ولا الشعير الا حالما وقد تحيرت بين أن اقتنيته فيكون فيه عنا الدهر أو أذبحه فيكون جيفة على وجه التهر فملت الى استبقائه لما تعرفه من محبتى التوقير ورغبتى فى التمييز وحبى للولد وادخارى للعدد فلم أجد فيه مستمتعا للبقاء ولا مرفقا للعنا لانه ليس بانثى فيحمل ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا سليم فيبقى فملت الى الثانى من رأيك وعملت على الاخرى من قولك فقلت أذبحه ليكون وظيفة للعيال واقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدنى وقد أضرمت النار وحدت الشفار وشمر الجزار

أعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فى من شحمه ورما

ثم قال وما الفائدة لك فى ذبحى وانا لم يبق فى الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت لست بذى لحم فأصلح للاكل لان الدهر قد أكل لحمى ولا جلدى يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت أدمى ولا صوفى يصلح للغزل لان الحوادث قد خصت وبرى وان أردتنى للوقود فيكف بعر أفقى من نارى وان تفى حرارة جمرى بريح قتارى ولم يبق الان تطالبنى بدحل أو بينى وبينك دم رجل فوجدته صادقا فى مقالته ناصحا فى مشورته ولم أعلم من أى حالة أعجب أم من مماطلته للدهر من أجل البقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع اعوازمثله أم من تأهيلك الصديق مع ما به خساسة قدره

(الباب التاسع والعشرون فيما تحتاج اليه الاطعمة من البقول فى السفره)

القول على القرع ويسمى الدبا قال بن جزلة فى المنهاج أجوده الرطب الاخضر الحلو

الحلو وهو بارد رطب فى الثانيه وقال روفس انه حار رطب ويتولد منه غذاء شبيه بما يصحبه فان أكل بالخردل ولد خلطا حريفا وان أكل بالملح ولد خلطا مالحا ومسلوقه يغذو غذاء يسيرا وينحدر سريعا وهو جيد للصفراء وبين وعصارته تسكن وجع الآذان مع دهن ورد وينفع من أورام الدماغ وسويقه ينفع من السعال ووجع الصدر من حره وهو اقطع العطش جيد ويلين البطن واذا دفن فى الجمر وشرب مع السكر نفع من الحميات وهو يفسد فى المعدة لمخالطة خلط ردىء ويضر باصحاب السوداء والبلغم انتهى (رافع الاندلسى)

وقرع تبدى للعيون كأنه * خراطيم أفيال لطخن بزنجار

(الباذنجان) قال ابن النفيس فى الموجز قيل بارد وقيل حار يابس فى الثانية وهو أصح يولد السوداء والسدد والسرطان والجرب السوداوى والبواسير والصلابة والجذام ويفسد اللون ويصفر ويبثر الفم انتهى كلامه (الوصف) قال ابن المعتز فيه

وابذنج بستان أنيق رأيته * على طبق تحكيه مقلة رامق

قلوب ظبا أفردت من كبودها * على كل قلب منه مخلب عاشق

(وقال) ابن رشيق القيروانى

واذا صنعت غذاءنا * فاجعله غير منبذج

اياك هامة أسود * عريان أضلع كوسج

(وقال) صاحب كتاب ملح الممالحة وكان شيخنا الاسدى يحبه الباذنجان ويقول فى تفضيله ان الناس يأكلونه ثمانية أشهر من السنة وهم أصحاء ولو أكلوا الرمان ثمانية أشهر فلحوا وقيل لرجل ما تقول فى الباذنجان فقال أنوف الزنج وأذناب المحاجم وبطون العقارب وبزر الزقوم فقيل انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وقال صاحب المنهاج أجوده الحلو الاوساط والعتيق ردىء والحديث اسلم ولا يبين ضرره كثيرا الا انه غذاء مألوف وهو حار يابس فى لثانيه وفيه غلظ والمر منه حار يابس بلا خلاف والحديث أقل حرارة وأردؤه ما أكل مشويا وهو ينفع من عرق الدم لشدة رقته وليس له نسبة الى اطلاق ولا عقل لكنه ان طبخ فى دهن أطلق وان طبخ فى خل أو سماق عقل

وهو يحدث وجع الخواصر والمعدة والعتيق يبثر الفم ويولد السوداء والسدد ويسود البشرة ويولد البواسير وينبغى أن ينقع فى الماء والملح ويسكن فيه ثم يعمل بالدسم الكثير والخل والكراويا (القلقاس) قال بن جزلة فى المنهاج حار رطب فى الاولى وقيل انه معتدل الحرارة رطب فى الثانية يزيد فى الباءة انتهى (وللشيخ) شهاب الدين بن أبى حجلة فى رسالة السجع الجليل فيما جرى من النيل فنذكر الجزيرة الوسطى وقد أخلق ديباج روضها الانف وترك قلقاسها بعده وجزره على شفى جرف

بعينى رأيت الماء فيها وقد جرى * على رأسه من شاهق فتكسرا

(غيره)

طالما تضرع بأصابعه الى ربه * ولطم برؤسه الحيطان مما جرى على قلبه

(وتمثل) بقول الاول

وان سألوك يوم البين عن قلبى وما قاسى
فقل قاسى وقل قاسى * وقلقاسى وقل قاسى

لم يفد تحصينه من ورقه بالدرق والستائر ولاحن عليه حين تضرع باصابعه فصح أن الماء سلطان جائر

يا ويح قلقاس بمصر يقول لى * لما اغتدى فى غيطه غرقانا
النيل مثل دم لفرط زيادة * فلذا برأسى يلطم الحيطانا

(السلجم) وبالشين أيضا قال ابن جزلة وهو اللفت وهو برى وبستانى وهو حار فى الدرجة الثانية رطب فى الدرجة الاولى يغذو كثيرا ويولد منيا يدر البول ولا يسهل ويشهى الطعام اذا سلق دفعتين وطيب بالخل والخردل وماؤه ينفع من الحصر وفيه غلظ ونفخ وان عرض منه ذلك فليتناول بعده أحد الجوارشنات (الجزر) فى المنهاج أجوده الاحمر الشتوى وغذاؤه أقل من السلجم وهو حار فى آخر الدرجة الثانية رطب فى الاولى يحرك الباءة ويسهل ويلطف ويدر البول وهو عسر الهضم منفخ يولد دما رديئا وينبغى أن يكثر انضاجه ويصلح بالمرى والخل والخردل (وقال) بعضهم

انظر الى الجزر الذى * يحكى لنا لهب الحريق
كدبة من سندس * فيها نصاب من عقيق

(الاسفاناخ) قال ابن جزلة أجوده فى المنهاج الممطور وهو رطب بارد فى آخر الدرجة الاولى وقيل معتدل من الحرارة والبرودة فهو ملين ينفع السعال والصدر وفيه قوة التحليل وهو سريع الانحدار عن المعدة يلين الطبع وينفع من أوجاع الظهر الدموية وهو يسئ الهضم ويضر أصحاب الامزجة الباردة (السلق) قال ابن جزلة هو صنفان أسود لشدة خضرته وأقل لونا منه وأجوده العذب الطعم وهو حار يابس فى الدرجة الاولى وقيل هو مركب القوة وقيل رطب فى الاولى فيه (بورقية) ملطفة وتحليل وتفتيح وفى الاسود قبض وينفع من داء الثعلب والكلف والحززة والثآليل اذا طلى بمائه ويقتل القمل وتطلى به القوباء مع العسل ويفتح سدد الكبد والطحال والاسود منه يعقل وخصوصا مع العدس والصنف الآخر المهرا ويحقن بمائه لاخراج الثفل وهو ينفع من القولنج مع المرى والتوابل وهو يغص ويولد النفخ وهو ردىء الكيموس قليل الغذاء يحرق الدم ويصلحه الخل والخردل وأصله ردىء المعدة انتهى وقال ابن زهر فى خواصه عن هرمس ورق السلق وورق العاقرقرحا من كل واحد دانق اذا جعل فى طعام باسم انسان وأطعم عمل فيه روحانية المحبة عملا عجيبا وقال ابن زهر وان رض السلق وعاقرقرحا وذر فى مجرى ماء الحمام برد وسكن حره وقال أيضا وان رض ورقه بدم الحمام ودفن فى اناء رصاص أربعين يوما تولد منه دود أخضر طوال فاذا طبخت بماء السلق وطلى به رأس الاقرع أنبتت فيه الشعر وان شدخت الدودة التى تكون فى السلق ودفنت فى برج حمام أو علقت عليه لم يقرب البرج شئ من الحيوان الضارى انتهى (فصل البصل) فى المنهاج فيه مع الحرافة المقطعة حرارة وقبض وما كان منه أطول فهو أحرف والاحمر أحرف من الابيض وأجوده الابيض الريان وهو حار يابس فى الثالثة وهو ملطف يقطع ويجذب الدم الى خارج البدن ويزيد فى الباءة وينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويلين الطبيعة واذا قطر ماؤه فى الاذن ينفع من الطنين وهو يجلو البصر وينفع من ابتداء الماء والبياض اكتحالا بعصارته ويهيج خروج الشعر واذا دق وعجن بعسل ووضع على الظفر الغليظ والقوابى والبهق قلع ذلك ويطلى به داء الثعلب وينفع من عضة الكلب سقيا بشراب ومن نهش الحيات وهو يصدع للرأس والاكثار منه يشيب ويضر بالعقل ويكثر اللعاب ويفتح أفواه البواسير

ويصلحه الخل واللبن الحامض أومع الهندبا (وقال) نصر بن سيار يوما وحوله بنون له هؤلاء بنو البصل لانه كان يأكل كثيرا منه فيهتاج وقال ابن وكيع يحكى لعينيك احمرار قشره اذ رآه ناظر غلا ئلا حمرا على جسوم بيض رطاب من جسوم الروم (الثوم) كذا ذكره صاحب المنهاج بالثاء المثلثة منه بستانى ومنه برى ومنه كراثى والكراثى مركب القوة من الثوم والكراث وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة وقيل فى الثالثة وهو أقوى حرارة ويبسا من البصل وهو يحل النفخ وينفع من تغيير المياه وطبيخ الجبلى منه اذا شرب قتل القمل ورماده يطلى به البهق مع العسل وكذا الثعلب والجرب والقوابى ويصفى الحلق مطبوخا ويخرج العلق من الحلق واذا حشى فى طبيخ ورقه وساقه أدر الحيض والبول وأخرج المشيمة وأكله يخرج الديدان ويطلق الطبع وهو نافع من لسع الهوام ونهش الحيات وعضة الكلب الكلب سقيا بشراب وينفع السعال من برد ويصفى الحلق وهو مقرح للجلد مصدع مضعف للبصر جالب بثور العين واذا طبخ قلت حرارته وحراقته وتصلحه الحوامض والادهان واللحوم السمان والثوم دواء لمن أصابه وجع السعى فى بطنه واذا شوى ووضع على الضرس المأكول سكنه * وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم بأكل الثوم وقال لولا أن الملك ينزل على لأكلته (وقال) بعض الشعراء فيه

يا حبذا ثومة فى كف ناهية * بديعة الحسن تسبى كل من نظرا

أبصرتها وهى من عجب تقلبها * كصرة من دبيقى حوت دررا

(الكزبرة) ويقال كسبرة منها رطبة ومنها يابسة وقوتها مركبة والغالب فيها أرضية وأجودها البستانى وهى باردة فى آخر الاولى واليابسة منها فى الثانية وأبقراط يقول فيها حرارة وبرودة وعند جالينوس انها تميل الى التسخين وفيها قبض وتخدير وهى تزيل روائح البصل والثوم اذا مضغت رطبة أو يابسة وعصارتها مع اللبن تسكن كل ضربان شديد وتنفع من الاورام الحارة مع الخل والاسفيداج ودهن الورد ومع العسل للشرى والنار الفارسى وينفع من الجمرة ومن الدوار عن بخار المرار والبلغم وخاصيته أن يمنع البخار من الرأس وكذلك يجعل فى الطعام ورطبه ينفع الرعاف ودروريابسه والمضمضة بعصارته

رطبة

رطبة تنفع من القلاع وهو ينفع الخفقان عن حرارة ودرهمان منها مع لسان الحمل ينفع نفث الدم وهو يمنع من القىء والجشاء الحامض بعد الطعام والاكثار منه يخلط الذهن ويظلم البصر ويجفف المنى ويكسر الباءة ويصلحه سكنجبين السفرجلى (وأما البقل) فما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال البقل حلية الموائد وفيما رواه مكحول عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أحضروا موائدكم البقل فانها مطردة للشياطين وروى عن على رضى الله عنه أنه قال دخلت مع النبى صلى الله عليه وسلم الى حذيفة بن اليمان فتلقانا بنبات يقال له الباذروج فنظر اليه وقال أهلا بك من بقلة ما أطيب ريحك وأحسن منظرك فانك من رياض الجنة ثم نظر الى الهندباء فقال بالك من بقلة تهضم الطعام وتحيى الفؤاد وتجلو عن الناظر (فائدة) منقولة من خط القاضى أمين الدين بن الانفى المالكى رحمه الله تعالى قال ذكر السويدى صاحب التذكرة ان الامام فخر الدين الرازى ذكر أنه من رأى الهلال أول ليلة وكان موجوع الضرس فقال نذرت لله أن لا آكل الهندباء ولا لحم الفرس سكن وجع ضرسه ذلك الشهر وقال ابن زهر فى خواصه قال يوحنا بن ماسويه ان دق أصل الهندباء وضمد به لسعة العقرب سكن الوجع والبرى منه اذا شرب ماؤه مع الشراب نفع من لدغ الافاعى وقال ابن النفيس فى الموجز يابسه يابس فى الاولى ورطبه رطب فى الاولى يفتح سدد الاحشاء والعروق وفيه قبض صالح يقوى المعدة والكبد أما الحارة فشديد الموافقة لها وأما الباردة فللخاصية وتنفع مع الخيارشنبر لاورام الحلق وتنفع الرمد وبياض العين (الكرفس) حار يابس يفتح السدد ويدر البول وهو نافع للمعدة ويبطئ بالهضم ولذلك يجب ان يقدم قبله طعاما يختلط به وهو يطيب النكهة ويحتاج الى أكله من يداخل السلطان ومن كان خدمته السر وقال ابن النفيس فى الموجز حار فى الاولى يابس فى الثانية يحلل النفخ ويفتح السدد ويسكن الوجع ويطيب النكهة جدا ردىء للصرع تهيجه فى المصروعين وينفع السعال والكبد والطحال والكلى والمثانة وينفع الاستسقاء وعسر البول وتفتت الحصاة وتضر الحبالى الادرارة ويهيج الباءة (النعنع) حار يابس وهو نافع من الفواق قال ابن زهر فى الخواص ان جعل من ورق النعنع الثلاث ومن ورق

الغمام السدس ومن حب القرع النصف وجعل فى طعام واحد باسم آخر
عا فيه روحانية الحبة (الطرخون) فى المنهاج قيل ان عاقرقرحا هو أصل
الطرخون وهو جبلى وبستانى وأجوده البستانى وهو حار يابس فى الثانية
وفيه قوة مخدرة وقيل انه بارد وهو مجفف الرطوبات فاذا مضغ نفع من القلاع
ويمضغ قبل شرب الادوية الكريهة وهو يقوى المعدة ويحدث وجع الحلق
وهو عسر الهضم ويقطع شهوة الباءة ويعطش ويصلحه الكرفس (الفجل)
من كتاب هاضم الطعام وبزره نافع من الفواق اذا أكل بالعسل واذا شدخ على
عقرب ماتت وان شرب ماء ورقه نفع من اليرقان الحادث من الطحال (قلت) ومن
منافعه ما جربته وصح انه اذا مضغ ووضع على العين المحمرة من لطم وكرر ذلك
فانه يزيل الحمرة فى الحال وقال ابن زهر فى خواصه ورق الفجل معصورا يؤخذ
ماؤه وشئ من نشادر فيلطخ به سلة الحاوى فتموت الحيات كلها وورقه يحد
البصر وان سحق بزره مع كندس متساويين وطلى به البهق الاسود فى الحمام
بالماء الحار والخل أذهبه وان أخذ ماؤه وخلط بالخل والطين وطلى على لسعة
الزنبور أبراها (وقال) جالينوس عصارة الفجل اذا اكتحل بها جلت البياض
من العين واذا خلط ماء الفجل بماء الورد وسخن وقطر فى الاذن أذهب عسر
السمع والطنين منها وان دق ورقه وصفى ماؤه وأسعط به صاحب اليرقان رأيت
عجبا (وقال) ارسطاطاليس مما يبيض الشعر مثقال من ورق الملوخيا والفجل
ويعجن بمرارة الثور ويضمد به الشعر بالليل ويغسل بالنهار فانه يصير الاسود
أبيض وان طلى الوجه بماء الفجل أذهب عنه النمش والكلف وان دخن بورقه
فى بيت هربت منه الهوام (قال) النور الاسعردى يهجو

أيا مطعما أصحابه اذ دعاهم * من الفجل فى أوراقه غير ما يمرى
وحقك ما أكرمتهم مذ لقيتهم * بجيش ضراط تحت راياته الخضر

(نادرة) كان أبو نواس يوما عند بعض اخوانه فخرجت عليه جارية بيضاء عليها
ثياب خضر فلما رآها مسح عينيه وقال خيرا رأيته ان شاء الله قالت ما رأيت
قال رأيت كأنى راكب أشهب عليه ثياب خضر قالت له ان صدقت رؤياك
استدخلت فجلة (الرشاد) قال ابن البيطار اذا شرب بالماء الحار حل القولنج
وأخرج الديدان وحب القرع ان سحق نيأ وسف نفع من البرص وان لطخ عليه وعلى
البهق

البهق الابيض بالخل نفع منهما واذا خلط بالعسل ولعق منه نفع من السعال
المتولد عن اخلاط غليظة واذا ضمدت به لسعة العقرب نفعها (زين الدين بن
الوردى)

رب خولى بدا من * حيه وهو ينادى
من يمت فى ورد خدى * أهده سبل الرشاد

(أنشدنى) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه ملغزا

ما اسم له أحرف ثلاث * تصحيفه جمعه بقل
عدتها فى الحساب سبع * وان ترد مثله فكمل
ان تجر ما اليه يكثر * وان ترد نقطة يقل
يدوى اذا الماء قل لكن * يصح جسما اذا يعل

(الباب الثلاثون فى الخوان والمائدة وما فيهما من كلام مقبول)

كنية الخوان أبو جامع لاجتماع الناس حوله قال الحريرى فى درة الغواص
ويقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة والصحيح أن يقال خوان الى أن
يحضر الطعام عليه يسمى حينئذ مائدة يدل على ذلك ان الحواريين حين سألوا
عيسى عليه السلام بأن يستنزل لهم طعاما من السماء قالوا هل يستطيع ربك
أن ينزل مائدة من السماء بينوا معنى اسم المائدة بقولهم نريد أن نأكل منها
وتطمئن قلوبنا (قال الاصمعى) غدوت ذات يوم الى زيارة صديق لى فاستشرت
بعض الاخلاء فقال ان كان لفائدة أو عائدة أو لمائدة والا فلا وقد اختلف
فى تسميتها بذلك فقيل سميت به لانها تميد بما عليها أى تتحرك مأخوذ من قوله
تعالى وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بكم وقيل بل هى من ماد أى اعطى
ومنه قول رؤبة بن العجاج الى أمير المؤمنين الممتاد أى المستعطى وكأنها تميد
من حواليها مما أحضر عليها وقد أجاز بعضهم ان يقال فيها ميدة واستشهد
عليه بقول الراجز

وميدة كثيرة الالوان * تصلح للجيران والاخوان

(وقال الكواشى) فى تفسير سورة المائدة ولما سأل الحواريون المائدة لعيسى
عليه السلام لبس صوفا وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية

فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين من فوقها وتحتها وهم ينظرون وهى تهوى منقضة
حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من
الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة ثم قال ليقم أحسنكم عملا
فليكشف عنها وليذكر اسم الله تعالى فقال له شمعون انت أولى بذلك منا فقام
عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا وكشف المنديل
عنها وقال بسم الله خير الرازقين واذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوس
ولا شوك بها يسيل منها الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثانى عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون أمن
طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شئ مما ترون من طعام
الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شئ افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم
يمددكم الله ويرزقكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من أكل منها
فقال معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها
فدعا لها أهل الفاقة والمرضى وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم
البلاء فأكلوا وصدروا وكانوا ألفا وثلاثمائة ما بين رجل وامرأة من فقير
ومريض وزمن ومبتلى واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة
صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت وما أكل منها مريض الا عوفى ولا فقير
الا استغنى وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فيأكل منها
الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء حتى اذا فاء الفىء
طارت وهم ينظرون فى ظلها وكانت تنزل كناقة صالح فى الحلب فأوحى الله
الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتى ورزقى فى الفقراء دون الاغنياء فعظم
ذلك على الاغنياء حتى شكى الناس فقال أتريدون المائدة حقا تنزل من
السماء فأوحى الله تعالى انى شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا
لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فمسخ
منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا أصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك بكوا
ورغبوا الى عيسى فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف بعيسى
وعيسى يدعوهم بأسمائهم يشيرون برؤسهم ويبكى ويبكون وهم لا يقدرون

على

على الكلام ثم هلكوا أجمعين وما أظرف قول ابن حجاج

يا ذاهبا فى داره جائيا * لغير لا معنى ولا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

(قلت) الشئ بالشئ يذكر أنشدنى الشيخ المحدث الرحلة الفاضل المفنن الرحال
صلاح الدين خليل الاقفهسى نزيل دمشق المحروسه قال أنشدنى الشيخ العارف
المحقق المسلك الحكيم برهان الدين ابراهيم الغزى الشهير بابن زقاعة أعاد الله
من بركاته من لفظه لنفسه

لما مرضت أرسلت * لى صلة وعائده
لعلمها انى فتى * أهوى النساء والمائده
جارية وسكرا * للاكل والمشاهده

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

أميل لاغصان القدود صبابة * وان هى زادتنى جفا وتباعدا
ويعجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدتهن موائدا

(رجع) قال حاتم الطائى لغلامه قدم الينا المائدة تباعد ما بين أنفاسنا (قال)
هدبة بن خالد حضرت أمير المؤمنين فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط
ما فى الارض فنظر الى المأمون وقال أما شبعت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين
انما شبعت فى فنائك وفى كنفك ولكن حدثنى حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أكل من تحت مائدته أمن
من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فما شعرت حتى
جاءنى ومعه منديل فيه ألف دينار فناولنى فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك
وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من أكل ما سقط من الخوان رزق أولادا
كانوا صباحا وينبغى أن يصرف عن المائدة السنور والكلب وذو العيون
الرديئة من الغلمان ومن يعلم منه الشره أو يشبعوا قبل احضارهم الطعام (قال)
النبى صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء
لا دواء له قال التيفاشى فى سرور النفس حدثنى من حدثه بعض التجار الذين
كانوا يردون الى خدام القصر فأضافنى فى حجرة له متصلة بالقصر فلما حضرت
المائدة كان بين أيدينا سنانير كثيرة فعندما شاهدوا المائدة وضعت لم يبق

عندنامنهاواحد ومرت كلهاخارجة من المجلس دون طارد يطردها فعجبت من ذلك كل العجب فلما انقضى الطعام أحببت ان أعرف العلة فى ذلك فسألت الخادم فأخذ بيدى وأدخلنى الى بيت صغير فيه عدة أوانى فيهاطعام والسنانير مجتمعة عليه تأكله فقال عودناها اذا حضر الطعام أن تطرد الى هذا البيت ويعد لها طعام فيه فصارت عادة لها واتفق فى أمر الكلاب وحضوره بالمغرب واقعة عجيبه وذلك انه كان بمدينة من بلاد المغرب حمال يحمل فى السوق فأتى من جملة ذات يوم فاشترى زلابية وهريسة فى صحفة وصعد بها الى سطح السوق يأكلها فتبعه كلب فجلس ازاءه وهو يأكل فجعل كلما شال لقمة الى فيه يشيعها الكلب ببصره حتى يبتلعها الرجل ثم صار يرفع اللقمة ويومى بها الى الكلب على سبيل العبث به فيقرب الكلب منه فيأكل اللقمة ويزجره فلم يزل دأبه ذلك حتى بقيت لقمة واحدة فروغها فى الدهن وأومى بها نحو الكلب ثم ألقاها فى فمه فمضغها وابتلعها والكلب محدق نحوه فلما صارت اللقمة فى حلقومه وثب عليه الكلب فاستل الحلقوم واللقمة فأكلهما وخر الرجل ميتا

(عبد العزيز بن المهذب)

لله در غلام جاء يخدمنا * بسفرة من رفيع القطن قوراء
بدائر أزرق من حول دارتها * تحار فيه وفيها مقلة الرائى
كأنها روضة خضراء مزهرة * وحولها جدول من أزرق الماء

(ومن التحف النفيسة) ما ذكره القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والطرف أنه أصاب عطية بن مرداس العلاوى لما ملك الرحبة فى سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وحازما كان ادخره أبو الحرث رسلان البساسيرى من مال وغيره ومما كان وجده ببغداد من الخليفة الى جعفر عبد الله القائم ومن ذخائر بنى العباس حين خلعه ونهب داره فى سنة خمسين وأربعمائة وجد فيها مائدة فيروزج بحوافى مكللة بالجواهر لاقيمة لها ولاقدرا يعرف مما انتقل الى بنى العباس من ذخائر الاكاسرة (كتب) البرهان الغزولى النحوى السكندرى صحبة ملاعق أهداها للصاحب زين الدين بن الزبير

لما بعدتم وكاد اليأس يقصينا * من نيلكم ودنت منا أمانينا
بتنا على سغب الآمال فى ظمأ * والشوق ينشرنا طورا ويطوينا

ثم استنبنا تحيات السلام عسى * تعود منكم تحيات فتحيينا
وقد بعثنا لكم مملوءة قبلا * مثل الايادى التى أعيت أياديينا
مستطعمات طعاما من مطاعمنا * وافتكم بلسان الحال تحكينا

(ومما يكتب على سفرة الأكل)

ألا كل هنيئا ولا تحتشم * فما الاحتشام فعال الكرم
فما الجود والفضل الالمن * تفضل الينا بنقل القدم

(الخبز وما ورد فيه) قال ابن عباس رضى الله عنهما أكرموا الخبز قيل وما اكرام الخبز قال لا تنتظروا به الادم اذا وجدتم الخبز كلوه حتى تؤتوا بغيره قال أبو محمد بن خلاد كان الحسن بن رجاء يقول السميد طعام الملوك والحوارى طعام الخواص والخشكار طعام العامة والشعير طعام الزهاد وكان حميد لا تخلو مائدته من مائة رغيف سميد فى كل رغيف رطلان وكان خبزه موصوفا ببغداد كأنه المرآة المجلوة بياضا وحسنا وربما يرى فيه شعر اللحية لشدة بياضه قال أحمد بن أبى داود قال لى الواثق يوما ما جمال الموائد فقلت يا أمير المؤمنين كان يقال جمالها كثرة الخبز عليها فقال أصبت وأحسنت فاذا اختلفت الالوان وكان الخبز كثيرا شهد لصاحبها بالشرف (قال) الاصمعى كان الرشيد يأكل يومين متواليين خبز السميد والثالث الحوارى والرابع الخشكار والخامس والسادس خبز الارز النقى من خبز التنور وكان يقول الارز غذاء صحيح قال بعض الاطباء الخشكار فيه بعض الحرارة وهو أسرع انحدارا من المعدة لاجل النخالة التى فيه لان فيه جلى للمعى وهو يولد الحكة وأكله بالادام الدهن يدفع ضرره والخبز الخمير أحمد الخبز وأوفقه وأمراه والفطير بطىء الانهضام يولد الرياح وخبز التنور أغذا وأنفع والخبز المملوك وخبز الطابق ثقيلان ضاران والخبز السميد المعتدل الخبز يخصب الجسم ويحدد السدد وأكله بالاسفيذباجات والطباهجات المالحة يصلحه وكان جبريل بن بختيشوع لا يؤثر على الحوارى شيأ ويقول هو الواسطة (وروى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال هو خبز البر وماء القراح والظل (قال) العتبى عن أبيه قال خرج أبو سفيان فى جماعة من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا قال أبو سفيان انا لعلى خطر من قدومنا على

ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه فأيكم يذهب بالعير فان أصيب فعلينا دمه وان يغنم فله نصف الربح فقال غيلان بن سلمة الثقفى أنا أمضى فى العير وكان أبيض طويلا جعدا فلما وصل ديار الملك لبس ثوبين أصفرين وشهر نفسه وقعد بالباب حتى أذن له فدخل على الملك وهو جالس فى شباك ذهب فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير اذنى فقال لست من أهل عداوة الملك ولم آتك جاسوسا وانما حملت تجارة فان أرادها فهى له قال فبيناهو يكلمه اذ سمع صوتا فخر ساجدا فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أسجدك فقال سمعت صوتا مرتفعا حيث لا ترتفع الاصوات فظننته صوت الملك فسجدت قال فشكر الملك ذلك له وأمر له بمرفقة توضع تحته فرأى فيها صورة الملك فوضعها على رأسه فقال الحاجب الملك يقول لك انما بعثناها لك لتجلس عليها فقال قد علمت ولكن رأيتها وعليها صورة الملك فوضعتها على أعظم أعضائى فقال له الملك ما طعامك فى بلادك قال خبز البر قال هذا عقل الخبز ثم اشترى منه التجارة باضعاف ثمنها ورجع فى أمن وسلامة (أبو الحسين الجزار فى الخبز)

قسما بلوح الخبز عند خروجه * من فرنه وله الفداة تجار
ورغائف منه تروقك وهى فى * سجف النفال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمر الـ * خدين للشونيز فيه عذار
وكأن باطنه بكفك درهم * وكأن ظاهر لونه دينار
كالفضة البيضاء لكن يغتدى * ذهبا اذا قويت عليه النار

(وقال) ابن الرومى فى الرقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الما تلقى فيه بالحجر

(وله) فى الزلابيه

يلقى العجين حينا من أصابعه * فتستحيل شبابيكا من الذهب

(المأمونى) فى الكماج

عندى للاكل اذا ما * قمت للتسحر
ملتوية بسمنها * وسمسم مقشر

مثل

مثل البدور الطالعا * ت فى شطور الاشهر
أو أوجه الترك اذا * اثر فيها الجدر

(وقال) بعضهم وأجاد

خبز شعير بغير ادم * عند فقير من الكرام
ألذ عندى من ألف لون * عند غنى من اللئام

(وقال) مجير الدين بن تميم

وكأن أرغفة الخوان وحولها * بقل تهش اليه نفس الآكل
وجنات غيد صففت وجميعها * يبدو بها خط العذار الباقل

(غريبة) ذكرها الحافظ العلامة المؤرخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه فى ترجمة الوليد بن عبد الملك ورواها الحافظ بن عساكر باسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال خرج الوليد بن عبد الملك يوما من الباب الاصغر فرأى رجلا عند المأذنة الشرقية يأكل فوقف عليه فاذا هو يأكل خبزا وترابا فقال له ما يحملك على هذا قال القنوع يا أمير المؤمنين فذهب الى مجلسه ثم استدعى به فقال ان لك لشأنا فأخبرنى به والا ضربت الذى فيه عيناك فقال نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلا جمالا فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصدا الكسوة اذ رزمنى البول فعدلت الى خربة لابول فاذا سرب فحفرته فاذا مال صبيب فملأت منه غرائرى ثم انطلقت أقود برواحلى واذا بمخلاة فيها طعام فألقيته منها وقلت انى سآتى الكسوة ورجعت لاملى تلك المخلاة فلم أهتد الى المكان بعد الجهد فى الطلب ثم رجعت الى الرواحل فلم أجدها ولم أجد الطعام فآليت على نفسى ان لا آكل الا خبزا وترابا قال فهل لك عيال قلت نعم ففرض لهم فى بيت المال قال ابن جابر وبلغنا أن الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها خازنه فوضعها فى بيت المال

(الباب الحادى والثلاثون فى الوكيرة والاطعمة المشتهاه)

الوكيرة طعام البناء كان الرجل اذا فرغ من بنائه يطعم أصحابه يتبرك بذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم الوليمة فى أربع فى عرس أو خرس أو اعذار أو توكير قال الشاعر

خير طعام تشهد العشيره * الخرس والاعذار والوكيره

(قال) الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم في كتاب النكاح قال أصحابنا وغيرهم الضيافات ثمانية أنواع الوليمة للعرس والخرس بضم الخاء المعجمة للولادة وقيل فيه الخرص بالصاد المهملة أيضا والاعذار بكسر الهمزة والعين المهملة والذال المعجمة للختان والوكيرة للبناء والنقيعة لقدوم المسافر يصنع الطعام وقيل يصنعه غيره والعقيقة يوم سابع الولادة والوضيمة بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة الطعام عند المصيبة والمأدبة بضم الدال المهملة الطعام المتخذ ضيافة بلا سبب قال صاحب زبدة الفكره في تاريخ الهجره ولما تكامل بناء القصر الابلق الذي أنشأه السلطان الملك الناصر لسكناه بقلعة الجبل المحروسة عمل وليمة عظيمة حضرها الغني والفقير من كبير وصغير وخلع على الامراء التشاريف على قدر مراتبهم وأنعم عليهم بالبذل من الاموال وكانت عدة الخلع التي خلعت ألفي خلعة وخمسمائة والمال المطلق مائة ألف دينار من العين المصري وذلك سنة أربع عشرة وسبعمائه (وقرأت) في بعض المجاميع الادبية أن الفتح بن أبي حصينة المغربي رحمه الله امتدح نصر بن صالح بحلب فقال له تمنّ فقال أتمنى ان أكون أميرا فجعله أميرا بحلب مع الامراء ويخاطب بالامير وقربه وصار يحضر في مجالسه في جملة الامراء ثم وهبه أرضا بحلب قبلي حمام الواساني فعمرها دارا وزخرفها وقرنصها وتمم بنيانها وكمل زخارفها ونقش على دائر الدرابزين

دار بنيناها وعشنا بها * في نعمة من آل مرداس
قوم محوا بؤسي ولم يتركوا * علي للأيام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(قال) فلما انتهى العمل بالدار عمل دعوة وأحضر نصر بن صالح بن مرداس فلما أكل الطعام رأى الدار وحسنها وحسن بنيانها ونقوشها ورأى الابيات وقرأها فقال يا أمير كم خسرت على هذه الدار فقال والله يا مولاي ما للملوك علم بل هذا الرجل ولي عمارتها فلما حضر المعمار قال كم لحقك غرامة على بناء هذه الدار فقال المعمار غرمنا ألفي دينار مصرية فأحضر من ساعته ألفي دينار مصرية وثوبا أطلس وعمامة مذهبة وحصانا بطوق ذهب وسرج ذهب

ذهب ودفع ذلك جميعه الى الامير أبي الفتح وقال له

قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(قلت) وما أحسن ما ضمن هذا البيت سيدي القاضي شهاب الدين بن حجر يمدح سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدماميني المالكي رحمهما الله

نسيت أن أمدح بدر العلى * فلم يدع بري وايناس
قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(حكى) ان ابن البطريق واسمه علي حضر عند ابن السراج بن البجلي ناظر دار الضرب والجيش في بغداد في وليمة عملها الاجل دار عمرها فلما خرج من عنده اجتمع بالوزير نصير الدين أحمد بن الناقدي فسأله أين كنت قال في وليمة ابن البجلي فقال الوزير قيل لي ان داره مليحة فقال نعم وقد عملت فيها

دار السراج مليحه * فيها تصاوير بمكنه
تحكي كتاب كليله * فتي أراها وهي دمنه

الدعوات المشهورة دخول عبد الله بن المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وكانت النفقة في يوم ملاكها وعرسها (قال) ابن عبدوس في سنة عشرة وما بين ثمانية وثلاثين ألف ألف درهم وقيل خمسين ألف ألف درهم وكان يجري في كل يوم في جملة الجرايات على ستة وثلاثين ألف ملاح ووصل المأمون في قواده وحشمه ووهب لاخيها ألف ألف درهم وكساه وأقطعه فم الصلح وكانت عليه ثمانين ألف دينار في السنة وبلغت نفقة أبيها في هذه الوليمة أربعين ألف ألف درهم وبلغت نفقة الحسن بن سهل على قواد المأمون وحملتهم فأوصلهم وخلع على الخاصة خلعا قيمتها سبعون ألف ألف درهم وجليت بوران على المأمون وقد فرش لها حصير من الذهب وجاءت جدة بوران بمكيل من الذهب مرصع بالدر والجوهر فيه در كبار فنثر على من حضر من النساء وفيهن أم جعفر وحمدونة بنت الرشيد وغيرهما فلم يمسسن منه شيأ فقال المأمون شرفن أم محمد وأكرمنها فمدت كل واحدة يدها وأخذت حبة وبقي سائر الدر يتدحرج على حصير الذهب فقال المأمون قاتل الله ابن هانئ كأنه رأى ما نحن فيه حيث قال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

ونثرت أم الفضل بن سهل جدة مروان عليها يوم دخل بها المأمون ألف درهم

فى صينية ذهب وأوقد فى تلك الليلة على المأمون شمعة عنبر وزنها أربعون منا ونثر فى ملاكها كل شئ له قدر من الكراع والرقيق والكسى والصياغات والطيب والضياع والعقار والجواهر والدنانير والدراهم وكانت أسماء كل هذا مثبتة فى رقاع وتلقى فمن التقط رقعة مضى الى الخازن الذى لذلك الصنف فأخذه منه وكان للحسن بن سهل أربعون بغلا مرتبة لحمل الحطب تصرف كل يوم عدة دفعات أقامت تنقل سنة كاملة ولم يكفهم حتى قطعوا سعف النخل رطبا وصبوا عليه الدهن والزيت وأوقدوه (وحكى) القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى كتابه مسالك الابصار فى ممالك الامصار فى ترجمة الآمر بأحكام الله أبى على المنصور فى المجلد الرابع والعشرين منه ان الآمر بالله بيناهو فى موكبه قبلى بركة الحبش اذ تقدمهم فمر برجل على باب بستان له وحوله عبيد وموال له فاستسقاه ماء فسقاه فلما شرب قال يا أمير المؤمنين قد أطمعتنى فى السؤال فان رأى أن يكرمنى بنزوله لاضيفه فقال ويحك معى الموكب فقال وأولئك يا أمير المؤمنين فنزل فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية أشربة سكرية كلها فبهت الآمر وقال أيها الرجل خبرك عجيب فهل علمت بهذا فأعددت له فقال لا والله يا أمير المؤمنين وانما أنا رجل تاجر من رعيتك لى مائة حظية فلما أكرمنى أمير المؤمنين بنزوله عندى أخذت من كل واحدة شيأ من فرشها وبعض أكلها وشربها ولكل واحدة فى كل يوم طبق فاكهة وطبق طعام وطبق بوارد وجام حلوى وزبدية شراب فسجد الآمر شكرا لله وقال الحمد لله الذى جعل فى رعايانا من يسع حاله هذا ثم أمر له بما فى بيت المال من الدراهم ضرب تلك السنة فكان ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ثم لم يركب حتى أحضرها وأعطاها للرجل وقال استعن بهذه على حالك ومروءتك ثم ركب وانصرف (ولما) زوج الحجاج محمد بن الحجاج قال لأصنعن طعاما لم يسبقنى اليه الاولون ولا يدركه الآخرون فقيل له لو بعثت الى المدائن فسألت كيف صنع كسرى فتعمل على مثال ذلك فأرسل الى بعض من أدرك ذلك فقال أخبرنى عن الطعام الذى صنعه كسرى فقال ما أكثر ما كان يصنعه من الطيبات قال أطيبه قال حين تزوج هندا ابنة بهرام كتب الى عماله فى الآفاق

ليقدم

ليقدم على كل رجل منكم ويخلف والى شرطته على بلاده فرأى عنده اثنى عشر ألفا فاطعمهم فى ثلاثة أيام كل يوم ألف خوان يقعدون على بسط الديباج المنسوجة بالذهب وكلما أكلوا أتى كل واحد منهم بمثقال مسك فيغسل يده به فلما قاموا بعث بتلك الآنية والبسط فقسمت عليهم فقال الحجاج أفسدت على لعنك الله اذهبوا فاشتروا الجزر فانحروها فى مربعات واسط وكان قد أمر بالنداء بالحضور فحضرها الناس وذلك فى أشد الحر وكثرة الذباب فاستغنى أهل الدعوة عن المراوح ولم يجد واذبابة واحدة وكان قد عمد الى المرافق التى فى المجالس فنصب فيها أحجار الثلج وكانت الريح تفضى اليها من باذهنجات فيخرج نسيمها الى المجالس والصحون وسئل عن عدم الذباب فقيل انه اشترى قبل الدعوة من دور الجيران ما يمكن شراؤه واستعار الباقى وطلى حيطانها بعسل قصب السكر فاشتغل الذباب به وانقطع عن داره فلما انقضت أيام الدعوة ردت جميع الدور لى أربابها * وعلى ذكر الذباب فلا بأس بايراد نكتة غريبه وموعظة عجيبه وهى أن الحاكم الذى كان خليفة بمصر وادّعى أنه من ولد فاطمة رضوان الله عليهما وبنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح فسد حاله فى آخر أمره وادّعى الالهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس للايمان به وبذل لهم نفائس الاموال وأن ذلك كان فى فصل الصيف والذباب يترا كم على الحاكم والخدام تدفع الذباب ولا يندفع فقرأ بعض القراء وكان حسن الصوت يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره فاضطرب الحاضرون بسماع هذه الآية حتى كأن الله تعالى أنزلها تكذيبا للحاكم فى دعوى الالهية وسقط الحاكم من على سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ فى استجلاب ذلك الرجل الى ان طمنه وسيره فى صورة رسول الى بعض الجزائر وأمر الربان أن لا يسير به غير ثلاثة أيام ويغرقه فلما غرق رؤى فى المنام فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معى الربان أرسى بى على باب الجنة (رجوع) ومن الهمم الملوكيه والنخوة العربيه والنفس الأبيه ما ذكره الثعالبى فى كتابه لطائف المعارف عن جميلة بنت ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان أنها حجت

سنة ست وستين وثلاثمائة فصار عام حجها مثلا وتاريخا وذلك انها أقامت من المروءة وفرقت الاموال وأظهرت من المحاسن ونشرت من المكارم مالا يوصف بعضه عن زبيدة وغيرها من حاجات بيت الخلافة والملك ولا عن الخلفاء والملوك والحاجين وهو ما ذكره الثقات أنها سقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزد والثلج وكانت استصحبت البقول المزروعة فى مراكز الخزف على الجمال فضلا عما سواها وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجالة الحاج ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار واستصبحت فيها شموع العنبر فى مدة اقامتها بمكة وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى أمة وأغنت المجاورين بالصلات الجزيلة وخلعت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب وكان معها أربعمائة عمارية لايدرى فى أيتها هى ومن قصتها أنها لما رجعت الى بلدها الموصل وضرب الدهر ضرباته فكان من استيلاء عضد الدولة فناخسرو على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها ما كان حتى أفضت بها الحال الى كل قلة وذل وتكشفت عن فقر مدقع وكان فناخسرو خطبها لنفسه فامتنعت من اجابته ترفعا عنه فاحتقدها عليها وحين وقعت فى يده تشفى بها ومازال يعسف بها فى المطالبة حتى عراها وهتكها ثم ألزمها أحد أمرين اما ان تصحح ما بقته ووقف عليها من المال واما أن تختلف الى دار القحاب فتكتسب فيها ما تؤديه من مال مصادرتها فلما ضاق بها الامر وأشرفت على الفضيحة انتهزت فرصة من غفلة المتوكلين بها وغرقت نفسها فى دجلة رحمها الله تعالى ولا آخذها (ومن ظريف الاخبار) ان زوجة المحسن بن الفرات أرادت اعذار ابنها بعد قتل أبيه فتعذرت عليها النفقة فرأت المحسن فى منامها فذكرت له ذلك فقال ان لى وديعة عند فلان الدين عشرة آلاف دينار فانتبهت وأخبرت بالقصة فسألوا الرجل فاعترف بها وحمل المال اليها (اتخذ) الحجاج وليمة اجتهد فيها واحتشد ثم قال لزاذان فروخ هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عبد كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها شرفا (قلت) ذكرت بقوله أولم ما أنشدنيه من لفظه لنفسه سيدى المقر المجدى ابن مكانس

قال خلى لحبيبى صل فتى * فيك قد أضحى معنى مغرما

قال هل يولم ان واصلته * قال ان فاز بثغر أولما

وأول من ضيف الضيف وأطعم المسكين وقص شاربه وقلم أظفاره واستحد واستاك ورأى الشيب وفرق شعره وتمضمض واستنثر واستنجى بالماء واختتن بالقدوم ولبس السراويل وأسس المحجوج أى بنى أساس البيت الحرام خليل الله ونبيه ورسوله أبونا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام قيل ما خلا من ضيفه الى يومنا هذا من ضيف قط وقيل له صلى الله عليه وسلم بما اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت الذى لله على غيره وما اهتممت بما تكفل الله لى به ولا تعشيت الا مع ضيف ما أحسن قول صفوان ابن ادريس فيمن اسمه ابراهيم

اسمى من من القرى رفقا بمن * يغنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حبك فاصطنعنى انه * ضيف الهوى يستوجب الاكراما
أفنيت جسم الصب شوقا مثل ما * أفنى سميك قبلك الاصناما
يازهرة سكنت بقلبى غضة * انى تبوأت الجحيم كماما
حتى كأن الحب قال لاضلعى * يانار كونى بردا له وسلاما

وكان الحسن بن قحطبة مضيافا له مطبخان فى كل مطبخ سبعمائة تنور هكذا نقل عنه الزمخشرى (وحدث) عمر بن شبة قال كان الحجاج يطعم فى كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة سمكة مشوية سمينة وجنب مشوى وساقيان يسقى أحدهما اللبن والآخر العسل وكان يطاف به على كرسى فيقول يا أهل الشام مزقوا الخبز الرقيق كيلا يعاد عليكم (وقال) الجاحظ كان كسرى ينصب فى كل يوم ألف مائدة على كل مائدة فخذ حمار وحش وبيضة نعامة ومن سائر الاصناف التى توجد فى البر والبحر والسهل والجبل حتى لا تخلو الموائد من سائر الاطعمة * وكان النبى صلى الله عليه وسلم يجيب الوليمة ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ولا يتأنق فى مأكل ويعصب على بطنه الحجر من الجوع وآتاه الله مفاتيح كنوز الارض فلم يقبلها واختار الآخرة وأكل الخبز بالخل وقال نعم الادم الخل وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى وكان يأكل ما وجده ولا يرد ما حضر ولا يتكلف ما لم يحضر ولا يتورع عن مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز أكله وان وجد شواء أكله وان وجد خبز بر

أوشعيراً كله ولا يأكل متكئاً ولا على خوان لم يشبع من خبز بر ثلاثاً تباعاً حتى لقي الله عزوجل ايثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلا وكان يحب الذراع من الشاة والدباء وأكل خبز الشعير بالتمر والبطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد وكان يحب الحلوى والعسل وكان يشرب قاعداً وربما شرب قائماً وتنفس ثلاثاً متنحياً للاناء ويبدأ بمن عن يمينه اذا سقاه ويشرب لبناً وقال من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه واذا رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن (قال) بعض الكرماء من ألطاف الله تعالى بالكريم أنه يسامح المسافر بالفطر في رمضان فلولا ذلك لخجل الكريم اذ يمر عليه ضيف فيعتذر من أكل طعامه بالصوم وأين هذا من قول بعض البخلاء وقد سئل ما الفرج بعد الشدة فقال ان تدعوا الضيف فيعتذر بالصوم (وكان) معن بن زائدة اذا أراد أحد من غلمانه ان يرضى عليه بعد الغضب الشديد بادر الى شئ من طعامه فوضعه في فيه بحضوره (ووقفت) في أخبار عمارة الشاعر اليمنى قال كنت هجوت ابن دخان وهو يومئذ صاحب ديوان الدست فشكاني الى السلطان شاور فأعرض عنه ثم شكاني ثانية فأعرض عنه ثم شكاني ثالثة فالتفت اليه وهو محرج وقال له ما تستحى من أن تشتكى الى رجلاً يأكل معى على طعامى في يوم وليلة قال عمارة فلم أشعر الا وقد حضر ابن دخان الى دارى ليلا وحمل الى دابتى الى آخر السنة (وحكى) بعضهم قال كنا عند الشيخ الزاهد الورع أبى العباس بن تامتيت نفع الله به فقدم لنا طعاماً فأكلنا فقال بعض الجماعة ياسيدى قد أسأنا الادب وأكلنا بغير اذن فقال الشيخ فاذن لا ترفع يدك الا باذن (نادرة) قيل نزل ضيف على بخيل في ليلة وكان جائعاً فقدم له طعاماً فأتى على آخره ولم يغادر منه شيأ فحلف البخيل أن لا يبيت الضيف عنده فقال الضيف يا أخى اصبر علىّ الى الفجر فقال لا وليال عشر فقال أما سمعت أن الضيافة ثلاث فقال البخيل لا وحق الواحد لا يبيت عندى ثلاثاً من يأكل بالخمس ولو كان له فضل من أوتى تسع آيات بينات وحسن من سجد له أحد عشر كوكبا فخرج الضيف وقال كيف جمع زوج الشكلى هذه الافراد على الترتيب (كان) لعبد الله بن جدعان جفنة يأكل منها

الطعام القائم والراكب فوقع صبى فيها فغرق فمات (وذكر) ان عطية بن صالح بن مرداس طبخ في بعض ولائمه تسعمائة خروف مصرية سوى ماطبخ من الالوان (قال) على بن الاعرابى قال الحجاج لرجل يوماً وهو على خوانه وكان عليلا ارفق بيدك فأجابه على الفور وأنت يا حجاج فاغضض بصرك فقال له ان هذا الجواب المسكت (اعرابى) مما يزيد فى طيب الطعام مؤاكلة الكريم الودود (حث) رجل رجلا على الاكل من طعامه فقال عليك بتقريب الطعام وعلينا تأديب الاجسام (وقال) علىّ كرم الله وجهه اذا طرقك اخوانك فلا تدخر عنهم ما فى المنزل ولا تتكلف ما وراء الباب واذا طرقت فاحضر واذا دعوت فلا تقدر (قيل) لحكيم أى الاوقات أحمد للاكل قال أما من قدر فاذا اشتهى وأما من لم يقدر فاذا وجد (وقال) جعفر بن محمد تبين محبة الرجل لاخيه بجودة أكله فى منزله (نزل) الشافعى بمالك رضى الله عنهما فصب بنفسه الماء على يده وقال لا يرعك منى ما رأيت فان خدمة الضيف فرض (وكان) الشافعى رضى الله عنه نازلا بالزعفرانى ببغداد فكان يرقم كل يوم فى رقعة ما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعى يوماً وألحق لوناً آخر فعرف ذلك الزعفرانى فأعتق الجارية سروراً بذلك (نادرة) روى عن أبى العباس المبرد فقال ضاف رجل قوما فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه عندنا فقالت التق بيننا شراً حتى نتحاكم اليه ففعلا وقالت المرأة بالذى يبارك لك فى غدوك غداً أينا أظلم فقال والذى يبارك لى فى مقامى عندكم شهراً ما أعلم (قيل) ويقبح على الكريم ان يغتاظ على غلمانه بحضور ضيوفه وكذلك اذا أبطأ طباخه بالطعام (حكى) ان بعض قواد طولون حضر سماطه يوماً وعليه قباء منزل بفضة فجاء بعض غلمانه عجلا فانكب على القباء من الطعام فظن أحد منا انه يحيبه ففهم تخوف الغلام وانقباض الجماعة فرفع طرفه الى الغلام وقال يا شيطان قد فهمت غرضك لا شك انك استحسنت القباء اذهب به فهو لك فسر الغلام وجميع من حضر (نادرة) قيل لبنان الطفيلى كم عدد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال ثلثمائة وثلاثة عشر رغيفا وكان نقش خاتمه ما لكم لا تأكلون (ونظر) طفيلى الى قوم ذاهبين فلم يشك انهم يذهبون الى وليمة فقام وتبعهم واذا هم شعراء قد قصدوا دار السلطان بمدائح

لهم فلما أنشد كل واحد منهم شعره وأخذ جائزته لم يبق الا الطفيلي وهو جالس ساكت فقيل له انشد أنت فقال لست شاعرا قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وأمر له بمثل جائزة الشعراء (كان) مسلم بن قتيبة لا يجلس لحوائج الناس حتى يشبع من الطيب من الطعام ويروى من بارد الماء ويقول ان الجائع ضيق الصدر فقير النفس والشبعان متسع الصدر غنى النفس (وقال) ابن الاعرابي كان المحسن الضبي في الشرف من العطاء وكان ذميما فقال له زياد ذات يوم كم عيالك قال تسع بنات قال فأين هن منك قال أنا أحسن منهن وهن آكل مني فضحك وأمر له بأربعة آلاف دينار (وكتب) كسرى أنوشروان باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام من أكله من حله وجاد على ذوى الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك (نادرة) حكى الهيثم ابن عدى قال ماشيت أبا حنيفة في نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان مبخلا وتواصينا على انا نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال أحدنا ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وقال آخر وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وقال آخر آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتمطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج (كان) بعض مفاليس الكتاب في دعوة فلما أخذت الكأس منه قال لهم أنتم عندى غدا فلما أصبح حدثه غلامه بما بدا منه فسقط في يده وأخذ يعنف غلامه كيف لم ينبههم على افلاسه وسوء حاله والغلام يعتذر عن ذلك باشفاقه من عربدته لو أطلعهم على ذلك اذ دق القوم الباب فقال لغلامه علىّ بالدواة والقرطاس وكتب اليهم ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي فلما قرؤا رقعته عرفوا عذره وتفرقوا عنه (نادرة أيضا) قيل تغدى رجل مع بعض الرؤساء فقدم اليه جديا فجعل يمعن فيه فقال له الرئيس انك لتمزقه حتى كان أباه نطحك فقال له وأنت تشفق عليه حتى كأن أمه قد أرضعتك فخجل وانقطع (عمر بن هبيرة) عليكم

بباكرة

بباكرة الغداء فان في مباكرته ثلاث خصال يطيب النكهة ويطفئ المرة ويعين على المروءة قيل ما اعانته على المروءة قال ان لا تتوق النفس الى طعام غيرك

(فصل) في الاطعمة المشهورة ومضارها ومنافعها (السكباج) حارة معتدلة الرطوبة تنفع الكبد الصفراوية وتولد دما صالحا وتقوى الشهوة وتحبس البطن وهى بلحم البقر نافعة لمن يتحدر الى معدته مرارة كثيرة وقال بعضهم السكباج في المطبخ بمنزلة الفالوذج في الحلوى وقال الصولي كان بعض الصوفية يقول أول من عمل السكباج آدم ولذلك استوى في استطابتها الملوك ولده وسوقتهم وكنيتها أم القرى لان طعامها من أجل الاطعمة وأم الشيء معظمه وجليلة وأم القرآن الحمد وأم القرى مكة وأم الشيء أجله (المدققات) حارة رطبة مخصبة للبدن تولد دما معتدلا يحتاج لمن ضاق عليه الاستغراق بالجماع وعرض له من الاحداث النفسانية ما يطل الهضم عليه كالهم والفزع والغم لان جوهر اللحم انحل أكثره في المرق ولهذا الحال يخف على الهضم وهى من أطعمة المخمور صالحة لهم جدا (الزحيرة) حارة رطبة تزيد في الباءة تولد غداء كثيرا وهى مضرة بالصفراء مكروهة لمن يعتاده الغثيان ولاصحاب المعدة الحارة اتعطينها وأكلها مع الحوامض صالح وهو غداء شهى موافق لاهل الرياضة والقوة وكثرة البيض فيها صالحة وهى من الالوان المأثورة الموصوفة (الجزورية) حارة رطبة تحرك الباءة وتدر البول وأصلح ما كانت باللحم السمين والخل والمرى والخردل (ابن سكرة) الهاشمي في جزورية

أكلت بالامس جزورية * تخبر عن خسة أربابها
اللحم فيها أثر دارس * كأنما مرّ على بابها

(الحصرمية) باردة يابسة وأجودها ما عمل بالماء العتيق العذب والذى يعمل بالحصرم الطرى يولد رياحا بالمعدة لانه ثمرة فجة لم تنضج ويختار فيها استعمال اللون المر لتعديل يبسها وتحسين منظرها (السماقية) باردة يابسة أيضا (الرمانية) كذلك ولها فعل في تقوية المعدة وينفعان من نزف الدم ومن احب تعديل الطبع فيهما الاسفاناخ والسلق (التفاحية والريباسية) أيضا متناسبان في البرد واليبس نافعان لاصحاب المزاج الصفراوي والا كباد الحارة

والمعدة الضعيفة يكرهان لاصحاب القولنج وهما مضرتان بالعصب والمفاصل والمنى والباءة (الزيرباج) معتدلة الحرارة نافعة الكبد تولد دما معتدلا وهى مسكنة لحدة الاخلاط مفرحة للقلب وللناس فيها مذاهب وأجودها السهلة المائعة الورسية وبعضهم يختارها ردعية بالزعفران خثرة جدا وبعضهم يتخيرها سادجة بيضاء وهذه أقل حرارة (المضيرة) باردة معتدلة الرطوبة قامعة للصفراء تولد غذاء بلغميا واستعمال حلوى العسل بعدها صالح وهى من الالوان المستحبة المأثورة ويختار عملها بالفراخ الجليلة فانها أوفق لها من سائر اللحمان وللبصل فيها معنى خلاف سائر الطبيخ وكان بشار بن برد الاعمى يقول فيها ما أظن فى الطعام أطيب من بصلة مضيرة لانى ما سبقت البصر اليها قط ولا هم يؤثر ونى بها ويستحب تقديمها فى الصحون الزرق أو ما شاكلها وتكره لها الصحون البيض ويراه بعضهم قبيحا ويعده من سوء الاختيار وكان أبو هريرة رضى الله عنه تعجبه المضيرة جدا فيأكلها مع معاوية فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه فاذا قيل له فى ذلك شئ قال مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل فقيل له شيخ المضيرة (حكى) ابن شكلة الكاتب صردر امتنع من حمل ما طلب منه واحتمل غليظ المكروه وكان يؤتى بطبق فيه طعام فرأى يوما مضيرة فى صحن أبيض هذا مالا يكون أبدا (القلايا) حارة معتدلة اليبس تختار للذين تجتمع فى معدتهم البلاغم لتقطيعها لاسيما اذا عملت بالابازير الحارة وهى باعثة للشهوة مهيجة لذوى النهمة (المهلبية) أول من اتخذها بنو المهلب فنسبت اليهم وهى من الالوان المستحسنة المستلذة تنفع لحفظ الصحة وأجودها منفعة السلسلة والانعقاد بالدجاج الحديث السمان والعسل الخالص الذهبى والسكر النقى وهى معتدلة الحرارة والرطوبة تغذو غذاء صالحا الا أنها مضرة بالصفراء وتدفع مضرتها بالحصرمية منه قبلها (الارز باللبن) قال محمد بن خلاد كان كثير من رؤساء العراق يقدمون فى أول الطعام الارز باللبن والسكر المنخول ثم يتبعونه ما شاؤا ايثارا له على غيره وكان الحسن بن سهل يفضله على كثير من المطعم ميلا الى رأى المأمون فيه وقال له انه يزيد فى العمر يا أمير المؤمنين قال من أين قلت هذا قلت لان الاطباء زعموا أن الارز يولد أحلاما صحيحة فاذا صحت الاحلام فهى من زيادة النوم على اليقظة لان النوم موت واليقظة حياة

(الشوى) قال أبو عبيد العرب تقول الشوى رئيس الطعام قال ومر الفرزدق بالاخوص فقال له اقترح يا أبا فراس فقال شوى وطلى وغناء فقال ادخل فقد أعد لك والشوى حار رطب وأجوده المشوى على اسهل مثل شى الرؤس فان ذلك يكسبه فضل ترطيب ونضاج ويلطفه (الكباب) بفتح الكاف وهو اللحم المشروح وأجوده ما شرح اللحم شرحا خفيفا ونثر عليه الملح ونصب له مقلى على النار بلا دسم وطرح عليه وقلب من جنب الى جنب حتى ينضج ويحمر هذا هو الكباب الخالص بعينه وهو الذى كان يعمل ليحيى بن خالد ولولده وفيه يقول أبو الفتح البستى

علي‌ك اذا أنجاب الدجى بكباب * وعقبه مرتاحا بكأس شراب
فلم يفتح الاقوام بابا الى المنى * كباب شراب أو كباب كباب

(الخيطية) تخصب الجسم وتغذوه وتزيد فى الباءة (الكشك) قال جالينوس أبوان كريمان انجبا لئيما (الططماج) عسر الهضم من أجل انه من خبز فطير فهو يزاق فى المعدة واصلاحه بالثوم ويؤكل معه النعنع ويشرب نبيذا صرفا قويا وعسلا مطبوخا بأفواه الا أن يكون محرورا فلا يحتاج الى ذلك (الملوخيا) غليظة لزجة باردة كثيرا الاكثار منها يضر بالمرطوبين والمبلغمين واصلاح ضررها أن تطبخ بلحوم الغزلان لخفته وحرارته أومع الحجل أومع الفراخ النواهض أو الفراريج السرخسية فان لم يتفق فتلقى فيها الشرائح الجافة المدخنة أو التنورية عند نزوجها من التنور وكذلك الباذنجان المقلى يلقى عليها ويكمر ساعة ثم تؤكل وماء الليمون يلطف غلظها ويقطع لزوجتها ولا يصلحها اصلاحا تاما الا هو واذا قطع ورقها الاخضر ووضع على لسعة الزنبور نفعها وطبيخ ورقه ينفع حرق النار وفيها أكثر منافع الخطمى وهى فرع منه وذكر انها قديما لم يكن لها ذكر ولا قدر ولا تصريف فى مدينة ولا فى اقليم الا بعد ثلثمائة وستين سنة مضت من الهجرة النبوية بمصر خاصة وكان السبب فى ذلك أن المعز بانى القاهرة لما دخل مصر استوباها واختلف عليه الهواء الذى كان يعهده بافريقية ورطوبته لمجاورته البحر فأصابه يبس واستولت عليه أمراض حارة فتدبر له أطباء مصر قانونا من العلاج من جملته الغذاء بالملوخيا فوجد لها نفعا بينا فى التبريد والترطيب وأقلع عنه معظم

ما كان يجده من الاعراض الرديئة التى سببها اليبس والحرارة وأدمن أكلها فأبل من مرضه ووقعت منه بموقع عظيم وأمر باصلاحها له ولخواصه حتى سميت الملوكية وبلغ من اعتنائهم بها انهم كانوا يجففونها ويطبخونها مجففة السنة كلها وكان باكورها اذا دخل القصر يكون ذلك اليوم موسما عظيما ويعطى مهديها عطاء جزيلا

(ماورد من المنظوم والمنثور فى هذا الباب) كتب الشيخ جمال الدين بن نباتة يتشكر من بعض الرؤساء وقد أهدى له خروف شوى شكر الله احسان مولانا الذى وصل فأوصل الى القلب جبره والى الكف بره والى الفم كل شحمة كاهداب الدمقس المفتل وكل فلذة صفراء تسر ناظر المتأمل فما أحسن ماملأ ذلك الجود فمه وعينه وتلقاه المملوك قائلا هذا الشرف الذى ينطح النجوم بقرنيه لقد أربى تواتر هذا البر على مافى النفس ولقد جذذت هذه الهدية فخرا حتى كأنما أهدى له حمل البروج على طبق الشمس ولقد آن ان ينتصر من الدهر وتنتصف ولقد عرف رجاءه من أين يؤكل الكتف فانه الكرم الذى لا يحيل الآمال على سوف والفضل الذى أضاف المملوك وآواه فأطعمه من جوع وآمنه من خوف لابرح مولانا يحيى مآثر آبائه الاولى ويقيم سنن قراهم التى هى على الدهر كالحلى ولازال يفتخر فيقول عزمه أنا طلاع الثنايا ويقول بشره أنا ابن جلا (وقال) ابن وكيع فيه

خروف لو أشار اليه وهم * تفطر جلده بالشحم يجرى
لباطنه قميص من لجين * تسربل فوقه بقميص تبر

وما أحسن ما كتب به ابن خروف النحوى الى ابن اللهيب وكان قد دعاه

دعانى ابن لهيب * دعاء غير نبيه
ان سرت يوما اليه * فر الذى فى أبيه

(نادرة) قدم الى أبى على الفارسى النحوى شوى غير نضيج فقال هذا لم تعمل فيه العوامل (قدم) الى الفاضل فى دعوة خروف شوى فقال هذا من البهائم التى علمت يريد قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم ماتعلمون من أمر الموت ما أكلتم منها سمينا (قيل) عن سليمان بن عبد الملك انه كان نهما على طعامه وانه كان يلف على يده بفاضل كمه ليتناول به الكلى من بطون الحملان وهى فى شدة

الحرارة ولا يمهل حتى تبرد وقد ذكر ذلك الاصمعى فى أيام الرشيد لما وجد سفط عليه ثياب مذهبة ثمينة وأكمامه ملوثة بالدهن فى ذخائر بنى أمية والقصة مشهورة (وصف) جحظة دعوة حضرها فقال أتينا برغفان كالبدور المنقطة بالنجوم وملح كالكافور السحيق وخل كذوب العقيق وبقل كاخضرار العذار وحمل من الفضة جسمه ومن الذهب قشره وجوفه وأرز مدفون فى السكر ثم جاءنا غلام بشراب ألذ من ذكره وأطيب من روحه وأصفى من وده وأرق من لطفه وأذكى من عرفه وأعذب من خلقه وأشهى من قربه (سيف الدين المشد فى دجاجة مشويه)

دجاجة صفراء من شيها * حمراء كالورد من الوهج
كأنها والجمر من تحتها * أترجة من فوق نارنج

وما أظرف قول الشيخ زين الدين بن الوردى

لى شهوتان أحب أجمعهما * لو كانت الشهوات مضمونه
اكباد عذالى مدققة * ومفاصل الرقباء مدفونه

(نادرة) مرض ابن تقلية المغنى وأشرف على الموت فجاء اليه ابن الصاحب يعوده فقال له أيش حال التقلية فقال ما أخوفنى تبقى مدفونه (وقال) كشاجم يصف مائدة وما عليها

ومن فراريج بماء الحصرم * تصلح للمحموم أو للمحتمى
قد شويت أكبادها ببيض * فهى كمثل نرجس بروض
وجاءنا فيها ببيض أحمر * كأنه العقيق مالم يكسر
حتى اذا أتى به مقشرا * أبرز من تحت العقيق الدررا
كأنه اذ حاز أصناف الملح * اعاره تلوينه قوس قزح
وجاءنا براضع لم يعتلف * كأن قطنا بين جنبيه ندف
وجاءنا فيه بباذنجان * مثل قدود أكر الميدان
قد قارن الهليون بالممازجه * تقارن الكراة بالصوالجه

(وقال) ابن القطاع فى البيض

اسمع عن البيض وصف مضطلع * بالوصف ماضى الجنان نحرير
بنادق التبر غشيت ورقا * أو مشمش فى صحاف كافور

(الوداعى)

تفضل فرمانية العبد آيه * ومن حسنها يلتذ تكرارها القارى
فقد ذاب من طول انتظارك لحمها * وشوقا الى لقياك ظلت على النار

(ابن تميم)

ولم أنس اذ بيت ليلا هريسة * وبت لخوف النار أجل همها
فلما دنا الاصباح بادرت مسرعا * لاكشف من غمى وأكشف غمها
فصادفتها فى حاجم النار قد عصت * على فلم أسطع من الحرش مها
وما أنا فى شك بان لو بدابها * فتور لغيظى كنت آكل لحمها

(السراج الوراق)

وأحمق أضيافنا بقله * لنسبة بينهما ووصله
فن أقل أدبا من سفله * قدم فى وجه الضيوف رجله

(وله أيضا)

ومغمومات رؤس باكرتنا * تطيب شذى ولا طيب العروس
ونبهنا لها الطامى بليل * حكى لون المسوح على القسوس
فقمنا مائلين له وقلنا * يقل لكم القيام على الرؤس

(وله)

أتيت أرجيه فى حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وفتل فى ذقنه والنفوس * تعاف المفتلة البارده

(وقال بن نباتة)

ياسيدى عطفا على عصبة * أفكارهم للقمح محبيه
قد طبخت بالسوق أحشاؤهم * فيالها طبخة قمحيه

(كتب) الصلاح الصفدى الى ابن نباتة وقد كان أهدى له ابن نباتة بسلا

ظننت العبد عن مصر تسلا * فأهدى جودك الوافى بسلا
نعم قد أذكرتنى عيش مصر * واقبالا من الدنيا تولى
طعاما فوقه لحم شهى * الى كل النفوس فكيف يقلى
ودهن فوقه قد صار صبا * تلظت ناره حتى تسلا

(المعمار فى المجون)

وصاحب جئت الى داره * فلم أجد بالباب من يحرس
دخلت للدار على غفلة * وجدته متكئا ينعس
فقال ما تبغى فقلت القرا * منكم فانى جائع مفلس
فجادلى بالدهن من رأسه * وجادت المرأة بالكسكس

(مطاعم شهية وملاذ ملوكية) سأل الوزير أبو نصر بن أبى زيد أبا منصور بن سعيد ابن أحمد البريدى وكان من أبناء الامراء والسادة بالبصرة عما يحبه ويشتهيه ويختاره من أطايب الاطعمة الملوكية فقال قشور الدجاج الفتية المسمنة المشوية والسكباجة الغمامة التى يجمع فيها بين لحم البقر والغنم ثم ينفى عنها لحم البقر وتحلى بالطبرزد وتطيب بالعنبر والهريسة بلحوم الحملان التى رضعت شهرين وربعت شهرين ومن اللحم المجذع والملبقة بالارز المدقوق والدهن بالسكر المسحوق المبخر بالند المشرب بالجلاب وماء الورد فقال يا أبا المنصور قد تحلب فى من هذا الوصف أشهد أنك من أبناء النعم والمروآت وأمر أن يلقيه على طباخه (ولما دخل الرشيد البصرة) فى سنة ست وتسعين ومائة زار جعفر بن سليمان بن على الهاشمى وكان يومئذ واليها فأحضر له جعفر بن سليمان على مائدته كل حار وبارد وأحضر ألبان الظباء وزبدها فاستطاب الرشيد طعومها فسأله عن ذلك فأمر بعض الغلمان فأطلق الظباء فتبعها أخشافها وعليها سملها حتى وقفت فى عرصت الدار تجاه عين الرشيد فلما رآها مفرطة مخصبة استفزه الفرح لذلك والتعجب حتى قال له جعفر يا أمير المؤمنين هذه الالبان واللبأ ورائب الزبد الذى بين أيدينا من هذه الظبية ألفتها وهى خشفان فتلاحقت وتلاقحت (نادرة) حضر الغاضرى عند بعض الرؤساء فقدم صحفة فيها أرز مطبوخ وقد قعر وسط الصحفة جلاب فأخذ الغاضرى الملعقه وخرق التقعير الى ما يليه حتى اختلط بالارز فقال له صاحب المنزل أخرقتها لتغرق أهلها فقال بل سقناه لبلد ميت (وقال) ابن الجصاص الصوفى دخلت على أحمد بن روح الاهوازى فقال ما تقول فى صحفة أرز مطبوخ فيها نهر من سمن على حافتيها كثبان من السكر المنخول فدمعت عيناى فقال مالك قلت أبكى شوقا اليه جعلنا الله واياك من الواردين عليه بالغواصة والردادتين فقال يا غلام قدمها فجاء بها تفور فقال لى ما الغواصة والردادتين فقلت الغواصة الابهام والردادتان

السبابة والوسطى فقال أحسنت بارك الله فيك (وكيفية الاكل) عند الظرفاء والادباء هو ان يقبض الانسان الخنصر والبنصر ويأكل باصابعه الثلاث وفى مذهب الظرفاء ان البنصر اذا أصابه الزفر فليس بظريف فى الاكل اللهم الا فى الثريد فان أكلها باربعة أصابع سوى الخنصر وقالوا الاكل على أربعة انحاء باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث من السنة وبخمس من الشره

(فصل) فيما يشهى المآكل قال بعضهم يصف سكردانا

وافى السكردان وفى * ضمنه مطبخات من فراريج
كأنه بدر قد رصعت * فيه ثريا من سكاريج

(وقال آخر فى عجة)

وجاءتنا بعجتها عجوز * لها فى القلى حس أى حس
فلم أر قبل رؤيتها عجوزا * تصوغ من الكواكب عين شمس

(وقال) ابن تميم فى لبأ وتمر

ياحبذا لبأ أتانا بكرة * يزهى لنا حسنا بانواع الرطب
فكانما أهدى سماء فضة * قد أشرقت فيها النجوم من ذهب

(وقال) صفى الدين الحلى يطلب جبنا

شغفت عنكم فلم أطلب لمجلسنا * من المآكل شيأ غالى القيم
لكن أقصى مرادى من هديتكم * مابال الكرائم من لامية العجم

(يريد قول الطغراى)

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * مابال الكرائم من جبن ولابخل

(وقال) صلاح الصفدى ملغزا فى قريشة

أى شئ يروق للنفس أكلا * ذابياض وأصله من حشيشه
جسمه أثقل الجمادات وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

(وقال) أبو الفرج الاصفهانى يصف بيضة

فيها بدائع صنعة ولطائف * الفن بالتقدير والتلفيق
خلطان ماويان ما اختلطا على * شكل ومختلف المزاج رقيق
صنع تدل على حقيقة صانع * للخالق طراليس بالمخلوق

فبياضها ورق وتبر محها * فى حق عاج بطنت بدبيق

(وقال) الشيخ جمال بن نباتة مقاضى ملوحة بدرب الحجاز يامولانا ماكأن الملوحة الا قد اتخذت سبيلها فى بحار السراب سربا أو تعلمت من تلك الهمة فاتخذت الى نهر المجرة سببا وجعل فضلها مقصورا على الاسماع وخلقت من الملائكة فلا يمكن على صورها الاطلاع ولاغرو فانها ذات أجنحة مثنى وثلاث ورباع وتوقفت من المنع والعطاء بين أمرين وحظيت من مولانا ومن الجناب الفخرى بمجمع البحرين وما أظن الظن ان يتفق هذا الظن هذا ولو انها من نسل حوت يونس عليه الصلاة والتسليم وان عظمها مما يسبح فى بطن آكله الى يوم يحيى العظام وهى رميم وان بينها الذمن القرب بعد البين الطويل ورأيها أحسن من رأى عمرو بن العاص فى الامر الجليل وان قصها اللؤلؤية مما تنتظم فى السلوك وأذيالها المرجانية مما ترصعه فى تيجانها الملوك وعيونها الدرية هى التى دلت الخضر على عين الحياة فوردها وان بطونها الذهبية غنى من قصدها وعلى الجملة فقد سطر المملوك هذه الورقة واقم الانتظار تزاحم القلم فى يده وأنامله المستعدة كالصنانير فى تصديها وتصيده فولانا يتدارك هذا الامر قبل ان يفوت ويأمر بانقاذها ولوانها بين السماء والارض عند الحوت ومكارمه المشهورة لاتقف فى البذل مع احتياط ولايغير عادتها طريق الحجاز ولولا الغلو لقال ولاطريق الصراط (نوادر فى هذا الباب) ذكر الشيخ علاء الدين الوداعى فى تذكرته ان الصاحب تاج الدين محمد بن حنا رحمه الله كانت له أخت ذات مال وكان كلما اجتمع بها حضها على طعام الفقراء والمساكين والصدقة وفعل الخير ويقول لها الا تتباخلى فقالت له يوما وقد قال لها لاتكونى بخيلة فقالت له ماتستحى كم تقول انت بخيلة وأنا كريمتك (قال) عبد الملك بن مروان لبعض الشعراء هل اصابتك تخمة قال أما من طعام الامير فلا (وقال) بعضهم أربعة مسوخة البركة أكل الارز البارد والغناء من وراء الستارة والقبلة فوق النقاب والجماع فى الماء (وقال) بعض الصوفية من جلس على مائدة فأكثر الحديث فقد غش بطنه (قيل) لطفيلى لم أنت حائل اللون قال للفترة بين الطعامين مخافة أن يكون قد فنى الطعام (أولم طفيلى) على ابنته فأتاه كل طفيلى فلما رآهم رحب بهم ثم رقاهم الى غرفة بسلم وأخذ السلم حتى فرغ من طعام الناس أنزلهم

وأخرجهم (دعا) يحيى بن أكثم ندوله فقدم اليهم مائدة صغيرة فتضاموا عليها
حتى كان أحدهم يتقدم فيأخذ اللقمة ثم يتأخر حتى يتقدم الآخر فلما خرجوا
قيل لهم أين كنتم قالوا كنا في صلاة الخوف (الحرث) ابن كلدة اذا تغدى أحدكم
فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وفي قوله تعالى ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا أفاد الجناب الجدي رحمه الله ان قوله
تعالى على حبه مما يستشهد به في البديع (قدم) رجل كذاب من سفره وقد
أفاد من سفره مالا كثيرا فدعا قومه الى الطعام وجعل يحدثهم ويكذب فقال
أحد القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت (عبر) بعض
الطفلية على قوم وهم يأكلون فقال السلام عليكم أيها القوم اللئام فقالوا لا والله
الا الكرام فقال اللهم اجعلهم صادقين واجعلني كاذبا وقعد يأكل (وعبر)
طفيلي أيضا على قوم وهم يأكلون فقال هل تحتاجون الى مساعدة فقالوا
بالدعاء فقال لاهنا كم الله ان لم تأذنوا لي بالاكل معكم وما أحسن قول ابن دانيال
في شخص يدعى على شبر

اذاما كنت متخوما فكن ضيف على شبر * فما يخرج منه الخبز الا بالمناشير

(فائدة جليلة) ذكر التوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة من أدمن
الاكل والشرب في أواني النحاس أفسدت مزاجه وعرضت له أمراض
صعبة وان أدنيت أواني النحاس من السمك شممت لها رائحة كريهة وان
كبت آنية النحاس على سمك مشوي أو مطبوخ بحرارتهما حدث منه سم
قاتل (ومنه) قيل اصوفي ماحد الشبع قال لا حد له ولو أراد الله تعالى أن
يؤكل بحد لبين كما بين جميع الحدود وكيف يكون للاكل حد والاكلة مختلفون
بالطباع والمزاج والعارض والعادة وحكمة الله تعالى ظاهرة في اخفاء
حد الشبع حتى يأكل من شاء ما شاء كما شاء (وقيل) لفقيه ماحد
الشبع قال مانشط على اداء الفرائض وثبط عن اقامة النوافل (وقيل)
لمتكلم ماحد الشبع قال حده ما يجلب النوم ويضجر القوم ويبعث على
الكوم (وقيل) لاعرابي ماحد الشبع قال أما عندكم يا حاضرة فلا أدري
وأما عندنا في البادية فما وجدت العين وامتدت اليه اليد ودار عليه الضرس
وطابت له اللهاة وأساغه الحلق وانتفخ له البطن واستدارت عليه الحوايا
واستغاثت

واستغاثت منه المعدة وتقوست منه الاضلاع والتوت منه المصارين وخشيت
منه الموت (وقيل) لملاح ماحد الشبع قال حد السكر قيل فما حد السكر قال ان
لا تعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض (وقيل) لمدني ماحد الشبع
فقال لا عهد لي به فأحده فكيف أصف ما لا أعرف (وقيل) لسمرقندي ماحد
الشبع فقال اذا جحظت عينك وبكم لسانك وثقلت حركتك وازجحن بدنك
وزال عقلك فأنت في أوائل الشبع قيل اذا كان هذا أوله فما آخره قال
ان تنشق نصفين (قيل) لجمال ماحد الشبع قال اني أواصل فما أعرف الحد
ولو كنت أنتهي لوصفت الحال فيه أعني ساعة أعجن الدقيق وساعة أمل الملة
وساعة أثرد وساعة آكل وساعة أشرب ابن اللقاح فليس لي قرار فأدري اني
بلغت الشبع الا اني أعلم في الجملة ان الجوع عذاب وان الاكل رحمة وان الرحمة
كلما كانت أكثر كان العبد الى الله اقرب والله عن العبد أرضى (قال) اسحق
كنت يوما عند أحمد بن يوسف فدخل علينا أحمد بن أبي خالد فجرى ذكر الغناء
فقال لا والله لا أجد شيأ مما أنتم فيه فهان علي وخف في عيني فقلت له
كالمستهزئ به جعلت فداك قصدت الى ارق شئ خلقه الله وألينه على القلب
والاذن وأظهره للسرور والفرح وأنفاه للهم والحزن وما ليس للجوارح منه
مؤنة انما يقرع السمع وهو منه على مسافة فتطرب له النفس فذممته ولكنه
كان يقال لا يجتمع في كل رجل شهوة كل لذة وبعد فان شهوة كل رجل على قدر
تركيبه ومزاجه قال أجل أما أنا فالطعام الرقيق أعجب الي من الغناء فقلت
أي والله ولحم البقر والجواميس والتيوس الجبلية بالباذنجان المبزر أيضا تقدمه
فقال الغناء مختلف فيه وقد كرهه قوم قلت فالاختلاف فيه من أطلقه لنا حتى
يجتمعوا على تحريمه أعلمت جعلت فداك ان الاوائل كانت تقول من سمع
الغناء على حقيقته مات فقال اللهم لا تسمعناه على حقيقته اذن فنموت فاستظرفته
في هذه اللفظة وقدموا اليه الطعام فشغله عن ذم الغناء (نظر) بعضهم الى
مائدة بخيل يوضع عليها دجاجة فلا تمس ثم ترد من الغد فلما مضت عليها أيام
قال يا أخي هذه الدجاجة عمرها بعد موتها أطول من عمرها حال حياتها (ولقي)
رجل أبا الحرث جمين وقد تعلق به غلام فقال يا أبا الحرث من هذا فقال غلام
الفضل بن يحيي كنت عنده ولي هذا بالامس فقدم الينا مائدة عليها رغيفان

قد عملا من نصف خشخاشة وثريدة في سكرجة وخبيص في مسعط فتنفست الصعداء فدخل الخوان وما علق منه في أنفي فولاه بطالبني بالقيمة قال الرجل أستغفر الله مما تقول فأومى الى غلام كان معه فقال غلامي هذا حر ان لم يكن ما قلته صحيحا ولو ان عصفورا وقع على بعض قشور ذلك الخشخاش الذي عمل منه ذلك لمارضي مولى هذا حتى يؤتى بالعصفور مشويا بين رغيفين والرغيفان من عند العصفور ثم قال وعليه المشي الى بيت الله الحرام ان لم يكن اذا عطش بالفرعاء رجع الى دجلة العوراء حتى يشرب منها صحيحا ولو ان مولى هذا كلف في يوم قائظ ان يصعد على سلم من رمل حتى يبلغ كوا كب بنات نعش فيلقطها كوكبا كوكبا لكان ذا أسهل عليه من أن يشم شام تلك الثريدة أو يذوق ذائق تلك الخبيصة فقال الرجل عليك لعنة الله وعليه ان كان سمع بمثل هذا

(فصل) في الطست والابريق والخلال والمحلب والاشنان والمنشفة وآداب غسل اليد وكيفية الاستعمال ولا بأس بغسل اليد في الطست وان ندب الى ذلك فليقبل الكرامة ولا يردها (قال) دفترخوان

والطست ان رام اليك المقصدا * فلا تخالف من يقول اغسل يدا
وصاحب المرش دعه ساكبا * ولا تقل بس اكتفيت كاذبا

وعن ابن مسعود رضي الله عنه اجتمعوا على غسل الايدي في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم وقالوا غسل اليد في الطست في حالة واحدة أدخل في التواضع ويقتضي ان يجتمع الماء فيها وقال قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر لم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن الا نفسه وفي حديث آخر الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم واللمم مس الشيطان والطست الطس بلغة طيء أبدل من أحد السينين تاء للاستثقال فاذا جمعت وصغرت رددت السين لانك فصلت بينهما بالتاء فقلت طساس وطسيس وهو أعجمي معرب أصله طشت بالشين المعجمة فلما عرب قيل بالسين المهملة (الابريق) عربي صحيح وهو افعيل من البريق وقال الحريري في المقامات اياك واستدعاء المرجفين قبل استدعاء حلول البين أراد بالمرجفين الطست والابريق لان الاتيان بهما يؤذن بالقيام وفراغ الطعام وما أحسن

قول القاضي الفاضل في المقامة العسقلانية يصف المائدة

وتناوبتها الالوان * صنوان وغير صنوان
وأبطأ القوم بالمرجفين فلا يرجفان ولا يوجفان

وأتينا بغاسول تحظى به الافواه والانوف ولا يوجد بعده بفم الصائم خلوف (وقيل) ان كنية الاشنان أبو اياس وكنية الملح أبو عون وسمعت بعضهم يسميهما البداية والنهاية (ولهذا) حكى ان بوران بنت الحسن بن سهل لما تزوجها المأمون وأراد أن يدخل بها جعل الناس يهدون لابيها الاشياء النفيسة وكان بالقرب منهم رجل من الادباء فأهدى اليه مزودا فيه ملح مطيب ومزودا فيه اشنان وكتب اليه معهما اني كرهت ان تطوى صحيفة أهل البر ولا ذكر لي فيها فوجهت اليك بالمبدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته ومع ذلك

بضاعتي تقصر عن همتي * وهمتي تقصر عن مالي
فالملح والاشنان يا سيدي * أحسن ما يهديه أمثالي

(وذكر) القاضي الرشيد بن الزهر في كتابه العجائب والطرف ان سيد الوزراء أبا محمد اليازوري وجد في موجوداته طستا وابريقا من البلور فأفرط في استحسانه لهما ولعظيم قدرهما ان المستنصر وهبهما له ووجد أيضا مدهن ياقوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا أخذه سرا من السلطان في خزانته حين قبض عليه في سنة خمسين وأربعمائة ولما أخرج السلطان الذخائر المصرية عند أيام فتنة ناصر الدولة وجد فيما أخرج من دار ناصر الدولة تسعين طستا وتسعين ابريقا من صافي البلور وجيده كبارا وصغارا (وقال) ابن معقل فيما يكتب على سفرة الطست

لم أصحب الطست من شوق اليه ولا * جعلت خدي له أرضا وماشعرا
لولا وصولي به يوما الى ملك * يصيبني فضل ماينفي به الغمرا
وغيرة ان يمس الترب مبتذلا * ما مس كفيه من ماء اذا قطرا

(وقال) جلال الدين بن المكرم في الطست والابريق والمنشفة

ولي صاحب ينفي الاذى عن جوارحي * فيخرجني منه نقيا مطهرا
وآخر يحويه فيجعل الذي * كان لي منه اليه مصيرا
وثالثة غارت افعلهما فلا * تزال تعفي ما تجمعي أثرا

(وقال) أبو طالب المأموني

منشفة نحملها اتخال بها * قدفت كافورة على طبق
كأنما أنبتت خمائلها * ما ارتشفت من لآلئ العرق

(الأشنان) عمل لهارون الرشيد يؤخذ من القرنفل والسليخة والقرفة والقاقلي والفلنجة من كل واحد جزأ ومن المصطكي والاذخر والسعد والميعة اليابسة جزء ومن المرزجوش ثلاثة أجزاء ومن الطين الابيض المكي خمسة ومن الاشنان البارد ضعف ذلك أو ثلاثة اضعافه ومن الارز الابيض المبلول المجفف المنخول مثل الاشنان يدق كل واحد على حدته ويخلط (صفة) بنك محمص يؤخذ من البنك الاصفر المجر وزن ثلاثين درهما ومن القرنفل عشرين درهما ومن الزعفران خمسة دراهم ومن الورد خمسة عشر درهما ومن السليخة الحمراء الرقاق والسنبل من كل واحد ستة دراهم يدق الجميع بأمره ويطحن ويحمص بماء الورد ويبخر بالعود الند والكافور والزعفران تبخيرا جيدا فانه يجيء غاية من الغايات (كيفية تناول الاشنان) أشنان الملوك والرؤساء هو طيب من جملة الطيوب وهو يجعل في اشنان دان له غطاء يحفظ رائحته ويكون له ملعقة يتناول بها الغلام الاشنان ولا بأس باليد البتة ولاسيما بيد الغاسل فانه ان أدخل يده فيه زفرة فسد جميعه بسرعة قبول الطيب الفساد بدخول أدنى سبب من الرائحة الكريهة عليه للطف جوهره (كان) بعض الظرفاء اذا قدم اليه الطعام تناول بعض الادهان العطرة الطيبة فمسح به يديه فلا يتمكن الزفر من مسامها ولا يعلق بهما طائل منه والذي يعلق يسهل زواله بأدنى غسل (وقالوا) كان كسرى في زمن السفرجل يتناول قطعة سفرجل وفي غير زمانه يتناول مرباه فيأكلها عندما يقدم اليه الطعام فيتخلل ما بين أسنانه ويمرره بالسفرجل فلا يعلق بهما من مضغ اللحم طائل وكان يستعمل على مائدته بين كل لونين ملعقة رمان ليغسل فمه من الطعام الاول فيذوق الطعام الثاني خالص الطعم من شوب الطعام الاول فيدرك فرق ما بين الطعامين ويلتذ بكل واحد بمفرده ومن آداب الملوك ان لا يغسل الانسان يديه في مجلس الملك أو بحضرة الرئيس ولا بحيث يراه الا باذنه وكذلك يصنع في الخلال فانه من اسوأ أدب الجليس وان أذن الرئيس لجليسه في الغسل في مجلسه وأحب ان يتخلل فليعتزل بحيث

لا يراه

لا يراه ولا يقع نظر الرئيس عليه (وحكي) ان أول غضب المعتصم على الافشين وكان حظيا عنده انه أكل عنده ثم دعا بالطست فغسل يده بحيث يراه المعتصم فقال المعتصم هذا التيس الطويل اللحية يدعو بالطست حيث أراه ثم من آدابه لمن يؤذن له به ان يستقصي ازالة الزفر ولا يقصر في غسل يده (يحكى) ان رجلا قصر في غسل يده في دعوة بعض الظرفاء فقال له رب الدعوة اتق يدك والا دنست منديلنا (وكان) عبد الله بن سليمان يبطئ في غسل يده ويقول من حكم اليد أن يكون زمان غسلها بمقدار زمان أكلها (وسأل) المأمون اليزيدي معلم ولده العباس عن أخلاقه فأخبره انه لا يفلح ولا همة له قال كيف علمت ذلك قال رأيته قد ناوله الغلام اشنانا فاستكثر ما وقع في يده منه فرده في الاشنان دان ولم يلقه في الطست فعلمت انه بخيل والبخيل لا يصلح للملك فكان الامر كما قال وليحترز عند غسل اليدين من الرشش على من يليه أو نفض يديه بالماء اذا فرغ أو التنخع في الطست أو المخاط فيه (الخلال) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تخللوا فانه نظافة والنظافة من الايمان والايمان مع صاحبه في الجنة وفي حديث عمر رضي الله عنه عليكم بالخشنين يعني الخلال والسواك وقال أبو هريرة رضي الله عنه السواك بعد الطعام يذهب وضر الطعام وفي حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم أمر بالخلال ونهى عن ان يتخلل بالرمان والقصب وقال انهما يحركان عرق الآكلة وفي رواية يحرك عرق الجذام (وفي كتاب) طب أهل البيت عليهم السلام عنه صلى الله عليه وسلم الخلال يجلب الرزق (وفيه) من تخلل بالقصب لم تقض له حاجة سبعة أيام وعن أبي أيوب الانصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حبذا المتخللون قالوا يا رسول الله ما المتخللون قال التخلل من الطعام فانه ليس شيء أشد على الملك الذي على العبد ان يجد من أحدكم ريح الطعام (والخلال) عمله من الصفصاف وعيدان الخلاف وطبع الصفصاف بارد يابس قليل الاضرار بالاسنان كثير النفع لها وهو أجود ما استعمل وخللت به الاسنان من الزهومات مأمون عليها (ومن مستطرف المعاني) وان لم يكن من غرض هذا الفصل لكن الحديث شجون ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خطه بالقاهرة المحروسة سيدنا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومي المالكي الشهير بالدماميني رحمه الله

أفديه من ظبي غزالي * بلواحظ تبغي قتالي
ورآه يضمر بالجفا * في خاطر منه وبال
ما للعذول اذا أبحت لحسنه روحي ومالي
والجسم من عشق لذا لك الثغر أصبح كالخلال

(رجع) الى ما كنا فيه والخلال المأمون هو زهر قضيب نبت في الصحراء يقال انه الجزر البري وهو حار يابس بزره اذا استف ألقى الدود من الجوف واغا سمي المأمون لقلة أذاه للاسنان واللثة للينه وهو خلال تستعملها العوام من الناس (الادب في الخلال) قال صاحب سرور النفس ورأيت في زماننا من يغلط في تناول الخلال فاني رأيت في بعض مجالس الوزراء من الطستدارية من يضع الخلال خلف أذنه ويقدم الطست ثم يناوله مخدومه من ذلك الموضع وهو موضع قذر لا يخلو غالبا من أذى ولو كان حامله أنظف الناس وأظرفهم وأما تناوله فاني رأيت كثيرا بعد الفراغ من الغسل ليده وفمه ورفع الطست يتناول الخلال وذلك خطأ من وجهين أحدهما انه اذا تخلل وهو مغسول الفم خرج اللحم من عموره وأسنانه الى فمه فعاد الزفر وبطلت فائدة الغسل والاخرى انه يلقي ما خرج بالخلال على البساط وحيث اتفق من مواضع مجالسه وتلك قذارة وان كانت محقرة المقدار فالتنزه عنها أشبه بذوي الاقدار (وآداب المناولة في الخلال) ان يكون مع الطستدار ملف وفافي ورقة بيضاء فاذا أخرجه وضع احدى رأسيه بين أصبعيه السبابة والوسطى ومد به يده للرئيس وهو قائم فيتناوله الرئيس وهو على الطست فيتخلل ويلقي ما يخرج بالخلال في الطست أيضا ويلقي الخلال في الطست ثم يغسل يده وفمه (وقال) ومن أقبح ما رأيت في أخذ الخلال أن بعض الرؤساء يتناول الخلال بيده وهي زفرة فيرشقه في شعر لحيته ويغسل يديه ويتحدث طويلا والخلال مغروز في لحيته وذلك أقبح ما يكون ورأيت هذا الرئيس الذي أشرت اليه يأخذ الخلال بعد غسل يده وتنظيفها ومسحها بالمنشفة فيستعمل الخلال ويضعه في شعر لحيته تظرفا منه (قال) كاجم وأخذ الخلال من المروءة لتنظيف الاسنان وتنقيتها من زفر اللحم لان اللحم اذا بات في الاسنان أنتن لا سيما اذا كان فيه صلابة والخبز ايضا اذا بات في الاسنان أنتن الفم وصفر الاسنان (استشارت) امرأة امرأة في رجل تتزوجه فقالت لا تفعلي فانه

وكلة

وكلة تكلة يأكل خلاله ووكلة وتكلة بمعنى واحد كرر للمبالغة وهو الذي يتكل في الامور على غيره ولا يباشرها بنفسه والتاء في تكلة واو كما قالوا في تراث وهو من وراث والخلال ما يخرج من بين الاسنان عند التخلل قال أبو هلال العسكري وليس في اللوم شئ من الكلام أبلغ من هذا (ولبعضهم فيه)

وناولني من كفه شبه خصره * وشبه محب ذاب من طول هجره
وقال خلالي قلت كل جديدة * سوى قتل صب حار فيك بأسره

(وقال) الفقيه أبو الحسن بن عبد الكريم الانصاري

وخلال صنع السقم به * من نحولي في الهوى ما قد وجب
اذهب الجسم وأبقى رأسه * وكأن الرأس كالجسم ذهب
مغرم بالبيض يسعى نحوها * لارتشاف الثغر أو ورد الشنب

(في الاحتياط) باعتبار الاسباب المتعلقة بغسل اليد المؤدية الى الهلاك ذكر جماعة من المصنفين وفي كتاب شاناق وزناطاح الهنديين صفات مياه تمزج بماء القراح وتخفى فيه فمن اغتسل بها أو تمضمض منها اتصل به بسام جلده ولهواته داء مهلك ومنها ما تحمر به الاسنان ومنها ما ينقع فيه الخلال ومنها ما يجعل في الثياب والمناشف والمناديل ومنها ما يسقى به موضع الفصد فيفعل ذلك وأوصوا واحترزوا وأكثروا في الاحتراز من ذلك لما يجب من حفظ مهج الملوك ومهج مدبري دولهم والذي يجب الاحتياط فيه أربعة الاشنان والماء والمنشفة والخلال ولكل واحد منها نوع من الاحتياط يخصه أما الاشنان والماء فوجه الاحتياط فيهما هو ان الغلام اذا قدم الطست جثا على ركبتيه ثم قدم قدح الاشنان والمحلب أو البنك ففتحه ثم أخذ الملعقة فحرك بها الاشنان جميعه حتى يقلبه ظهرا لبطن ثم يتناول برأس الملعقة منه يسيرا قدر الدرهم أو ما يقاربه فيجعله في كفه ثم يستفه ويعمد الى الابريق فيمسكه بيده اليسرى ويبسط يده اليمنى ويجمعها قليلا ويصب فيها الماء من الابريق ويشربه على أثر سف الاشنان ثم يوضع الابريق ويتناول الرئيس الاشنان بالملعقة ويسكب عليه الماء وأما المنشفة فانه يكون مع الغلام منشفتان احداهما يناولها للرئيس عندما يقدم الطست يضعها مبسوطة على حجره تقي ثيابه رش الماء الزفر والاخرى تكون مطوية معلقة في وسطه على طيها وهي التي يجفف

يده بها فهذه اذا وضع الطست بين يدى الرئيس أو الملك وقبل ان يناوله الاشنان يقوم قائما ويأخذها ويجعلها فى يده اليسرى ثم يجمع حواشيها باليمنى الى آخرها ثم يقيمها قائمة ويقبض عليها بيده اليسرى من تحت اليمنى ويسلتها بيده اليسرى سلتا قويا ثم يمسكها باليسرى من وسطها ويثنيها ويقبض عليها باليمنى من تحت يده اليسرى وهى مثنية كما فعل باليسرى وهى غير مثنية ثم يسلتها باليمنى الى آخرها ثم يجمعها بين يديه ويفركها ثم يقبض عليها من حاشيتها الاخرى ويقيمها قائمة كما جعلها فى المرة الاولى ويسلتها بيده حتى يستوى تجعيدها ثم يعلقها فى وسطه وحينئذ يجوز لمناولة الاشنان وأما الخلال فقد ذكرنا انه يجب ان ينقع ليلة أو ليلتين ويعوج عند التخلل لئلا يقشط بين الاسنان فيكون له قدح صغير من زجاج طول الاصبع بحيث تدخله الاصبع يجعل فيها ماء ورد أو ماء قراح وماء الورد أنفع لان فيه قبضا تنتفع به الاسنان ويشد اللثة ثم يترك فيه الخلال قبل الحاجة اليه فاذا احتيج اليه أخرج الغلام قدح الخلال مغطى بغطاء محكم مغلفا بغلاف من أديم معد وله يعلقه الغلام فى وسطه فيعمد الى ماء الورد أو الماء الذى يكون فيه الخلال واليسير منه يجرى فيصبه فى راحته ويشربه جميعه ثم يناول الرئيس حينئذ الخلال على الصورة السابقة فى مناولته ثم ذلك (وفى ربيع الابرار للزمخشرى) أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام ولبعض الادباء فى رئيس بيده صابونة

صابونة فى راحتى ماجد * قد أضحت السحب لها حسدا
تلاطم البحران من حولها * فأصبح الموج بها مزبدا

(الباب الثانى والثلاثون فى الماء وما جرا مجراه)

قالوا وينبغى ان لا يشرب الماء على المائدة ولا بعد الاكل الى أن يجف أعالى البطن الا بقدر ما يسكن بعض العطش ولا يروى منه ريا واسعا حتى اذا جف البطن وانحدر الطعام استوفى منه ومن المشروب وفى آداب شرب الماء أحاديث نبوية ومنها أدبية حض عليها العلماء فى مراعاتها أما الشرعية فلا يشرب قائما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم أحدكم ما فى بطنه اذا شرب قائما لاستقى ومنها ان تمز الماء مزا ولا تعبه عبا وروى عن النبى صلى الله

عليه

عليه وسلم انه قال الكباد من العب والكباد داء الكبد ومنها ان لا يستوفى الماء الى آخره ومنها ان يناول من على يمينه ومنها ان لا يشرب من ثلمة الاناء هذه كلها من احياء علوم الدين ومن آداب الماء ان يجلس ويتناول الكوز بيمينه ويسمى الله عز وجل وينظر فى الاناء قبل الشرب ويضع يده اليسرى من تحته لعله يكون قد وضع على موضع يقطر منه على ثيابه قطرة غير نظيفة ثم يشرب ثلاثة أنفاس ولا يتنفس فى الكوز ويحمد الله تعالى بعد الشرب وان يسر ان كان معه غيره (آدب شرب الماء) فى مجالس الملوك اتفق أكابر العلماء بالادب ان استدعاء الكوز فى مجلس الملك والرئيس وشرب الماء فى مواجهته من سوء الادب وأما مجلس الملك خاصة فلا سبيل الى شرب الماء فيه البتة (ذكر) فى سيرة كافور الاخشيدى حكاية ينتفع بسماعها من يلزم مجالس الملوك قالوا كان أبو جعفر مسلم وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير عند كافور عشية صيف ولم يكن عنده غيرهما فقال لهما قد اشتد الحر وللثلج أيام ما جاءنا من الشام وما كان كافور يذوق الثلج وانما كانت الكيزان توضع عليه فيشرب منها وبهذا سلم من ضرر الثلج فبينما هم كذلك اذا خبر بمجيء الثلج فقال هاتوا ثلاث كيزان فجاؤا بها فأخذ كافور كوزا فشربه وأخذ أبو الفضل كوزا وشربه وأخذ أبو جعفر كوزا وقام فخرج من المجلس وشربه ثم عاد وأكب على يد كافور ثم قعد أبو جعفر ساعة وانصرف وأراد أبو الفضل ان ينصرف فشاغله كافور ثم قال هاتوا أبا اليمن فجاء فقال زد فى جراية الشريف أبى جعفر ألف دينار فى كل عام وانما أجلس أبا الفضل ليريه مكافأته لابى جعفر عن حسن أدبه معه فى شرب الماء (كتب) أبو الخطاب الصابى الى ابن عمه أبى اسحق الصابى مع كوز ما بعث به اليه بشرط المودة أطال الله بقاء سيدى أن لا أنفرد دونه بلذه ولا اختص قبله بعطيه اذ كان لا فرق بين محبتى ومحبته ولا فصل بين مبرتى ومبرته وقد شربت الساعة فى هذا الكوز فوجدته أعذب ارتشافا من الافواه وأحلى مصا من الشفاه وأصفى جوهرا من فاخر الدر وأنقى من الثنايا الغر وأرق طبعا من الهوى وأخف وزنا من الهبا وأعبق طيبا من نسيم العنبر وأذكى رائحة من المسك الاذفر

رقت حواشيه فخف على الانامل والقلوب

فكأنه مستعمل * من طيب أنفاس الحبيب

ينم على القذا ولا يحول بين الماء والهوى يلطف عن صفاء الزجاج ولا يحوج الغلام الى الثلاج ان أفرغ شف وان أترع رف تتساوى المياه فيه عذوبه وتعجب العيون قبل النفوس رؤيه

اشهى الى الابصار من * وجه الحبيب بلا رقيب

تهدى لنا أنفاسه * ما فيك من كرم وطيب

حتى كأن طينته من طينتك وعذوبته مشتقة من عذوبتك وقد أنفذته مملوءا اليك لتعلم ان قلبي مملوء من المحبة عليك والسلام (وقال) صالح بن يونس فى كوز ومرفع

أم الحياة على سرير من نحاس * عريانة أبدا بغير لباس

هى فى الممات لدى الورى معدودة * لكنها ضمنت حياة الناس

وأهدى رجل لرئيس كيزانا وكتب اليه

ما بعثت الكيزان الا احتيالا * جعلت مهجتي وروحى فدا كا

منعتنى الايام تقبيل كفيك فارسلتها تقبل فاكا

ولا يسمى الكوز كوزا الا اذا كان له عروة والا فهو كوب وعلى ذلك فسر قوله عز وجل وأكواب وأباريق ولذلك نظائر فى اللغة وهو ان المائدة لا يقال لها مائدة الا اذا كان عليها الطعام والا فهى خوان كما تقدم ولا يسمى الكأس كأسا الا وفيه شراب والا فهو قدح والى ذلك أشار العلامة ذو الوزارتين وامام العروتين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب وزير صاحب الاندلس وكاتم سره فى قوله لما وقف على كتاب ديوان الصبابة تأليف الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة مخاطبا له على قوله فى الكتاب المذكور

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى * وسار بهم فى كل شرق ومغرب

مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل * يشبب فيها بالرباب وزينب

قوله هذه الابيات

يا من ادار من الصبابة بيننا * قدحا يتم المسك من رياه

وأتى بريحان الحديث فكلما * صبح النسيم براحة حياه

أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى * لكن أهيم بذكر من أحياه

(أنشدنى)

(أنشدنى) هذه الابيات المرحوم فخر الدين بن مكانس وذكر ان شهاب الدين ابن ابى حجلة أنشده اياها وانه تبجح بكونه مدح كتابه قال فقلت له يا شيخ شهاب الدين خسر عليك لسان الدين وذكر ان كتابك فارغ من المحاسن قال وكيف ذا قلت لقوله

يا من أدار من الصبابة بيننا * قدحا يتم المسك من رياه

أما علمت أن الكأس لا يقال له كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهو قدح فامتغص له شهاب الدين وأخبرنى ان لسان الدين عارضه بكتاب سماه روضة التعريف بالحب الشريف فى التصوف أنتهى (رجع) الى ما كنا فيه سأل رجل الشيخ أبا الفرج بن الجوزى رحمه الله ما للناترى الكوز الجديد اذا صب فيه الماء نش وخرج منه صوت فما معناه قال له يا ولدى ذاك صوت شكواه يشكو الى برد الماء ما لقيه من حر النار فقال السائل فما للناتراه اذا امتلأ ناه لا يبرد فاذا نقص برد فقال الشيخ حتى تعلموا أن الهوى لا يدخل الا على ناقص (وذكر) الوداعى فى تذكرته قال حدثنى جماعة من أهل عانة وهيت بالعراق انه اذا كان أوان الاربعينيات ملئت فاذا انقضت رفعوها الى زمان الصيف وشربوا فيها الماء فانها تبرده بردا كثيرا يقوم مقام الثلج انتهى (قلت) وذكر لى الوزير فخر الدين بن مكانس رحمه الله ان ماء طوبا اذا شيل الى الصيف وسكب منه فى آنية الماء برده الى الغاية وان ماء هذا الفصل لا يفسد اذا شيل بخلاف غيره من الفصول (وما أحسن) قول ابن عبد الظاهر ملغزا فى شربة

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب

(قال) وأهل مصر تقول للزير الحب واليه أشار المرحوم فخر الدين بن مكانس فى السبيل الذى أنشأه الوزير الملكى الشهير بالنشو بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنهما آمين

أنشى القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته فى وزره

بالجامع العمرى سبيلا وقد * قالت لنا عنه بنو مصره

هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

(أنشدنى) الشيخ شمس الدين الزئبس لنفسه وكتبها على الخوابى

ترفق أيها الساقى * وزد فى اللطف بالصب
وداوا القلب لى واعلم * بأنى منزل الحب

(فصل) فى المحمود من المياه قال ابن النفيس فى الموجز أفضل المياه مياه الانهار وخصوصا الجارية على تربة نقية فيتخلص الماء من الشوائب أو على حجارة فيكون أبعد عن قبول العفونة وخصوصا الجارية الى الشمال والمشرق وخصوصا المنحدرة الى أسفل وخصوصا اذا بعد المنبع فان كان مع هذا خفيف الوزن يخيل لشاربه انه حلو ولا يحتمل الشراب منه الا قليلا فذلك هو البالغ وماء النيل قد جمع أكثر هذه المحامد وماء العين لا يخلو من الغلظ وأردأ منه ماء البئر وماء النز أردأ وأما الشرب على الريق وعقيب الحركة وخصوصا الجماع وعلى الفاكهة وخصوصا البطيخ فردى جدا سواء كان المشروب ماء أو شرابا فان لم يكن بد فقليل من كوز ضيق الرأس امتصاصا وكثيرا ما يكون عطش عن بلغم لزج أومالح وكلما روعى بالشرب حركه فان صبر عليه انضجت الطبيعة المادة المعطشة واذا بتها فيسكن من ذاته وفى مثل هذا كثيرا ما يسكن بالاشياء الحارة كالعسل (قلت) وعلى ذكر النيل فلا بأس بايراد نبذة مما قيل فيه (قال) الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى كتابه السكردان ذكر المهدوى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر يجرى على وجه الارض فى المشرق والمغرب وذلله له فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فاذا انتهى جريه الى ما قدره الله تعالى أمر كل نهر أن يرجع الى عنصره ومصداق هذا الا ترى ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت وينقص اذا زادت لانها والله أعلم تمده بمائها (وفى) أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال الثلج وهى جبل قاف وانه يخترق البحر الاخضر بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد فيسير ماشاء الله تعالى الى أن يأتى بحيرة الزيج قال الحاكى لهذا القول ولولا ذلك يعنى دخوله فى البحر المالح وما يختلط به منه لما كان يستطاع ان يشرب منه لشدة حلاوته وقال قوم مبدأه من جبل القمر وأنه ينبع من اثنى عشر عينا واختلف فى سبب زيادته ونقصانه فقال قوم لا يعلم ذلك الا الله تعالى وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب يشتهى أن يعرف أصل هذا النيل فرسم أن

تشترى

تشترى عبيد صغار زنوج وماشا كلهم جلب لم يستعربوا وسلمهم لصيادى السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير فاذا مهروا فى ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل وكان فرعون يجبى خراج مصر فى كل سنة ألف ألف دينار فيأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهل بيته وبيت ماله والربع الثانى لوزرائه وأمرائه وكتابه وجنده ويكنز الربع الثالث ذخيرة ويصرف الربع الرابع فى حفر الخلجان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح الارض وكان فى كل سنة اذا كمل التخضير ينفذ مع قائدين من قواده أردبين قمح فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائد كل ناحية وأرض كل قرية فان وجد موضعا بائرا عاطلا قد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه اسم العامل وأخذ ماله وولده فربما عاد القائدان ولم يجدا أحد منهما موضعا لبذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزرع وجباها عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار وكان ذلك أول دخوله اياها والكلام على ذلك طويل

(ومما) قالت الفضلاء فى النيل المبارك فمن ذلك قول علاء الدين الوداعى

روّ بمصر وبسكانها * شوقى وجدد عهدى الخالى
وصف لى القرط وشنف به * سمعى وما العاطل كالحالى
وار ولنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى

رأيت فى أرض مصر مذ حللت بها * عجائبا ما رآها الناس فى جيل
تسود عينى فى الدنيا فلم أرها * تبيض الا اذا ما كنت فى النيل

(وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباتة

زادت أصابع نيلنا * وطمت فأكمدت الاعادى
وأتت بكل جميلة * ماذى أصابع ذى أيادى

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

لنيل مصر كمال فى زيادته * وفضله غير مخفى ومكتتم

اذابدت لك من تياره شيم * رأيته طاهر الاوصاف والشيم

(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله

سما النيل اذ يحكى السما فى انبساطه * فلله ما أحلى وأصدقه حاكى

تسير به الافلاك شرقا ومغربا * وحافاته أيضا تحف بأملاك

(وقال) الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة

نشروا القلوع وبشروا بوفائه * الراية البيضاء عليه بالوفاء

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفا والخلق قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر أزاهره

وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

(وقال) الشيخ سديد الدين بن كاتب المرج

يا نيل يا ملك الانهار قد سقيت * منك البرايا شرابا طيبا رغدا

وقد دخلت القرى تبغى منافعها * فعمها بعد فرط النفع منك أذى

فقال تذكرعنى اننى ملك * وتتنى ناسيا ان الملوك اذا

(وقال) ابراهيم المعمار

سمعت يوما سد مصر يقل * النيل وافى زائدا عندى

فكأن هذا خبر صادق * فرحت أرويه عن السدى

وفى هذه النبذة كفاية وعلى الجملة فمحاسن النيل مستكثرة ولو استوعبنا ما للفضلاء فى ذلك من النظم والنثر لحفيت من تسطيرها الاقلام وضاقت صدور الاوراق وما أحق هذه المقاطيع ان تسمى مقاطيع النيل (رجع) الى ما كنا فيه أنشدنى من لفظه لنفسه ونقلته من خطه الشيخ الفاضل زين الدين ابن العجمى رحمه الله ملغزا سألتك أعزك الله عن سائل لا حظ له فى الصدقة وان لم يكن متصل النسب بالاشراف كثير الرجفان من غير أن يخاف كم ردّ سائله نهرا وعفر وجه قاصده بالتراب قهرا مذ كر كثير الحيض لطيف الانبساط سريع الغيض مطاق التصرف وعليه الحجر وطالما قبل العشاء أبدى لنا الفجر يتشعب ويتكسر ويتعوج ويتدور وله خمسون عينا وأكثر يحمل القناطير المقنطره ويعجز عن حمل ابره سريع الاستحاله قل ما يثبت على حاله بعيد الغوص ليس له قرار يعاجل صفاه ورّاده بالاكدار

يسكن

يسكن فى تخوم الغبرا وينم على أحوال أهل السما رقيق القلب على كل عديم وكيف لا وهو الولى الحميم يجود بأنفر الحلى ولا يرد من نداه مؤملا كم عمر سبيلا وقطع طريقا وأخاف سبيلا كم طفا واحترق وأظهر الحقائق وهو كثير الملق كم علا درجا وحط قدر الدقائق وقلع بأصابعه عين كل مارق وكم طهر أجساما من أرجاسها وأماط عن أرض ردىء أدناسها وكم درأ عن شيخ خبثا ورفع كهلا وحدثا صقيل يجلو الصدا ويظهر على شدة البرد تجلدا يبلغ فيه بشئ يسير مقاما لا ترقى اليه همة الملك الكبير كم أباح محرما للعباد وأكثر الفساد فى البلاد وكم رأينا شموسا تجرى لمستقرها فيه وتجنح وتلوح فى فلكه وتسبح كم خاض فى ذاته خائض مع كثرة سباحته وربما وجد فى الجبال رابض قد جمع فيه الخوف والرجا والكدر والصفا ومن العجائب انه كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح وأضاف نزيله بالمبيتة ولم يخش فى ذلك من جناح فسبحان من جمع فيه الاضداد وأرسله رحمة للعباد (وقال) أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن فيه

وخل صفاء زرته بعد هجره * فألفيت شخصى فى حشاه مصورا

وأودعته سرا فأفشاه للورى * فيا حسن ما أفشى الغداة وأظهرا

أبوه حليف للثريا وأمه * به حامل فى بطن منخفض الثرى

سطح له جسم بغير جوارح * يبارى الرياح الجاريات اذا جرى

تصافح كفى منه كفا رطيبة * يخادع عينى كالخيال اذا سرى

تزرعليه الريح ثوبا مفركا * ويكسوه شهب الليل ثوبا مدبرا

(وقال) أبو الحسين الباخرزى ملغزا

لا أحاجى فى زمرة الفضلاء * غير خل خصصته بإخائى

فى شبيه البلور ردا الى الماء * وقد كان قبل عين الماء

ينذر الحر بالهزيمة بردا * فهو المنذر بن ماء السماء

(وأنشدنى) المقر الاشرف المرحوم أبو عبد الله محمد بن الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام لنفسه حكاية حال

ضلوا عن الورد لما أنهم رحلوا * قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما

والله أكرمنى بالورد دونهم * فقلت ياليت قومى يعلمون بما

(وعلى ذكر الماء) ذكرت ما أنشدنيه من لفظه لنفسه شيخنا العلامة أقضى القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد المخزومي المالكي الشهير بالدماميني ملغزا في قربة وكتب به الى المرحوم الاميني صاحب ديوان الانشاء على يد مسطرها

أكاتب سر الملك والفاضل الذى * ثناه على الافكار فرض مرتب
ومن فاه في فن البديع بمنطق * فأمست غويصات المعاني تهذب
تحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما أتاه اللغز يرويه مصعب
فديتك ماذات أطالعكم بها * ويبحث في الاسفار عنها ويطلب
تشد وكم في الارض قارا مالها * فصدق اذا ما قيل تملى وتكتب
وماهي في التحقيق رواية وكم * لها خبر في الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها * زمانا وفي وقت لها يتجنب
ويبلغ منها اللحياض حقيقة * ولكن رأينا قلبه وهو رطيب
يزيد مريدوها اذا ما تصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها أربع لكن بساق رأيتها * على السعي في الاحياء بالنفع تدأب
وترضع أحيانا وما حان وضعها * وكم من فتى في حملها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسله فاعجب له من مسلسل * غدا مرسلا عنه الرواية تجب
وكم من خليع حمته اذ تعتقت * يمد اليها الراح لهوا ويطرب
وما نال اثما في تعاطيه بعدما * رأيناه من تلك العتيقة يشرب
وسم فها المفتوح كم راح سائلا * وما نطقت حرفا عن القصد يعرب
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب
وتصحيفها يابهجة الدهر بلدة * حواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد في الافلاك عالية بها * ويألفها بعض الحوارى ويصحب
فيا من لرق الفضل أصبح مالكا * فما لي الا نحو علياه مذهب
تلفت للغز نحو بابك قد أتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

(وقال) بعضهم ملغزا في قربة السباحة

وذات فم يوما تسبح ربها * ولم تكتسب أجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رهط

(الباب

(الباب الثالث والثلاثون في المشروب والحلواء)

قال أبو عبيد معمر العرب تقول كل طعام لا حلواء فيه فهو خداج أي ناقص غير تام وقال الزمخشري عن بعضهم انه قال اللوذنج قاضي قضاة الحلواء والخبيص خاتمة الخير وقيل لبعضهم التمر يسبح في البطن فقال على هذا التقدير اللوذنج يصلى التراويح (دخل) الجمل البصري على قادم وعنده قوم بين أيديهم طباق حلواء ولا يمدون أيديهم فقال لقد أذكرتموني ضيف ابراهيم وتلا الآية فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا (وكان) أبو هريرة يقول أكل تمرة أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب الوصب والنصب (قيل) لاعرابي على مائدة بعض الملوك وهو يأكل الفالوذج لم يشبع منه أحد الامات فأمسك وفكر ثم ضرب بالخمس وقال استوصوا بعيالي خيرا (وكان) عبد الله بن جدعان سيدا شريفا في قريش فوفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقيل له الفالوذج قيل وما هو قيل لباب البر يلبك مع العسل النحل فابتاع من عنده غلاما يصنعه وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالابطح الى باب المسجد ثم نادى من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر فكان ممن حضر أمية بن الصلت وكان يمدحه كثيرا (فقال)

لكل قبيلة رأس وهاد * وأنت الرأس تقدم كل هاد
له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى
الى درج من الشيزا ملائى * لباب البر يلبك بالشهاد

(حدث) المحسن عن ابن خلاد باسناده في كتاب الموائد ان الرشيد وأم جعفر اختلفا في الفالوذج واللوذنج فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد فقال اذا حضر الخصمان حكمت بينهما فقدما اليه فأكل منهما حتى انتهى فقال له الرشيد احكم فقال كلما أردت أن أقضي على أحدهما أدلى الآخر بحجته فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار وبلغ زبيدة فأمرت له بألف دينار الا واحدا (حدث) حماد بن سلمة قال دخلت على اياس بن معاوية وهو يأكل فالوذجا فقال

ادن فكل فان كان شئ يزيد فى العقل فهذا (وأتى) اعرابى بفالوذج فأكل منه فقيل له تعرف ماهذا فقال هذا وجدك الصراط المستقيم (ومن نوادر الصوفية) انهم اذا أكلوا طعاما عند أحد فقالوا أكل طعامك الابرار وأفطر عندك الصائمون ولا يقولون وصلت عليك الملائكة الا بعد الحلواء (قيل) لابى الحرث جمين ماتقول فى الفالوذج قال وددت انها وملك الموت اختلجا فى صدرى والله لوان موسى لقى فرعون بفالوذج لامن ولكن لقيه بعصا (وقال) أنس يرفعه من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف (اشترى) رجل احمالا من السكر وأمر باتخاذ مسجد من السكر ذى شرف ومحاريب وأعمدة منقوشة ثم دعا الفقراء فهدموه ونهبوه ذكر ذلك الزمخشرى فى ربيع الابرار (قدم) فالوذج حار الى مائدة عليها أبو هفان وأبو العيناء فقال له أبو هفان هذا آخر مكانك من جهنم فقال أبو العيناء ان كانت حارة فبردها بشعرك (وعن) أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من لعق العسل ثلاثا فى كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء أبدا (وعنه) صلى الله عليه وسلم انه قال شفاء أمتى فى ثلاث لعقة من عسل أو شرطة من حجام أو آية من كتاب الله (ونقلت) من خط القاضى الفاضل واقعة غريبة اتفقت بالديار المصرية وهى انه لما أحرق شاور مصر أيام دخول الفرنج اليها كان بها رجل صالح وله ابنة مليحة احترقت دكانه فى جملة ما احترق فرحل الى البر الغربى وسكن فى بعض القرى وجلس فى حانوت سمان يرتفق به واتفق ان مقطع القرية رأى ابنته فهويها وجعل يروم افسادها فلم يتيسر له فخطبها من أبيها فارضيه كفؤا لها فشرع فى أذيته وتسخيره وطرح عليه غرامة لا تلزمه وعزم على حبسه فسأل امهاله مدة معينة فقال اكتب لى بها حجة علما منه انه فقير ومتى حلت الحجة أخذ ابنته بتلك الحجة فكتب وأشهد عليه فلما انقضت الحجة جاء شاب واشترى منه عسلا فأخذه فى جرة ومضى فسقطت منه صرة مشدودة فأخذها الرجل وفتحها فوجد فيها عشرة دنانير فأخذها فلما جاءه المقطع طالبه ورفعه الى القاضى فقال له احضر الحجة فأحضرها فدفع اليه العشرة دنانير وأخذ الحجة وتخلص من الظالم فلما عاد الى حانوته جاء الشاب الذى اشترى منه العسل وسقط منه الذهب وقال اجعلنى فى حل وابرئ ذمتى فانى لما اشتريت منك

العسل

العسل ذلك اليوم وقعت منى صرة فيها عشرة دنانير فاتهمتك بها وظننت انك أخذتها فلما حضرت اليوم وجدتها مرمية فى طريقى فتعجب الرجل من ذلك وقال اشكر الله الذى ردّ عليك فأنت فى حل من جهتى فلما كان ثانى يوم جاءه الظالم وقال اجعلنى فى حل فانى رأيت البارحة مناما أزعجنى بسببك وأما الذهب فانه وقع منى وذلك لانى قد أخذته حراما وقد تبت الى الله تعالى مما جرى منى فشكر الله تعالى وتفرقا (كتب) الشيخ شرف الدين عيسى العالية الى سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين محمد الدمامينى ملغزا فى عسل

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع سمعت الخير لغزا محكما * يعضى على الالغاز جميعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا أصله * اكرم به أصلا يروقك طعمه
لكنه ماحاز منقارا ولا * ريشا وأجنحة ولست أذمه
والجسم منه ما حوى عظما ولا * لحما ويعجب من يراه جسمه
وبفرد عين كم بدا لمعاين * لم يدر ماهى من تبلد فهمه
يامن له ذكر يفوح لناشق * كالمسك حين يفض عنه ختمه
قل للذى يدعى الدعاوى قل لنا * ما أصل هذا فى الطيور وما اسمه
ان قال هذا واضح فهو الذى * قد غره فيما ادّعاه وهمه
من أين يعرف اسم شئ ربما * أكلته فى وقت المجاعة أمه

(فأجابه)

يا فاضلا بين المحاسن نظمه * واعزه قد ذل عجزا خصمه
وطرزت حلل البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لاغراض البلاغة سابق * ومن الفضائل قد توفر سهمه
ألغزت فى اسم عاطل حليته * بنفيس در صح فينا يتمه
فاذا أضفت القلب منه لاسمه * قلنا بهذا الفعل قد وضح اسمه
واذا عكست الاصل منه فهوان * أعربت لحنا ليس يجهل حكمه
قد كانت الاذهان منه خلية * فحوت به شهدا لذيذا طعمه
وروى ابن سكرة حلاوة نظمه * فقضى بتفطير المرارة همه
ورأى بعين لغزك الحلو الجنى * عذب المذاق فحار فيه وهمه

وأعاذه بحلى أمير النحل اذ * أضحى عليا فى الفصاحة نظمه
فاسلم وصغ حلى البيان لفهمنا * يا من تحلى بالنباهة فهمه
واصفح بفضل عن جواب سافل * يا طالعا فى خير أفق نجمه

(ومن تذكرة الوداعى) قال الصاحب فخر الدين بن الشيرجى أهدى الامير بدر الدين لولو المسعودى قصب سكر من الغور فأرسلت اليه مع الرسول أبلوجة سكر مكرر وكتب فيها رقعة فيها

كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه

(أبو الحسين الجزار ملغزا)

أتعرف لى حبلى اذا ما تنفست * سرى لانوف القوم من طيها نشر
ويرضع منها الثدى ساعة حملها * أبوها فيغدو وهى من وقتها بكر
تريك جنينا وهو من غير جنسها * فوجدانه حلو وفقدانه مر
عليه به ستر دقيق وانما * تحل اذا مادق من فوقها الستر
اذا كسرت فى القوم تجبر كسرها * فيحسن بعد الكسر من قلبها الجبر
تروق عيون الناظرين جلالة * اذا جلست يوما وموضعها الصدر

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

بعثت قطائفا روى * حشاها قطرها الغامر
فسكرها أبو ذر * ومرسل صحنها جابر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة يستهدى قطرا

لجود قاضى القضاة أشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى
والقطر ارجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

(وقال) الشيخ العلامة أبو محمد بن جابر الاندلسى نزيل حلب

وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعى وحلو * سكب دمعى على أصابع زينب

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة ملغزا

احاجيك ما حلو اللسان وانه * لابكم اذ تعزى اليه المعارف
يرى جالسا فى الصدر ما كان كاملا * فان نقصوه فهو فى الخلق طائف

(وله) يستهدى قطرا

مولاى

مولاى عندى للمناقصائد * تريك رياض اللفظ باسمة الزهر
وتشتاق من احسانك الحلو رسمها * ولا عجب شوق الرياض الى القطر

(ابن نباتة)

أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب طعام الفطر يا غاية المنى
بعيشك قل لى جاء صحن قطائف * وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى

(الصلاح الصفدى)

أتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تنبت بالقطر
ولا غرو ان صدقت حلو حديثها * وسكرها يرويه لى عن أبى ذر

وما أحسن قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى منزلة القطيفة

هذى القطيفة التى * لا تشتهى عقلا ونقلا
حشيت ببرد يابس * فلاجل ذاك الحشو تقلى

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى وكتب بها الى القاضى نور الدين بن حجر والد سيدنا القاضى شهاب الدين رحمهم الله

مولاى نور الدين ضيفك لم يزل * يروى مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطائفك الكبار حلاوة * بفمى وليس بمنكر صدق القطا

(وأنشدنى) القاضى بدر الدين بن الدمامينى قال أنشدنى شرف الدين عيسى ابن حجاج العالية لنفسه

تهن بنصف كم به من حلاوة * وجد لى بفضل لا يضيع ثوابه
فان لسانى صارم وفى له * قراب وارجو أن يحل قرابه

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه شيخنا زين الدين بن العجمى أحد فضلاء الديار المصرية وقد أهدى له حلواء سكب

لفضلك يا قاضى القضاة مزية * على الصحب لا تخفى على من له لب
فأول جود الغيث قطر مبدد * وغيث نداك الجم أوله سكب

(ابن المنشد)

وقطائف مثل البدور * أتت لنا من غير وعد
فحسبتها لما بدت * فى صحنها اقراص شهد

(السراج الوراق)

قطائفك التى رقت جسوما * لما ضغها كما كثفت قلوبا
كغيم رق لكن فيه قطر * غدا المرعى الجديب به خصيبا

(وقال) أبو الحسين الجزار يستهدى قطرا

أيا علم الدين الذى جود كفه * براحة قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة اننى * لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

(وله)

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر * وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبا لأوقات المخلل انها * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى
ولى زوجة ان تشتهى قاهرية * أقول لها ما القاهرية فى مصر

(المعلم المرصص)

وحقك ما أوليتنى من قطائف * ألذ وأحلى من وصال القطائف
وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة * ألم ترها ملفوفة كالصحائف

(ابن نباتة)

رعى الله نعماك التى من أقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر
أمد لها كفى فأهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

(وله)

شكرا لبرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تنتخب
قد جدت بالقطر حتى زدت فى طمع * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

(سعد الدين بن عربى)

قال القطائف للكنافة ما * بالى أراك رقيقة الجسد
أنا بالقلوب حلاوتى حشيت * فتقطعى من كثرة الحسد

(ولآخر) فى أقرصة البسندود

أقرصة هشة مدورة * كأنها فى النقا كافور
كأنها فى الصحاف مطبقة * دراهم فوقها دنانير

(كتب) سيدنا القاضى صدر الدين بن الادمى الى سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد بن الدمامينى ملغزا فى لوذنج يقبل الارض وينهى انه أصدرها عن صدر محرور وقلب لانقطاعه عن الباب الكريم مكسور فاسبل عليها من فضلك

فضلك ستور واعذر فانها نفثة مصدور

يا من له فى عروض الشعر ايد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى نظمه ائتلفت * والثلم فى صدرها مستعمل حينا
أجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هذا ويقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

وقد جهزها التنوب عنه فى تقبيل اليد الكريمه وتستمطر من سحائب جوابه الصيب ديمه (فكتب) اليه الجواب يقبل الارض وينهى ورود المشرفة التى عذب معناها وشهد أهل الذوق بحلاوة مجناها وحاول العبد حل لغزها المسير فأذن دون شهده ابن النحل وقرنه بألغاز المتأدبين فاذا هو مخصب النبات بتوالى القطر واذا تلك مطروقة المحل بالمحل وكادت مرارة الفقير تنفطر لعجزه عن هذه الحلاوه وجرى على عادته فى الاسف المكرر حيث فقد هذا الرونق وتلك الطلاوه لكنه عقد الفضيحة على نفسه بعد ان استقال وتجاسر بعد الخوف على نظم الجواب فقال

يا مرسلا من شهى النظم لى كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
جليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يا فاتنى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأدم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أميفا رشيد الرأى مأمونا

والله تعالى يحلى أفواه ذاكريه بما هو أشهى من اللوذنج وأحلى وأعناق المتأدبين من كلمه بما هو أنفس من الدر وأغلى ويكلؤه فى الاقامة والارتحال ويقى عيشه كل مر ويحفظه على كل حال (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى ملغزا

هذان لغزان قد حلا ببابك يا * قاضى البرية ما هذان خصمان
اسمان كل خماسى اذا كتبت * حروفه وهما لاشك خدنان
تباينا فى الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما فى الاصل مثلان

برى بكانون اصلاحا لثأنهما * كما لاصلهما نفع بنسيان
فى مصر والشأم منسوب لاصلهما * يضاف باخير بستان لبستان
لكن الى الصين منسوب مقرهما * ان أحضرا فى مكان بين اخوان
لذا كما وهو بين الناس ليس له * من كنية ما انتحى فى ذاك اثنان
فى البر يلقى وان فتشت عنه تجد * فى لجة البحر يلقى خمسه الثانى
نبت أرى النار قد أبدت له ورقا * فاعجب له ورقا ينمو بنيران
يحيى اذا ماسقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان
كيقه هو لكن لا يشم ولا * يضاف يوما الى أزهار بستان
ذو رقة فاذا صحفته ظهرت * كافة منه فاستره بكتمان
وكم له من بدور كل طلعت * فى سائر الشهر لم تمحق بنقصان
فقدها خيط فجر أبيض عجل * بالبرق يسطو عليها سطوة الجانى
وللغزال آخر اسم ذات السنة * لم يبد منها الثنا بالنطق حرفان
يا حسنها السنا أضحت حلاوتها * يحلو المديح لها من كل ملسان
تطوى على الحشو أحشاء وليس لها * فى الاشعرية من رام بنكران
بالطى والنشر فى حال قد اتصفت * والطى والنشر فيما قيل ضدان
كم سكرت ففتحنا للدخول بها * أبوابها فتلقتنا باحسان
حسناء أجمع أهل الحل أجمعهم * والعقد منا عليها بعد عرفان
وصالها حل بالاجماع فى زمن * فيه الوصال حرام بعد اعيان
ثلثها ثلاثة أخماس لها وجدا * شيأ يجئ بايضاح وتبيان
وماذكرت من الاخماس كم نطقت * صدقا بذكراسمها من غير بهتان
وخمسها جبل لكن بقيتها * فى مكة ترتجى فوزا بغفران
تقلى ولكن لها قلب تقربه * ممن قلاها من الاقوام عينان
ما مل ذا من القالى أماليه * عنها وما خطر القالى لها شانى
فى الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون لجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف * جهرا ويوصف مع هذا باتقان
جميلة الوصف طابت عنصرا وزكت * أصلا وما سلمت من ظعن ظعان
بالحل أنعم سقى القطر المواطئ من * اقدام سعيك فى اروا ظما آن

(وكتب)

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة الى بعض أصحابه وقد أرسل اليه قطرا رديئا وينهى ان الذى أرسل اليه مولانا الوصول وأحال عليه بالبر المحصول أرسل قطرا ولكن بزيادة حرفين فاذا هو قطران وبكسر أوله فاذا هو لسد الامل الواحد قطران عندما شمه المملوك أنكره وعندما عاينه استغرب كدره حتى حلف بالسجدة ماهو الا دخان وقالت عينه المنتظرة خير من هذا القطر قطر الاجفان وقال الفكر ماهذه الا فعلة الواسطة التى فعلها وهو من الظالمين وهمته التى بعثها وهو من الآثمين ورد المملوك ذلك المرسل بالعيب لوقته وعجبت من الايادى كيف نقض عليها سواد بخته وعلى كرم مولانا تدبير هذه القضيه والله تعالى لا يخل الامل من وجود سنته الشمسيه بمنه وكرمه (وكتب) الى الجناب العالى العلائى بن القلانسى وقد ارسل اليه سكرا يقبل الارض وينهى وصول البر الذى حلت مواقعه وجلت صنائعه وحلت عن أبهى وأبهر من بدر التمام مطالعه وابيضت به أيادى الكرم وشب شخصه الجميل وان كان أشبه شئ بالهرم فضمه المملوك كنهد الحبيب وقبله أحلى وأزهر من الثغر الشنيب وابتهج به نظرا وفكرا ونقطه بدمع السرور حتى عاد السكر بالتنقيط شكرا وكرر حديثه فقال هكذا يكون المكرر وهكذا يبعث قطعة من سحابه المسخر وهذا والله البر الذى لا يستبطئ لديه القصد منجحا والفضل الذى هو أحق بقول الاول لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى أمتع الله العفاة بيمين مولانا التى أعادت من العيش حلواه وعتب الدهر خلواه وشكر عوارفه التى ما فتح على مثلها الطالب جفنه وأياديه التى حسنت المدح حتى نسى الناس ما قال حسان فى أهل جفنه

(فصل فى الاشربة) عن ابن عباس رضى الله عنهما سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الشراب أفضل فقال الحلو البارد قالوا أراد العسل وقال صلى الله عليه وسلم سيد شراب أهل الدنيا والآخرة الماء وقيل لبعضهم أى الشراب أحب اليك فقال أعز مفقود وأهون موجود وكان المأمون يقول شرب الماء بالثلج أدعى الى اخلاص الحمد (قال) الحسن لفرقد بلغنى انك لا تأكل الخبيص قال انى لا أقوم بشكره قال وهل تقوم بشكر الماء البارد (صفة شراب) ينفع من العطش والخمار ولهب المعدة يؤخذ من ماء الرمانين ومن ماء حماض الاترج من كل واحد

نصف رطل ومن ماء الاجاص وماء نقيع التمر هندى من كل واحد رطل يطبخ بنار
لينة حتى يغلظ و يصير فى قوام الاشربة و يسقى منه أوقيتين بماء بارد وثلج
و بماء ورد وماء خلاف (الفقاع) يتخذ من أصناف من الحلاوات يتخذ من السكر
البياض النقى بان يحل بالماء والماء ورد و يطيب بالمسك وبوعى و يبرد بالثلج
و يستعمل و يتخذ من العسل و يتخذ من ماء الزبيب الحلو السمين و يتخذ من
الدبس وغير ذلك ومن الناس من يطيبه بالزنجبيل أو الفلفل أو القرنفل مع المسك
والماء ورد وهذا يضر المحرورين ومن الناس من يحل شراب التفاح و يصبه فى
كيزان الفقاع و يبرده و يستعمله وجميع أنواع الفقاع شربها الواجب النافع
أن يكون قبل الطعام و يصبر عليها حتى ينحدر فاما بعده فلا فائدة فيه غير تجشيات
يسيرة يلتذ الانسان بخروجها (فقاع) ينفع المحرورين يؤخذ من الخبز الحوارى
مثل ما يؤخذ من الشعير و يصنع منه فقاع و يضاف كرفس ونعنع وماء الرمان
المز ويحلى بسكر بياض و يستعمل (وأهل دمشق) يأخذون الفقاع الخرجى
و يسمونه المسدب لانه يعمل فى كيزان محشوة بالسداب البرى فينفضونه فى
الاوانى النظيفة ويرمون فيه قطعة سكر بياض و يعصرون عليه ليمونا أخضر
قدر ما يطيب لهم حمضه ويحركونه بعيدان نعنع بحيث يظهر طعمه فيه ظهورا
يسيرا ثم يبردونه بالثلج ويرش عليه الماء ورد وماء الخلاف و يستعملونه وهذه
الصفة تنفع أصحاب الخمار وتشهى وتطيب النفس وتصرف واعلم ان جميع
أنواع الفقاع تطيب بالاشيا المناسبة لمزاج شاربه ان كان المزاج حارا كانت
المطيبات باردة وان كان المزاج باردا كانت المطيبات حارة (أنشدنى) من لفظه
لنفسه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين يوسف الزعيفرانى رحمه الله

وكيزان من الفقاع جاءت * زكت طعما على الشهد المذاب
هدايا من أحبتنا ولكن * كما قالوا على ورق السداب

(صفة أقسما ملوكية) يؤخذ سكر ابيض يعقد جلابا رقيقا أرق ما يكون و يؤخذ
دقيق أبيض مثلث يطبخ مثل العصيدة القوية بغير ملح و يبرد ويجعل فى طست
وتضرب باليد و يقلب عليها الجلاب مغرفة بعد مغرفة وكلما زدت ضربها باليد
زادت رغوتها الى أن يصير لها قوام الحريرة الشديدة الثخينة ثم يقلب عليها فقاع
خرجى وفى مصر عوض الفقاع أقسما فاذا صارت رقيقة اجعلها فى وعاء نظيف

و يكون فيه أثر دبس أو اثر عسل واجعل معها قبضة سداب مربوطة وقبضة
نعنع كذلك وأظرف طيب مثل القرنفل والبابل والزنجبيل وجوز الطيب
وماء ورد ومسك و يكثر فيها من أظرف الطيب و يجعل فى مكان داف و يغطى
بغطاء كبير فانها تبقى جميعها كالرغوة ثم انها تطلع فاذا اطلعت خذ لها اناء زجاج
أو حقا عينا او بخره بالعنبر واجعله فيها واستعمله وعند استعمالها انفض عليها
فقاعا خرجيا فهذا النوع من الاقسما وهو أطيب من المشروبات (صفة)
نقوع مشمش يؤخذ المشمش اللوزى أو غيره يغسل من التراب والغبار غسلا
مستقصى ثم يصب عليه ماء اللينوفر وماء لسان الثور وماء ورد و يعصر عليه
ماء رمان طرى حامض ويرمى فيه طاقات نعنع ثم يحلى بسكر بياض و يترك حتى
ينتقع المشمش فى هذه المياه المذكورة نقعا معتدلا لا يبلغ أن يتهرى فى اناء
مبخر بالعنبر فانه يجئ فى غاية الطيبة واللذة (ومن) أراد أن يتنقل بالمشمش
اليابس الطيب فيأخذ ماء ورد ومسكا يحلان فى سكر فائق وقليل ماء ثم ينقع
المشمش فيه بعد غسله بحيث لا يتهرى فى نقعه بل يكون فيه قوة ظاهرة ثم يخرج
المشمش من الماء المنقوع فيه و يجفف تجفيفا معتدلا فى مكان نظيف ثم يتنقل به
فانه يكون فى غاية الطيبه (ومن) الادعية المستعملة بين الناس قولهم هنيئا
مريئا فالهنىء الطعام الذى لا يحصل عقيب أكله أو هضمه ضرر والمرئ
السريع الهضم

(الباب الرابع والثلاثون فى بيت الخلاء المطلوب)

قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله الخلاء بالمد فى الاصل هو المكان
الخالى كانوا يقصدونه لقضاء الحاجة ثم كثر حتى تجوز به عن غير ذلك قال أنس
ابن مالك رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء قال اللهم انى
أعوذ بك من الخبث والخبائث بضم الخاء والباء جمع خبيث والخبائث جمع
خبيثة استعاذ من ذكور الشياطين وأناثهم قال بعضهم اذا كمل للانسان
فى داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال فيما فاته منها وهى مجلس السكن والدهليز
والكنيف (وفيه يقول المأمونى)

بيت اذا مازاره زائر * فقد قضى أعظم أوطاره

يدخـله المولى بنزكما * يدخله العبـد باطماره

وهو اذا ماكان مستنظفا * مروة الانسان فى داره

(وكان) جعفر الصادق يقول من سعادة المرء سعة داره وحسن مجلسه ونظافة متوضاه (حكى) عن بعض الحمقى انه استدان سبعمائة درهم وأنفقها على كنيف داره فبلغ ذلك بعض أصحابه الظرفاء فقال ليت شعرى ما الذى يريد يخرى فيه (وحكى) أبو الفرج الاصبهانى فى أخبار العرجى عن الاصمعى قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغنى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت أما سداد الكنيف فمعلوم وأما سداد الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عنى مليا ثم أقبل على وأنشد

وأكرم نفسى اننى ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له والله ما أكرمتها ومايكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأى شئ أكرمتها فقال بلى والله ان من الهوان لشرا مما أنا فيه فقلت وماهو قال الحاجة اليك والى أمثالك فانصرفت وأنا أخزى الناس (ومن) أداب المضيف انه يرى الضيف بيت الخلاء (قال) ملك الهند اذا أضافك أحد فأره الكنيف فانى قد ابتليت فوضعت فى قلنسوتى (نادرة) قيل ان رجلا حكى قال كنت بائتا فى بيت بين جماعة وكنت ضيفا فتحركت بطنى فى اثناء الليل فقمت فلم أجد موضعا فطفت فى البيت فاذا أنا بمهد فيه طفل فأخذت الطفل فى حجرى ثم خريت فى المهد ثم رجعت لارد الطفل فى المهد فاذا به قد خرى فى حجرى أضعاف ماخريت فى مهده فجرى على كاتبه أعظم منها (قلت) الطبيعة مكافئة (ومثلها) حكى ان دعبل بن على الخزاعى دعا أبا هفان فأطعمه ألوانا كثيرة الحبوب وسقاه نبيذا حلوا وغمز الجوارى ان لا يدلوه على بيت الخلاء ثم تركه ونام فلما أجهده الامر قال لبعض الجوارى أين الخلاء فقالت لها الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

خلا من آل عالية الديار * فثوى أهلها منها قفار

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا وسقوه فقال قد أحسنتم وجدتم غير انكم لم تأتوا على مافى نفسى وسكت فلما أجهده الامر قال لعل الجارية بغدادية

بغدادية لم تفهم ماقلت لها ثم التفت الى أخرى وقال لها فداك أبوك أين المستراح فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

واستريح الى ليلى فاذكرها * كما استراح عليل من شكيه

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا وسقوه فقال أحسنتم وجدتم غير انكم لم تأتوا على مافى غرضى ثم قال لعلها ما فهمت ثم قال لاحداهن فداك أبوك أين الحش فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

وحاشاك ان أدعو عليك وانما * أردت بهذا القول ان تقبلى عذرى

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا فقال أحسنتم وجدتم غير انكم لم تأتونى على مقصودى ثم أجهده الامر فقال لعلها كوفية ثم قال للاخرى فداك أبوك أين الكنيف فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى

تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحدا لكفانى

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا فما تمالك حتى وثب وحل سراويله وذرق فى وجوههن فتصارخن فانتبه دعبل فقال ماشأنك يا أبا هفان (فقال)

تكنفنى السلاح فأضجرونى * على مابى بنيات الزوانى

فلما قل عن حالى اصطبارى * رميت به على وجه الغوانى

(فقام دعبل) فدله على الخلاء فدخل واغتسل وخلع عليه بعد ان ضحك منه ضحكا عظيما (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

أمط بالدوا ثياب الاذى * وطب فى الرواح به والغدو

وكرر احاديث بيت الخلاء * ولكن على رغم أنف العدو

(ولبعضهم يستحث)

ياقاعدا متفكرا * لمن الولاية بالعراق

ارحم فديتك مدنفا * قد لف ساقا فوق ساق

(نادرة) قال رجل لآخر يمدحه أنت من بيت الطهارة فقال الرجل دعنى من هذا المدح فقال صدقت الشكر فى الوجه ذم ولكن أنا أذكرك فى الخلاء (حكى) ان بعض الكتاب كان يلقب بمحيص فلقيه بعض حرفائه فقال له

أوحشتني يا جعيص وأين كنت فانشده

وحيث ما كنت من بلاد * فلى الى وجهك التفات

(قلت) وضمن هذا الشيخ بدر الدين بن الصاحب (فقال)

يا كعبة الله ان رحلنا * وطال ما بيننا الشتات

فحيث ما كنت من بلاد * فلى الى وجهك التفات

(رجع) كان لبعض المغفلين دار فقال له الساكن ان الكنيف قد انفتح فقال له صاحب الدار نظرت اليه من أيام وأردت ان أتندى به قبل ان يتمشى بى فسبقنى (قلت) الشئ يذكر بلوازمه (نقلت) من خط الفاضل المؤرخ الناظم الناثر الرحال صاحب المؤلفات المبدعة نور الدين على بن سعيد من كتابه الذى سماه بالمغرب فى أجلاء المغرب قال فى ترجمة أبى العباس أحمد بن القاسم وهو الذى يقول فيه ابن تقى فى موشحته المشهورة التى منها أماترى أحمد فى مجده العالى لا يلحق أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق وجرت له معى حكايات أكرمها حكايته وقد وفد عليه مرة فوجده قد عرج عن الارتياح وأقلع عن شرب الراح وكانت له عادة باحضاره المجلس راحته عندما يصل فخطب ذلك منه فأعلمه بتوبته وتكلف له مجلسا فيه أصحابه ومن يشرب من أقاربه وحضر هو فيه عازما على المؤانسة دون المشاركة فى شراب فقال ابن تقى موشحته المشهورة

نديمنا قد طاب * بغنله وانشد

وأردد عليه الكا * س عساه يرتد

فارتد عن توبته وشرب كأسه من نوبته وأتى من المطايبة والطرب ما قربه عين الظرف والادب ولما أخذ السكر من ابن تقى قام الى المستراح وفى وسطه كيس فيه جملة من الذهب الذى جرت عادة أبى العباس أن يصله به فى كل سفرة وما اجتمع له من غيره فحله وحطه فى كوة المستراح حتى يقضى شغله ثم فرغ ومضى ونسى الكيس لما كان فيه من السكر ونام فلما أصبح وصحا قاب وسطه ليطلب الكيس فلم يجد شيأ ونظر اليه أبو العباس فقال له ما لك فأخبره فقال أنا أخذته منك البارحة لئلا يضيع منك واذا احتجت اليه دفعته لك واستفهمه عن عدد ما فيه فأخبره فلما دخل الى منزله جعل فى كيس من عنده ذلك العدد ودفعه اليه

اليه وابن تقى لا يشك انه ذهبه ثم ودعه وانصرف ولما اجتاز عليه فى سفرة ثانية حضر فى ذلك المجلس ليلة على مثل تلك الحالة فلما سكر قام الى المستراح ثم تفكر فى حالة السكر انه كان قد حل هناك سراويله ووضع الكيس فى الكوة فمد يده الى الكوة فوجد كيسه بعينه فأخذه وجعله فى وسطه ثم عاد الى شربه والمجلس غاص محتفل بالاعيان فبكى ابن تقى وكدر المجلس فظن أبو العباس انه جرى عليه ما أوجب ذلك فقال له ما يبكيك هل نابك أمر أكشفه عنك فقال والله ما أبكى الا حسرة على العالم انه لا يخلد مثلك فيه وحكى الحكاية فقال أبو العباس ما كان يمنعنى فى ذلك الوقت الا ما فعلته لانى خفت أن يكون ضاع لك فتتهم به أحد ندمائى ويشيع ذلك ولا بد من غرمه لك لئلا تنصرف خائبا فكان الاولى غرمه دون ان يفتضح أحد من أصحابنا فقبل الارض ودعى له وهذه احدى مكارمه جدد الله عليه الرحمه وجازاه بما هو أهله فى جنة الفردوس من النعمه آمين آمين (سألنى بعض الخاديم) ان أنظم له أبياتا تكتب على الخريشت الذى جدده بعد حريقه وانهدامه فى الواقعة المشهورة الخواجا بدر الدين محمد بن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق أدام الله سعدهما بباب البريد بالجامع الاموى وكان والده قد بيضه

يا بقعة لقضا الحوايج أسست * لازال سعدك دائما يتزيد

لحتك من بدر وشمس نظرة * فغدا قرانا سعده لك يرصد

جددت فعل الخير يا ابن مزلق * لازال فعل الخير منك يجدد

عشرون بيتا قد قصدت رويها * يا خير من يروى ومن يتقصد

كانت مسودة وقد بيضتها * فالماء للابيات منها ينشد

واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

ولمؤلف الكتاب رحمه الله

(الباب الخامس والثلاثون فى نبلاء الاطباء)

قال الحكيم الفاضل الفيلسوف العارف ابقراط ينبغى ان يكون الطبيب حرا فى جنسه جيدا فى طبعه حديث السن معتدل القامة متناسب الاعضاء جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأى عند المشورة عفيفا شجاعا غير محب

للفضة مالكا لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركا له فى الغاية ولا يكون بليدا
وينبغى ان يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه حافظا للاسرار لان كثيرا من
المرضى يوقفونا على امراض بهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم وينبغى ان
يكون محتملا للشتيمة لان قوما من المبرسمين وأصحاب الوسواس السوداوى
يقابلونا بذلك وينبغى لنا ان نحتملهم عليه ونعلم انه ليس منهم ذلك وان سببه
المرض الخارج عن الطبيعة وينبغى ان يكون حلق رأسه معتدلا مستويا
لا يحلقه ولا يدعه كالجمة ولا يستقصى قص أظافير يديه ولا يتركها تعلو على
اطراف أصابعه وينبغى ان تكون ثيابه نظيفة بيضاء نقية لينة ولا يكون
فى مشيه مستعجلا لان ذلك دليل الطيش ولا متباطئا لانه يدل على فتور النفس
واذا دعى الى المريض فليقعد متربعا ويختبر منه حاله بسكون وتأنٍّ لا بقلق
واضطراب فان هذا الشكل والزى والترتيب عندى أفضل من غيره وابقراط
هذا أول من برهن كيف يكون المرض والصحة فى جميع الحيوان وفى النبات
وهو الذى استنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وكانت له العناية
فى نفع المرضى ومداواتهم ويقال انه أول من جدد البيمارستان واخترعه
وأوجده وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا من بستان له مفردا للمرضى
وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشندوكين أى مجمع المرضى
ولذلك أيضا يقع لفظه البيمارستان وهو فارسى وذلك ان البيمار بالفارسى
هو المرضى وستان هو الموضع أى موضع المرضى ولم يكن له دأب فى مدة حياته
وطول بقائه الا النظر فى صنعة الطب واتخاذ فوائدها ومداواة المرضى واتصال
الراحة اليهم وانقاذهم من عللهم ولم يكن لابقراط رغبة فى خدمة أحد من
الملوك لطلب الغنى ولا فى زيادة مال وكان ابقراط فى زمن بهمن بن اسفنديار
ابن بستاسب وظهر ابقراط سنة ست وتسعين لبختنصر وهى سنة أربع عشرة
لملك بهمن وأما تفسير اسمه فان معناه ضابط الخيل وقيل معناه ماسك الارواح
وقيل ماسك الصحة وأصل اسمه باليونانية ابقوقراطيس ويقال هو بقراطيس
وانما العرب عادتها ان تخفف الاسماء فخففه هذا الاسم فقالوا ابقراط
وبقراط أيضا وقد جرى ذلك كثيرا فى الشعر ويقال أيضا بالتاء ابقرات
وبقرات ومات مفلوجا ومن ألفاظه الحكمية ونوادره المفردة فى الطب قال

الطب

الطب قياس وتجربة وقال العادة اذا قدمت صارت طبيعة ثانية والزجر والفأل
حس نفسانى وقال كل مرض معروف السبب موجود الشفاء وقال لا تأكل
حتى تجوع وقال يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى عادتها
وقيل له لم يكون البدن أثور ما يكون اذا شرب الانسان الدواء قال لان أشدّ
ما يكون البيت غبارا اذا كنس وقال مثل المنى فى الظهر كمثل الماء فى البئر ان
نزفته فار وان تركته غار وقال ان الجامع يقتلع من ماء الحياة وسئل فى كم ينبغى
للانسان ان يجامع قال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر مرة قيل
فان لم يقدر قال فى كل أسبوع مرة قيل له فان لم يقدر قال هى روحه أى وقت
شاء يخرجها وقال العافية ملك خفى لا يعرف قدرها الا من عدمها وقيل له
أى العيش خير فقال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف ودخل على عليل
فقال له أنا وأنت والعلة ثلاثة فان اعنتنى عليها بالقبول لما تسمع منى صرنا
اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه وقال
للقلب آفتان وهما الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه السهر
وذلك ان الهم فيه فكر فى الخوف بما سيكون فمنه يكون السهر والغم لا فكر
فيه لانه انما يكون بما قد مضى وانقضى (ومن) كلامه فى العشق العشق
طمع يتولد فى القلب وتجتمع فيه مواد من الحرص وكلما قوى ازداد صاحبه
فى الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر وعند ذلك يكون احتراق
الدم واستحالته الى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها الى السوداء ومن طغيان
السوداء فساد الفكر ومع فساد الفكر تكون الندامة ونقصان العقل ورجاء
ما لم يكن وتمنى ما لم يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق
نفسه وربما مات غما وربما وصل الى معشوقه فيموت فرحا وأسفا وربما
شهق شهقة فتختفى فيها روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن انه قد مات فيقبر
وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه فى تامور قلبه فينضم عليها القلب
فلا تنفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق للنظر أو رأى من يحب فيموت فجأة دفعة
واحدة وأنت ترى العاشق اذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل
لونه وزوال ذلك عمن هذه حاله بلطف رب العالمين لا بتدبير من
الآدميين وذلك ان المكروه العارض من سبب قائم بمفرده بنفسه يتهيأ التلطف

فى ازالته بازالة سببه فاذا وقع السببان وكل واحد منهما علة لصاحبه لم يكن الى
زوال واحد منهما سبيل كما اذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان اتصال
الفكر سببا لاحراق الدم والصفراء وميلهما الى السوداء فالسوداء كلما قويت
قويت قوة الفكر والفكر كلما قوى قويت السوداء فهذا الداء العياء الذى
تعجز عن معالجته الاطباء (ومن) كلامه الاقلال من الضار خير من الاكثار من
النافع وقال أما العقلاء فيجب ان يسقوا الخمر وأما الحمقاء فيجب ان يسقوا
الحريف وقال ليس معى من فضيلة العلم الا علمى بأنى لست بعالم وقال المالك
لشئ هو المسلط عليه فمن أحب أن يكون حرا فلا يهوى ما ليس له وليهرب منه
والا صار له عبدا وقال لتلميذه ان احببت ان لا تفوتك شهوة فاشته ما يمكنك
وقال الدنيا غير باقية فاذا أمكن الخير فاصطنعوه واذا عدمتم ذلك فتحمدوا
واتخذ من الذكر أحسنه انتهى ما لخصته من ترجمة ابقراط من طبقات الاطباء
للعلامة موفق الدين ابى العباس أحمد بن أبى القاسم الخزرجى المعروف بابن
أبى أصيبعة رحمه الله (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى شرح العيون
ومن ظرائف حكايات أبقراط ان ولد أحد الملوك عشق جارية من حظايا أبيه
فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر ابقراط فجس نبضه ونظر الى
بشرته فلم ير علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويضطرب فاستخبر
الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل خرج من الدار فقالت لا فقال
لابيه مر رئيس الخصيان بطاعتى فأمره فقال اخرج على النساء فخرجن وابقراط
أصبعه على نبض الصبى فلما خرجت الجارية اضطرب عرقه وحار طبعه فعلم
ابقراط انها المعينة فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول اليها
صعب قال الملك من هى قال زوجتى فقال انزل عنها ولك عنها بدل فتمنع ابقراط
وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا الى طلاق زوجته ولا سيما الملك فى عدله
ونصفته يأمرنى بمفارقة زوجتى وهى عديلة روحى فقال الملك انى أوثر عليك
وأعوض لك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال ان
الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك
ففهم الملك المراد وقال يا ابقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه
وشفى الفتى (فيثاغورس) قال القاضى صاعد فى طبقات الامم ان فيثاغورس

كان بعد بندقليس بزمان وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليهما
السلام بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام (ومن) كلامه وآدابه وحكمه
قال كما ان بدأ وجودنا وخلقنا من الله سبحانه هكذا ينبغى ان تكون نفوسنا
منصرفة الى الله تعالى وقال الفكرة لله خاصة فمحبتها متصلة بمحبة الله ومن
أحب الله سبحانه وتعالى عمل بمحابه ومن عمل بمحابه قرب منه ومن قرب منه نجا
وقال الاقوال الكثيرة فى الله تعالى علامة تقصير الانسان عن معرفته وقال
ما لا ينبغى ان تفعله احذر ان تخطره ببالك وقال الاشكال المزخرفة والامور
المموهة فى أقصر الازمان تتبهرج وقال الاخلق بالانسان ان يفعل ما ينبغى
لا ما يشتهى وقال الدنيا دول مرة لك وأخرى عليك فان توليت فأحسن وان
تولوك فألن وكان يقول ان أكثر الآفات انما تعرض للحيوانات من عدمها
الكلام وتعرض للانسان من قبل الكلام وكان يقول من استطاع ان يمنع
نفسه من أربعة أشياء فهو خليق ان لا ينزل به مكروه كما ينزل بغيره العجلة
واللجاجة والعجب والتوانى فثمرة العجلة الندامة وثمرة اللجاجة الحيرة وثمرة
العجب البغضاء وثمرة التوانى الزلة ونظر الى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم
فيلحن فى كلامه فقال له اما ان تتكلم بكلام يشبه ثيابك أو تلبس لباسا يشبه
كلامك وقال استعمل الفكر قبل العمل وقال كثرة العدو وقلة الهدو وحضرت
امرأته الوفاة فى أرض غربة فجعل أصحابه يتحرقون على موتها فى أرض الغربة فقال
يا معشر الاخوان ليس بين الموت فى الغربة والوطن فرق وذلك ان الطريق الى
الآخرة واحدة من جميع النواحى وقيل ما أحلى الاشياء فقال الذى يشتهى
الانسان وقال انكى لعدوك ان لا تريه انك تتخذه عدوا انتهى كلامه
(سقراط) كان من تلاميذ فيثاغورس واقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية
واعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن بمخالفة اليونانيين فى عبادتهم الاصنام
وقابل رؤساءهم بالحجاج والادلة فثوروا العامة عليه واضطروا ملكهم الى
قتله فأودعه الملك الحبس تحمدا اليهم ثم سقاه السم تفاديا من شرهم مع
مناظرات جرت له مع الملك محفوظة وله وصايا شريفة وآداب فاضلة وحكم
مشهور ومعنى سقراطيس باليونانية المعتصم بالعدل وبلغ من تعظيمه الحكمة
مبلغا أضر بمن بعده من محبى الحكمة لانه كان من رأيه ان لا يستودع الحكمة

الصحف ولا القراطيس تنزيها لها عن ذلك ويقول ان الحكمة طاهرة مقدسة
فلا ينبغي ان تستودعها الا الانفس الحية وتنزهها عن الجلود الميتة ولم يصنف
كتابا ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبته في قرطاس وانما كان يلقنهم علمه
تلقينا لا غير وتعلم ذلك من أستاذه طيماوس فانه قال في صباه لا تدعني أدون
ما أسمع منك من الحكمة فقال له ما أوثقك بجلود البهائم الميتة وأزهدك
في الخواطر الحية هب انسانا لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم هل كان
يحسن ان تحيله على الرجوع الى منزلك والنظر في كتبك فان كان لا يحسن
فألزم الحفظ فلزمه سقراط (ومن) آداب سقراط وحكمه ونوادره ما ذكره الامير
المبشر بن فاتك في كتابه قال سقراط عجبا لمن عرف فناء الدنيا كيف تلهيه
عما ليس له فناء وقال النفس جامعة لكل شيء فمن عرف نفسه عرف كل شيء
وقال ما ضاع من عرف نفسه وما أضيع من جهل نفسه وقال ستة لا تفارقهم
الكآبة الحقود والحسود وحديث عهد بغنى وغني يخاف الفقر وطالب رتبة
يقصر قدره عنها وجليس أهل الادب وليس منهم وقال خير من الخير وشر
من الشر من عمل به وقال اتقوا ما تبغضه قلوبكم وقال من اهتم بالدنيا ضيع
نفسه ومن اهتم بنفسه زهد في الدنيا وقال طالب الدنيا ان نال ما أمل تركه
لغيره وان لم ينل ما أمل مات بغصة وقال من أحب ان لا تفوته شهوة فليشته
ما يمكنه وقال له رجل شريف الجنس وضيع الخلائق أما تأنف نفسك يا سقراط
من خساسة جنسك فأجابه جنسك عندك انتهى وجنسي مني ابتدئ وقال
لا يكون الحكيم حكيما حتى يغلب شهوات الجسم وكان يقول القينة مخدومة
ومن خدم غير ذاته فليس بحر وقال انما جعل للانسان لسان واحد وأذنان
ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به وقال أنفع ما اقتناه الانسان الصديق
المخلص وقال الصامت ينسب الى العي والمتكلم ينسب الى الفضول ويندم
وقال اذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به أضيق وقال من أراد النجاة
من مكائد الشيطان فلا يطيعن امرأة فان النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة
الا بالصعود عليه وقال لتلميذه يا بني ان كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك
لهن كأكل الميتة ولا تأكلها الا عند الضرورة فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمق فان
أخذ آخذ منها فوق الحاجة أسقمته وقتلته وقيل له ما تقول في النساء فقال

هن



هن كشجر الدفلى له رونق وبهاء فاذا أكله الغر قتله وقال من قل همه على
ما فاته استراحت نفسه وصفا ذهنه وقال أفضل السيرة طيب المكسب وتقدير
الانفاق وقال من يجرب يزدد علما ومن يؤمن يزدد يقينا ومن يستيقن يعمل
جاهدا ومن يحرص على العمل يزدد قوة ومن يكسل يزدد فترة وقال القينة
ينبوع الاحزان فلا تقتنوا الاحزان وقال لولا ان في قولي انني لا أعلم اخبارا
انني أعلم لقلت اني لا أعلم (افلاطون) فيلسوف يوناني طبي عالم بالهندسة
وطبائع الاعداد ومعنى اسمه العريض الواسع لزم سقراط وسمع منه خمس سنين
ثم مات سقراط فبلغه ان بمصر قوما من أصحاب فيثاغورس فسار اليهم حتى أخذ
عنهم وبلغ من العمر احدى وثمانين سنة وكان حسن الاخلاق كريم الافعال
كثير الاحسان الى كل أحد غريبا وقريبا متئدا حكيما صبورا (ومن) كلامه
ومواعظه العادة على كل شيء سلطان وقال من لم يواس الاخوان عند دولته
خذلوه عند فاقته وقيل له لم لا تجتمع الحكمة والمال فقال لعز الكمال وقال اذا
أردت ان تدوم لك اللذة فلا تستوف الملتذ أبدا بل دع فيه فضلة تدوم لك اللذة
وقال غاية الادب ان يستحي المرء من نفسه وقال ما ألمت نفسي الا من ثلاث
من غني افتقر وعزيز ذل وحكيم تلاعبت به الجهال وقال لا تطلب سرعة
العمل واطلب تجويده فان الناس ليس يسألون في كم فرغ من هذا العمل
وانما يسألون عن جودة صنعته وقال اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرياسة
على الناس لانهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك
بما تملك وقال عين المحب عمياء عن عيب المحبوب وقال الحلم لا ينسب الا الى
من قدر على السطوة والزهد لا ينسب الا الى من ترك بعد المقدرة وقال الحسن
الخلق من صبر على السيء الخلق وقال أشرف الناس من شرفته الفضائل
لا من يشرف بالفضائل وذلك ان من كانت الفضائل فيه جوهرية فهي تشرفه
ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه وقال الحياء اذا توسط وقف
الانسان عما عابه واذا أفرطه وقفه عما يحتاج اليه واذا قصر خلع عنه ثوب
التجمل في كثير من احواله وقال لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه
شرا وانت لا تدري وقال من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك
ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك وقال رب مغبوط بنعمة

هى بلاؤه ورب محمود على حال هى دواؤه وقال الامل خداع النفوس لا تستكثرن من عشرة جملة عيوب الناس فانهم يلتقطون ما غفلت عنه وينقلونه الى غيرك كما ينقلون عنهم اليك وقال الافراط فى النصيحة يوهم بصاحبها كثيرا من المظنة وقال ليس ينبغى للرجل ان يشغل قلبه بما ذهب منه ولكن يعتنى بحفظ ما بقى عليه وسئل عند موته عن الدنيا فقال خرجت اليها مضطرا وعشت فيها متحيرا وها أنا أخرج منها كارها ولم أعلم فيها الا انى لا أعلم (ارسطاطاليس) وتفسيره تام الفضيلة قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل فى كتابه عن ارسطاطاليس انه كان فيلسوف اليونان وعالمها وخطيبها وطبيبها وكان أوحدا فى الطب وغلب عليه علم الفلسفة قال المسعودى وكان افلاطون يجلس فيستدعى من الكلام فيقول حتى يحضر الناس وربما قال حتى يحضر العقل فاذا حضر قال تكلموا فقد حضر العقل (ومن) كلامه وحكمه رغبتك فيمن زهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك قصر همة وقال الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره وقال الحاجة تفتح أبواب الحيلة ونظر الى حديث يتهاون بالعلم فقال له انك لم تصبر على تعب العلم وصبرت على شقاء الجهل وقال كفى بالتجارب تأدبا وبالايام عظة وقال خير الاشياء أجدها الا المودات وقال كلام العجلة موكل به الزلل وأعاد على تلميذه مسئلة فقال له أفهمت فقال التلميذ نعم فقال لا أرى آثار الفهم عليك قال وكيف ذلك قال لا أراك مسرورا والدليل على الفهم السرور (جالينوس) وكان مولده من بعد زمان المسيح بتسعة وخمسين سنة على ما أرخه اسحق بن حنين وأما قول من زعم انه كان معاصره وانه توجه اليه ليراه و يؤمن به فغير صحيح وقد أورد جالينوس فى مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى وعيسى وتبين من قوله انه كان من بعد المسيح بهذه المدة التى تقدم ذكرها (ومن) ألفاظ جالينوس وحكمه ونوادره ما ذكره حنين بن اسحق فى كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء قال الهم فناء القلب والغم مرض القلب ثم بين ذلك فقال الغم بما كان والهم بما يكون وفى مواضع أخر الغم بما فات والهم بما هو آت (ومن) كلامه فى العشق قال العشق استحسان ينضاف اليه طمع وقال ان واحكم تنبل تنل ولا تكن معجبا فتمتهن وقال الحياء خوف المستحيى من نقص يقع به عند من هو

افضل

أفضل منه وقال يتهيؤ للانسان ان يصلح أخلاقه اذا عرف نفسه فان معرفة الانسان هى الحكمة العظمى وذلك ان الانسان لافراط محبته لنفسه بالطبع يظن بها من الجميل ما ليست عليه حتى ان قوما يظنون بأنفسهم انهم شجعان وكرماء وليسوا كذلك وأما العقل فيكاد ان يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه وأقرب الناس الى الذى يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلا ورأى رجلا تعظمه الملوك لشدة جسمه فسأل عن أعظم ما فعله فقالوا انه حمل ثورا مذبوحا من وسط الهيكل حتى أخرجه خارجا فقال لهم فقد كانت نفس الثور تحمله ولم يكن لها فى حمله فضيلة وقال ان العليل يتروح بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببل القطر وقيل له متى ينبغى للانسان ان يموت قال اذا جهل ما يضره مما ينفعه ومن كلامه انه سئل عن الاخلاط الاربعة فقيل له ما قولك فى الدموى فقال عبد مملوك وربما قتل العبد مولاه قيل له فما قولك فى الصفراء قال كلب عقور فى حديقة قيل له فما قولك فى البلغم قال ذلك الملك الرئيس كلما أغلقت عليه بابا فتح لنفسه بابا قيل له فما قولك فى السوداء قال هيهات تلك الارض اذا تحركت تحرك ما عليها (ومن) ذلك قال أنا أمثل لك مثالا فى الاخلاط الاربعة فأقول ان مثال الصفراء وهى المرة الحمراء كمثل امرأة سليطة صالحة تقية فهى تؤذى بطول لسانها وسرعة غضبها الا انها ترجع سريعا بلا غائلة ومثل الدموى كمثل الكلب الكلب فاذا دخل دارك فعاجله اما باخراجه أو قتله ومثل البلغم فى البدن اذا تحرك مثل ملك دخل بيتك وأنت تخاف ظلمه وجوره وليس يمكن ان تخرق به وتؤذيه بل يجب ان ترفق به وتخرجه ومثل السوداء فى الجسد مثل الانسان الحقود الذى لا يتوهم فيه بما فى نفسه ثم يثب وثبة فلا يبقى مكروها الا يفعله ولا يرجع الا بعد الجهد الجهيد (ومن) تمثيلاته الظريفة قال الطبيعة كالمدعى والعلة كالخصم والعلامات كالشهود والقارورة والنبض كالبينة ويوم البحران كفصل القضاء والفضل والمرض كالمتوكل والطبيب كالقاضى (ابن كلدة الثقفى) لما وفد على كسرى أنوشروان أذن له بالدخول فلما وقف بين يديه منتصبا قال له من أنت قال أنا الحرث بن كلدة قال فما صناعتك قال الطب قال اعرابى أنت قال نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها قال أيها الملك انه

اذا كانت هذه صفتها كانت أحوج الى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل أمشاجها فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز موضع دائه ويحترز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه قال كسرى فكيف تعرف ما توردها عليها ولو عرفت الحكم لم تنسب الى الجهل قال الطفل يناغى فيداوى والحية ترقى فتداوى ثم قال أيها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل من قسمته أصاب وخص بها قوم وزاد فيهم منهم مثر ومعدوم وجاهل وعالم وعاجز وحازم ذلك تقدير العزيز العليم (قال) كسرى فما الداء الدوى قال ادخال الطعام على الطعام وهو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى البرية قال أصبت قال فما العلة التى تظلم منها الادواء قال هى التخمة ان بقيت فى الجوف قتلت وان تحللت أسقمت قال صدقت قال فما تقول فى الحجامة قال فى نقصان الهلال فى صحو ولا غيم فيه والنفس طيبة والعروق ساكنة لسرور يفاجئك وهم يباعدك قال فما تقول فى الحمام قال لا تدخله شبعانا ولا تغش أهلك سكرانا ولا تقم بالليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق بنفسك تكن رخى البال وقلل من طعامك يكن أهنى لنومك قال فما تقول فى الدواء قال ما لزمتك الصحة فاجتنبه فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان أصلحتها عمرت وان تركتها خربت قال فما تقول فى الشراب قال أطيبه أهنأه وأرقه أمرأه وأعذبه أشهاه تشربه صرفا فيورثك صداعا ويثير عليك من الادواء أنواعا قال فاى اللحمان أفضل قال الضأن الفتى والجدى الرضيع والقديد المالح مهلك للاكل واجتنب لحم الجزور والبقر قال فما تقول فى الفواكه قال كلها فى اقبالها وحين أوانها واتركها اذا أدبرت وانقضى زمانها وأفضل الفاكهة الرمان والاترج وأفضل الرياحين الورد والبنفسج وأفضل البقول الهندباء والخس قال فما تقول فى شرب الماء قال هو حياة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر وشربه بعد النوم ضرر وأفضله أمراه وأرقه أصفاه قال فاخبرنى عن اصل الانسان ما هو قال أصله من حيث شرب الماء يعنى رأسه قال فما هذا النور الذى فى العينين قال مركب من ثلاثة أشياء فالبياض شحمة والسواد ماء والناظر ريح قال فعلى كم شئ جبل وطبع هذا البدن قال على أربع طبائع المرة السوداء

وهى باردة يابسة والدم حار رطب والبلغم بارد رطب والصفراء حارة يابسة قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك قال فمن طبيعتين لو كان اقتصر عليهما قال لم يجز لانهما ضدان مختلفان يقتتلان قال فمن ثلاثة قال لم يصلح موافقان ومخالف فالاربع هو الاعتدال والقيام قال فاجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة قال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وفى المر حار وبارد قال فما أفضل ما عولج به المرة الصفراء قال كل بارد لين قال فالمرة السوداء قال كل حار لين قال فالبلغم قال كل حار يابس قال فالدم قال اخرجه اذا زاد (الشئ بالشئ يذكر) كنت أنشدت سيدى القاضى صدر الدين على بن القاضى أمين محمد بن الادمى قول بعض الفضلاء وهو

أصبحت تخرجنى بغير جريمة * من دار اكرام لدار هوان
كدم الفصاد يراق ارذل موضع * أبدا ويخرج من أعز مكان

(فأنشدنى) لنفسه بعد أيام

قد كنت مثل دمى صدقت أجله * وأعزه لابان عن جثمانى
لما فسدت وزدت لم آمن على * روحى فصلت عليك بالهجران

(رجع) قال فالرياح قال بالحقن اللينة والادهان الحارة اللينة قال أفتأمر بالحقنة قال نعم قرأت فى بعض الكتب للحكماء ان الحقنة تنقى الجوف وتكسح الادواء عنه والعجب ممن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد وان الجاهل كل الجهل من يأكل ما عرف مضرته ويؤثر شهوته على راحة بدنه قال فما الحمية قال الاقتصاد فى كل شئ فان الاكل فوق المقدار يضيق على الروح مساحتها ويسد مسامها قال فما تقول فى النساء واتيانهن قال كثرة غشيانهن رديئة واياك واتيان المرأة المسنة فانها كالشن البالى تجذب قوتك وتسقم بدنك وماؤها سم قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك الكل ولا تعطيك البعض والشابة ماؤها عذب زلال وعناقها غنج ودلال فوها بارد وريحها طيب وهنها ضيق تزيدك قوة الى قوتك ونشاطا الى نشاطك قال فايهن القلب اليها أميل والعين برؤيتها أسر قال اذا أصبتها المديدة القامة العظيمة الهامة واسعة الجبين قناة العرنين كحلاء لعساء صافية الخد عريضة الصدر مليحة النحر فى خدها

رقة وفى شفتيها لعس مقرونة الحاجبين ناهدة الثديين لطيفة الخصر والقدمين بيضاء فرعاء جعدة غضة بضة تخالها فى الظلمة بدرا زاهرا تبسم عن أقحوان وعن مبسم كالارجوان كأنها بيضاء مكنونة الين من الزبد وأحلى من الشهد وأزهى من الفردوس والخلد وأذكى ريحا من الياسمين والورد تفرح بقربها وتسرك الخلوة بها قال فضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه قال ففى أى الاوقات اتيانها أفضل قال عند ادبار الليل يكون الجوف أخلى والنفس أهدى والقلب أشهى والرحم أدفى فان أردت الاستمتاع بها نهارا تسرح عينيك فى جمال وجهها و يجتنى فوك من ثمرات حسنها و يعى سمعك من حلاوة لفظها وتسكن الجوارح كلها اليها فتجنب الشبع ووقت القيلولة وهيجان الدم قال كسرى لله درك من اعرابى لقد أعطيت علما وخصصت فطنة وفهما وأحسن صلته وأمر بتدوين مانطق به (تياذوق) كان فى دولة بنى أمية وصحب الحجاج بن يوسف الثقفى وخدمه بصناعة الطب ومن وصيته له لاتأكل حتى تجوع ولا تكرهن على الجماع ولا تحبس البول وخذ من الحمام قبل ان يأخذ منك وقال له أربعة تهدم العمر ور بما قتلن دخول الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة العجوز يبعد منهن وقيل ان بعض الملوك لما رأى تياذوق شاخ وكبر خشى ان يموت ولا يعتاض عنه لانه كان أحذق الامة فى وقته بالطب فقال له صف لى ما أعتمد عليه فاسوس به نفسى وأعمل به أيام حياتى فلست آمن من أن يحدث عليك حادث الموت ولا أجد مثلك فقال تياذوق أيها الملك أقول لك عشرة أبواب ان عملت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك وهى لاتأكل طعاما وفى معدتك طعام ولا تأكل ماتضعف اسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين فان أصل الداء التخمة وأصل التخمة الماء على الطعام وعليك بدخول الحمام فى كل يوم مرة واحدة فانه يخرج من جسدك مالا يصل اليه الدواء وأكثر الدم فى بدنك تحرس به نفسك وعليك فى كل فصل بقيئة ومسهلة ولا تحبس البول وان كنت راكبا وأعرض نفسك الخلاء قبل نومك ولا تكثر الجماع فانه يقتبس منك ماء الحياة فلتكثر او تقل ولا تجامع العجوز فانه يورث موت الفجأة فلما سمع ذلك أمر كاتبه ان يكتب هذه

الالفاظ بالذهب الاحمر ويضعه فى صندوق من ذهب مرصع بالجوهر وبقى ينظر اليه فى كل يوم و يعمل به فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذى لابد منه ولا محيص عنه (بختيشوع) طبيب الرشيد من كلامه أربعة تهدم العمر ادخال الطعام على الطعام والشرب على الريق ونكاح العجوز والتمتع فى الحمام (يوحنا) بن ماسويه ومن كلامه وقد سئل عن الخير الذى لاشر معه فقال شرب القليل من الشراب الصافى ثم سئل عن الشر الذى لاخير معه فقال نكاح العجوز (يعقوب) بن اسحاق الكندى فيلسوف العرب ومن كلامه ما أوصى به لولده أبى العباس قال الكندى يابنى الاب رب والاخ فخ والعم غم والخال وبال والولد كمد والاقارب عقارب وقول لا تصرف البلاء وقول نعم تزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت والدينار محموم فان صرفته مات والدرهم محبوس فان أخرجته فر والناس سخرة فخذ شيئهم واحفظ شيئك ولا تقبل ممن قال ان اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع (أوحد الزمان هبة الله أبو البركات) ابن على كان يهوديا وأسلم ومن حذقه أن مريضا كان ببغداد قد عرضت له علة المالنخوليا وكان يعتقد أن على رأسه دنا وانه لايفارقه أبدا فكان كلما مشى يتحايل أن المواضع سقوفها قصيرة ويمشى برفق ولا يترك أحدا يدنو منه حتى لا يميل الدن عن رأسه أو يقع وبقى هذا المرض مدة وهو فى شدة منه وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل من معالجتهم تأثير ينتفع به وأنهى أمره الى أوحد الزمان ففكر أنه مابقى شئ يمكن أن يبرأ به الا بالامور الوهمية فقال لاهله اذا كنت فى الدار فأتونى به ثم ان أوحد الزمان أمر أحد غلمانه بان ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع فى الكلام معه وأشار الى الغلام بعلامة بينهما ان يسرع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذى يزعم انه على رأسه وأوصى غلاما آخر وكان قد أعد معه دنا فى أعلى السطح أنه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأسه أن يرمى الدن الذى عنده بسرعة الى الارض ولما كان أوحد الزمان فى بيته وأتاه المريض فأقبل اليه وقال له والله لابد لى أن أكسر الدن وأريحك منه ثم أدار تلك الخشبة التى معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح فكانت له

وبحة عظيمة وتكسر قطعا كبيرة فلما عاين المريض مافعل به ورأى الدن المنكسر تأوه لكسرهم اياه ولم يشك فيه انه الذى كان على رأسه بزعمه وأثر فيه الوهم أثرا أبرأ علته من تلك وهذا باب عظيم فى المداوة (العنترى صاحب النور المجتبى) كان طبيبا ماهرا مشهورا وعالما مذكورا وافر الفضل فيلسوفيا متبصرا فى علم الادب ومن كلامه الجاهل عبد لا يعتق رقه الا بالمعرفة وقال الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق وقال الادب أزين للمؤمن من نسبه وأولى للمرء من حسبه وأدفع عن عرضه من ماله وأرفع لذكره من جماله وقال من أحب ان ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه وقال الجاهل يطلب المال والعالم يطلب الكمال وقال الغم ليل القلب والسرور نهاره وشرب السم أهون من معاناة الهم (ومن شعره)

لو كنت تعلم كل ماعلم الورى * جمعا لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب كل من * يهوى خلاف هواك ليس بعالم

(يحيى بن اسحق) كان طبيبا ذكيا وعالما بصيرا بالعلاج صانعا بيده وكان فى دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره نقل عنه من حذقه انه أتى اليه بدوى على حمار وهو يصيح على باب داره أدركونى وكلموا الوزير بخبرى فلما خرج اليه قال مابالك فقال له ورم فى احليلى منعنى النوم منذ أيام كثيرة وأنا فى الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو وارم فقال لرجل كان قد أقبل مع العليل أطلب لى حجرا أملس فطلبه فوجده فقال ضعه على كفك وضع عليه الاحليل فلما مكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب على الاحليل ضربة غشى الرجل منها ثم اندفع الصديد يجرى فلما استوفى الرجل صديد الورم فتح عينيه ثم بال البول فى أثر ذلك فقال له اذهب فقد برئت علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة فى دبرها فصادفت شعيرة من علفها فى عين الاحليل فورم لها وقد خرجت فى الصديد فقال له الرجل قد فعلت هذا وأقر بذلك وهذا يدل على حدس صحيح وقريحة صادقة (ابن جميع الاسرائيلى) من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر ونقل عنه من حذقه انه كان جالسا فى دكانه وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا أهل الميت وذكر لهم ان

ان

ان صاحبهم لم يمت وانهم ان دفنوه فانما يدفنونه حيا فصاروا ناظرين اليه كالمتعجبين من قوله ولم يصدقوه فيما قال ثم انهم قال بعضهم هذا الذى يقوله مايضرنا انا نمتحنه فان كان حيا فهو الذى نريده وان لم يكن حيا فما يتغير علينا شئ فاستدعوه اليهم وقالوا بين الذى قلت لنا فأمرهم بالمصير الى البيت وان ينزعوا عنه أكفانه وقال لهم احملوه الى الحمام وسكب عليه الماء الحار فاحمى بدنه ونطله نطولا وغطسه فرأى فيه أدنى حس وتحرك حركة خفية فقال أبشروا بعافيته ثم تمم علاجه الى ان أفاق وصلح فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصنعة والعلم وظهرت عنه ثم انه سئل بعد ذلك من أين علمت حال ذلك الميت وهو محمول وعليه الاكفان ان فيه روحا فقال انى نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الذين قد ماتوا تكون منبسطة فحدست انه حى وكان حدسى صائبا والله أعلم (الحكيم صدقة السامرى) هو الفاضل صدقة بن منجا ابن صدقة ويعرف بابن الشاعر من الاكابر فى صناعة الطب والمتميزين من أهلها والاماثل من أربابها خدم الملك الاشرف موسى بن العادل بن أيوب الى أن توفى فى خدمته وكان يحترمه غاية الاحترام ويكرمه غاية الاكرام وخلف من الكتب عشرة آلاف مجلدة غير كراريس وأوراق مفرطة تقدير ألف مجلد (ومن كلامه) انظر الموت بعين عقلك تره قريبا ولا تره بعين أملك تلحظه بعيدا وقال العلم شجرة فى القلب تزرع ومن الالسنة تظهر ثمارها وقال أنت بنفسك قريب من موجدك ومكونك وبشهواتك وعصيانك أنت بعيد من ربك (ومن نظمه)

يا ابن قسيم أصبحت تنتحل النحو ودعواك فيه منحوله
أمك مابالها فاعل وأجب * مرفوعة الساق وهى مفعوله
فاعلها الاير وهو منتصب * مسائل قد أتتك مجهوله
والعين عطل وعين عصعصها * بنقطة الخصيتين مشكوله

(وله)

شيخ لنا من عظمه داهيه * مامثله فى الامم الخاليه
مهندس فى طول أيامه * مع قصره يبتلع الساقيه
مثلث بدعمه قائم * لانه منفرج الزاويه

(نقلت) من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس كتب صاحبنا فخر الدين

عبد الوهاب كاتب الدرجة الشريفة رحمه الله الى ابن صغير المتطبب وقد دعاه
في مرضه ودخل الى الطهارة فعثر في طست الحقنة فاختضبت رجله رقعة يداعبه
بها أولها * الشئ بالشئ يذكر * توجه سيدي بالامس مخضب القدم من هيولاه
ذاما من محله المعمور لما منه تولاه وما كان من حقه في أمسه تكدير نفسه
ولكل شئ آفة من جنسه هذه مسئلة عركها أكبر منه بجبين واشتغل بها
اشتغال ذي النحيين وأظنه قبل قدمه نخرج على تلك الصوره أو بعض
أجزائه خلع صورة ولبس صوره (مفرد)

فتى غير محجوب الندى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

على انه أكثر محافظة وودا وأرعى ذمة وعهدا كم أحرقته نار وجد الى أوطانه
وازعجته من مكانه وهو لا يظهر الاحبا ولا يطلب منه الاقربا

لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

وبالجملة فأنا أسأل الله ان يكفيه سوء هذه المحنه كما كفى شمائله اللطيفة
شر الابنه انه مجيب الدعاء ولي المنه (حكى) ان بعض الاطباء كان في بعض
خدمة الملوك في غزوة ولم يكن معه وقت النصرة كاتب يرسل فتقدم الى
الطبيب ان يكتب الى الوزير يعلمه بذلك فكتب الطبيب أما بعد فانا كامع
العدو في حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يكن الا على قيفال
فلم يكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع
بسعادتك يا معتدل المزاج (قلت) ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز (ووجدت)
بخط طبيب على بعض الكتب طالعت هذه النسخة فوجدتها تأن سقما
فعالجتها بالمقابلة الى ان تماثلت للصحة ولبعضهم يهجو طبيبا يهوديا

قالوا اليهودي أخو حكمة * لازالت الامراض في كأسه
لو كان ذا النحس أخا حكمة * أزال دا الصفراء من رأسه

(وما ألطف قول الشيخ زين الدين بن لوردي مضمنا)

يامن يطبب قوما ثم يهملهم * يوما بماذا عداك الشر تعتذر
اذكر فلان الذي أسهلته سحرا * ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا

(ولآخر) مفرد

حكيم لطيف من لطافة وصفه * يود المعافى السقم حتى يعوده

كتب

(كتب) المرحوم الوزير فخر الدين بن مكانس الى ابن صغير في بعض مرضاته
يسرع المولى عند الوقوف اليها نقل الخطوه ولا يتأخر فان القوة على الضعيف
ضعف في القوه فجاءني على عاداته

تعدوا المنايا فما تنفك واقفة * حتى تراه على عزم فتتبعه

فحين رآني من الهريرة كالرعديد وشاهد ما بي من البرد قال ما أراك الاجليد
فقلت له معالجة أم محاججه ومناصحة أم ممازحه ومطايبة أم مداعبه
واستوصفته فجرى على المعهود منه في الجهل بما يقول وعدم التمييز بين
المعقول والمنقول ولكني الظالم على نفسي والمشكك في حسي فاني أعهده
لم يزل مميت الأحيا ومقفر الاحيا فكم له بالديار المصرية من قتلى وأوراقه
للمرضى أشر من أوراق الدفلي كم شاب عالجه فأكسبه الصرع الفالج
ولان يسمى مصارعا أليق به من معالج ثلاثة تدخل في دفعه طلعته والنعش
والغاسل لكنه مع ذلك ممن يجمع بين الاقران ويعمل المحرم في رمضان قد ملك
قياد القيادة على الفنين وطالت فيهما مدته فاستحق ان يدعى بذي القرنين
فاستعذت بالله من الشيطان وسرحته باحسان (كتب) القاضي الفاضل
في الكحالين يا كرني كل عبري العناصر يعربني بالرحمة على بخت ناصر
كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوطة من كحله الملعون ويدرجه في كفن
من الخرقة السوداء التي يلبسها سواد العيون مردودة عصية ولد بها عصى العمى
ينقل العين الى بياض الثغور وبياض اللحى قد انتهى الى فوق ما ضرب به
المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين وهذا يسرق العين من الكحل فهذا
وأمثاله لص من اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يصوغون ويركبون
فوق العيون من الفصوص بل دباغون يدبغون الجفن أيضا وما يعدوهم مهك
الدباغ بل صباغون يصبغون الاسود أبيض وليس ذلك الصباغ قد أودعوا
حزن يعقوب في كحلهم مكاحلهم فمن كحل به ابيضت عيناه وجدوا معجز
القميص اليوسفي فلو مروا به على ناظر ما انفجرت جفناه واذا رفعوا أميالهم
فانما هي لشمس العيون مزوله واذا أولج أحدهم الميل في المكحلة فهو أولى
بالرجم ممن أولج الميل في المكحله وما يؤم أهل الكتاب في التبديل بواحد
ولا خطاهم طريق الى الغي غير راشد فيوما محرا آية النبي صلى الله عليه وسلم

من التواراة وهى مسفره ويوم امحوا آية النور من الابصار وهى مسفره ولاخير فيهم حاربوا فمحوا بالامس الخطوط من الاوراق واستداموا الى اليوم فمحوا الخطوط من الاحداق (كتب) الحكيم شمس الدين بن دانيال الى السراج الوراق قطعة كحل اصفهانى

قل لعين الاماثل الاعيان * ومحل الانسان للانسان
خذه كحلا مثل السيوف جلاء * وصقال الابروق فى الاجفان
حجر كسره أجل من الاكسير * فعلا فى العين أو فى العيان
ألف عين تقيمها حبة منه * قياسا يصح بالبرهان
ان تعظم مثاله فى حجاز * فلهذا التعظيم فى اصبهان

(الباب الثالث والثلاثون فى الحساب والوزراء)

اعلم ان الوزير مشتق اسمه من حمل الوزر عمن خدمه وحمل الوزير لا يكون الا بسلامة من الوزير فى خلقته وخلائقه أما فى خلقته فانه يكون تام الصورة حسن الهيئة متناسب الاعضاء صحيح الحواس وأما فى خلائقه فهو ان يكون بعيد الهمة سامى الرأى ذكى الذهن جيد الحدس صادق الفراسة رحب الصدر كامل المروءة عارفا بموارد الامور ومصادرها فاذا كان كذلك كان أفضل عدد المملكة لانه يصون الملك عن التبذل ويرفعه عن الدناءة ويغوص له على الفكرة ومنزلته منزلة الآلة يتوصل بها الى نيل بغيته وبمنزلة الذى يحرز المدينة من دخول الآفة ومنزلة الجارح الذى يصيد لطعمة صاحبه وليس كل أحد وان صلح لهذه المنزلة يصلح لكل سلطان ما لم يكن معروفا بالاخلاص لمن خدمه والمحبة لمن استنصحه والايثار لمن قربه وقال الثعالبى فى يواقيت المواقيت الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهى تلو الملك والامارة والرتب العلياء والدرجة الكبرى بعدهما قال منصور النميرى يمدح يحيى البرمكى

ولو علمت فوق الوزارة رتبة * تنال بمجد فى الحياة انالها

والانبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف الملوك والامراء وقد نطق القرآن بوزارة هرون لموسى عليهما السلام فى قوله تعالى رب اشرح لى صدرى

ويسر

ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ثم قال فى نظام الآية الكريمة وعلى نسق الكلام قد أوتيت سؤلك يا موسى فدل على انه جعله وزيره وصاحب سره وشريكه وافصح عن حسن موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة اليها وكان آصف بن برخيا وزير سليمان بن داود عليهما السلام والمتولى على أموره وكان نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول ان لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الارض فأما اللذان من أهل السماء فجبريل وميكائيل عليهما السلام وأما اللذان من أهل الارض فأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه أو أراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغنى أعلم الملوك عن الوزير ولا أجود السيوف عن الصقال ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعقل النساء عن الزوج

(فصل فيما ينبغى للوزير ان يأتيه) اعلم ان الملوك لا يشبهون الآدميين الا بالصور فأما بالطباع والاخلاق والهمم فلا لانهم لا يشاكلونهم ولا يشابهونهم والملك وان كان كريما سخيا بعيد الهمة كثير المحاسن فانه لا يخلو قط من أربع خصال الحسد والحقد والملال والحرص على المال فينبغى ان يكون الوزير أعقل الناس وأحزمهم وأدهاهم وأبعد غورا فيجب عليه ان يدارى أخلاق الملك كما يدارى السباح الماء المغرق والوالدان أولادهم الصغار والحاوى الحية ويتحفظ من غائلته كما يتحفظ من السبع والنار القوية والمجنون الذى بيده السيف المسلول ويجب أن لا يملك ما يصلح للملك من الاعلاق النفيسة الا مافى نفسه ان يهديه اليه ويخدمه به وينبغى له ان يظهر ويشيع جميع ما يملكه وتحويه يده للملك وانه انما يملكه ويحفظه من أجله ويجب عليه ان لا يسرف فى الاهداء ولا يتخرق فى بذل ما فى يده وكما لا يشبع النار من الحطب لا يشبع الملك من الاموال ولا بد للوزير من الاستظهار بالذخائر الخفية وقد قال الحكيم لوزير كان يستكثر من اعتقال الضياع ويغالى به عليك بحفظ الدنانير التى تشترى بها روحك من الملك فربما فعل ألف دينار ما لا تفعله ضياع ومستغل بمائتى ألف (ومن نكت هذا الباب) ان الملك يريد كل حسن وطيب لنفسه

ويستأثر به على والده وولده ولذلك يقال من ملك استأثر وكان معاوية يقول وددت لو ان الدنيا فى بيضة نيمرشت فأحسوها حسوة واحدة لا يشركنى فيها أحد (ودعا) الفضل بن مروان المعتصم الى داره واحتفل واحتشد فى احسان الدعوة فلما حضر المعتصم ورأى مروءته وتجمله عمل فيه الحسد عمله فانقبض ورؤى فى عينه ولم ينشط لطعام ولا شراب وزعم انه يشتكى بطنه ففطن الفضل لما دهاه وأراد أن يوهم ان تلك الآلات مستعارة من دار أمير المؤمنين ليطفئ نار حسده فتقدم اليه وقال يا أمير المؤمنين انما استعرت أكثر هذه الاشياء من دار أمير المؤمنين وقد أرهقنى الخزانون والفراشون باسترجاعها فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بامهالى فى ردها فعلت فضحك المعتصم وقال قل لهم لا يسترجعونها اليوم ثم نشط للطعام والشراب (ومما ورد فى تجنبها) قال المأمون لاحمد بن أبى خالد هل لك فى ان أستوزرك فقال دعنى يا أمير المؤمنين يكون بينى وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فلست أريد بلوغ النهاية لئلا يقول عدوّى قد بلغها وليس الا الانحطاط وكان ابراهيم بن المدبر اذا أعرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابى

يلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنا كل طارف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن كالدما * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك ان قد نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصنى * بغصتها بالمرهفات البوارد
ذرينى تجيئنى منيتى مطمئنة * ولم اتجشم هول تلك الموارد
وان عليات الامور مشوبة * بمستودعات فى بطون الاساود

(فصل) فى لطائف كلام الوزراء أبو سلمة الخلال وزير السفاح كان يقول خاطر من ركب البحر وأشد منه مخاطرة من داخل الملوك (أبو عبد الله) وزير المهدى يقول الرجال تحت ألسنة الاقلام خير الكلام ما دل وقل (يحيى بن خالد) وزير الرشيد ما رأيت باكيا أحسن تبسما من القلم ما رأى أحد فى ولده ما يحب الا رأى فى نفسه ما يكره (الفضل بن يحيى) وزيره أيضا جرى بين يديه يوما مدح الناس أباه بجوده فقال وما قدر الدنيا حتى يمدح من يجود بكلها فضلا عن بعضها ولما عزل بأخيه جعفر قال ما انتقلت منى نعمة صارت الى أخى ولا عزبت

منى رتبة طلعت عليه (جعفر بن يحيى) وزيره أيضا شر المال ما لزمك اثم مكسبه وحرمت الاجر فى انفاقه (الفضل بن الربيع) وزير الرشيد والامين كان يقول ما أظن النعمة الا مسخوطا عليها أما ترونها ابدا عند غير أهلها (الفضل بن سهل) وزير المأمون من توقيعاته الامور بتمامها والاعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها (اخوه الحسن بن سهل) وزير المأمون أيضا * عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه وقيل له لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير ومن كلامه لا يصلح للتصدير الا واسع الصدر (أحمد بن أبى خالد) وزيره أيضا بالاقلام تساس الاقاليم وكتب الى صديق له يستدعيه يوم الالتقاء قصير فاعن عليه بالبكور وكتب الى المأمون مع هدية بعثت الى أمير المؤمنين قليلا من كثيره (محمد بن يزداد) وزيره ايضا ليس فى الحب مشورة ولا فى الشهوات خصومة ومن توقيعاته أبواب الملوك معادن الحاجات وليس لاستنجاحها الا الصبر والملازمة (الفضل بن مروان) وزير المعتصم الكاتب كالدولاب اذا تعطل تكسر * ما رأيت أقرب رضى من سخط ولا أسرع ما بين قرب وبعد من الملوك (محمد بن الفضل الجرجانى) وزير المتوكل عاتبه المتوكل يوما على اشتغاله بالملاهى فقال يا أمير المؤمنين ان مقاساة هموم الدنيا لا تتأتى الا باستجلاب شئ من السرور (سليمان بن وهب) وزير المهدى * انى اغار على أصدقائى كما اغار على حرمى ونظر يوما فى المرآة فرأى شيبا كثيرا فقال عيبا لا عدمناه (الحسن بن مخلد) وزير المعتمد كان يقول أعوذ بالله من نحس الاربعاء وحد الاحد وكان يقول أمر امتنا يأتى جملة ويذهب جملة فلم لا يتعجل اللذات قبل فوتها ويتمتع بصفو الزمان قبل كدره (صاعد بن مخلد) وزير المعتمد الموفق * النفس أصل لا عوض عنه والمال فرع يعود اذا تشرب عما قليل المنع الجميل أحسن من المطل الطويل (أبو الحسن بن الفرات) وزير المقتدر * ما أريد الوزارة الا لصديق أنفعه أو لعدو أقمعه وكان يقول انى لآنف كل شئ حتى الطريق ومن كلامه ما رأيت أحدا على بابى وفى دارى ليس لى عنده احسان الا استحييت منه وصرفت غاياتى الى ارفاقه وتحصيل مراده ولولا حب المروءة ما رغبت فى الرياسة والوزارة (أبو على بن مقلة) وزير المقتدر والقاهر والرضى كان يقول اذا أحببت تهالكت واذا أبغضت أهلكت واذا رضيت أثرت واذا غضبت تأثرت وكان يقول أنا فى وزارتى

أقدم على العظائم كلها الا على اثنتين ازالة النعم وهتك الحرم (أبو جعفر أحمد بن سيرزاد) وزير المستكفى * الاصاغر يهفون والاكابر يعفون اياك والافراط الممل والتفريط المخل (أبو عبد الله الجيهانى) الكبير وزيره أيضا كان يقول جمال المرء فى لسانه وجمال المرأة فى عقلها ومن كلامه حسن الذكر ثمرة العمر (ابو الفضل بن العميد) وزير ركن الدولة * خير القول ما أغناك جده وألهاك هزله العاقل من أفتح من كل أمر خاتمته وعلم من بدء كل شئ عاقبته (الصاحب) ابو القاسم بن عباد وزير فخر الدولة وعد الكريم الزم من دين الغريم قد يبلغ الكلام حيث يقصر السهام الآمال ممدوده والانفاس معدوده ومن كلامه يا أسفى على رداء من الايام رقيق ما لبسناه حتى خلعناه وروض من الزمان مريع ما حللناه حتى فارقناه (قلت) لم أسمع فى رقة العيش ألطف من قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى رحمه الله تعالى

لست أنسى رقة العيش الذى * زاد فى الرقة حتى انقطعا

(رجع) ابو نصر بن ابى يزيد الراضى قال فى امتهانه لبعض الاعداء ماعسى ان يبلغ عض النملة ولسع النحلة ووقوع البقة على النخلة ومن كلامه الهدية ترد بلاء الدنيا والصدقة ترد بلاء الآخرة (ابو اسحق) ابراهيم بن حمزة وزير ابى على السيجورى قال ينبغى للاصاغر أن يتقدموا على الاكابر فى ثلاثة مواطن اذا ساروا ليلا واذا خاضوا سيلا أو لقوا خيلا (ابو الحسن الاهوازى) العدل أقوى جيش والامن أهنى عيش الاحن حصد المحن (عبد الله بن يحيى بن خاقان) كان يقول اذا دهانا أمر تمثلناه فى أصعب حالاته فما نقص منه كان سرورا بتعجله (نقلت) من تاريخ الصاحب كمال الدين بن العديم وهو تاريخه الكبير المسمى بغية الطالب فى تاريخ مدينة حلب بسنده الى يحيى بن خاقان قال حضرت الحسن بن سهل وقد جاءه رجل يستشفع به فى حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل على م تشكرنا ونحن نرى ان للجاه زكاة كما أن للمال زكاة ثم أنشأ يقول

فرضت على زكاة ما ملكت يدى * وزكاة جاهى أن أعين وأنفعا
فاذا ملكت فجد فان لم تستطع * فاجهد بفضلك كله ان تشفعا

(الصاحب) عون الدين يحيى بن هبيرة وزير المستنجد صاحب كتاب الافصاح حكى

عنه انه لما أدركته الوفاة أغمى عليه ثم أفاق فوجد أهله يبكون فقال ماشأنكم فقالوا بكينا لكونك خدمت الملوك والخلفاء فقال مذ دخلت فى عمل السلطان الى يومى هذا ما خبأت أحدا من خلق الله وأرجو من كرم الله تعالى انه لا يخجل هذه الشيبة

(فصل) فى لطائف هذا الباب قال بعض الفضلاء

غزال قد غزا قلبى * بألحاظ واحداق
له الثلثان من قلبى * وثلثا ثلثه الباقى
وثلثا ثلث ما يبقى * وثلث الثلث للساقى
وتبقى أسهم ست * تقسم بين عشاق

هذا الشاعر قسم قلبه الى أحد وثمانين سهما جعل لمحبوبه منها الثلثين وذلك أربع وخمسون سهما بقى الثلث وهو سبع وعشرون زاده ثلثيه وذلك ثمانية عشر فصار له اثنان وسبعون بقى ثلث الثلث وهو تسعة زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان بقى من الثلث واحد أعطاه للساقى بقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فحصل لمحبوبه أربعة وسبعون سهما وللساقى سهم وللعشاق ستة الجميع احد وثمانون (وقال) ابو عبد الله محمد بن جابر المغربى نزيل حلب المحروسة

قسم القلب فى الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه يا قوم حالى * ضاع قلبى ما بين ضرب وقسمه

(وقال) شيخنا عز الدين الموصلى

نسبة قلبى للهوى قسمت * فكرى وكم للعين من ضربه
ضاع حسابى ولقيت الاسى * بالضرب والقسمة والنسبه

(وقال) الصلاح الصفدى

عملت مع الزمان حساب بعدى * وسقت الاصل من يوم الفراق
وكنت أظننى غلقت قسطى * فقد طلعت على له بواقى

(وأنشدنى) فخر الدين بن مكانس لنفسه مضمنا

عملت مالى ارتفاع سقته غلط * الحاصل راح فى مضمونه مالى
وكلما نلت من عزم ومن نكد * من غفلتى وتوالى سوء أعمالى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه فى نكبة حصلت له وأجاد

وماتعلقت فى السرياق منتكسا * بجرمة أوجبت تعذيب ناسوتى
لكننى مذ نفثت السحر من كلمى * عذبت تعذيب هاروت وماروت

(وقال) المعمارى

ولى رفيق جهول * خالى من الآداب
أقول لما أراه * فى جملة الكتاب
سبحان رازق هذا * رزقا بغير حساب

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

لفلان فى الديوان صورة حاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر مامخرومه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب

(وأنشدنى) الشيخ المحدث لفصيح البارع الرحال غرس الدين خليل الافقهسى لابن حربى المغربى

ياناصبا علم الحساب حبالة * لقناص ظبى ساحر الالباب
ان كنت ترزق بالحساب وصاله * فالله يرزقنا بغير حساب

وما أظرف قول حسام الدين الحاجرى

صح حساب السحر من طرفه * اذ كان فى جفنيه جمع الكسور

(وقال) ابراهيم المعمار وألطف

ومليح قال صفنى * لازداد سرورا
كم حوى جفنى معنى * قلت ألفا وكسورا

(وقال) التقى السروجى

خدمت بذاك الوجه للثغر ناظرا * لعلى أمسى واليا من ولاته
وأصل حسابى ضبط حاصل وصله * وتقبيله مستخرج من جهاته

(وقال) برهان الدين القيراطى

خدمت بالاغزال أبوابه * لما تبدى حسنها الباهر
ولى من الدمع على خدمتى * جراية أطلقها الناظر

(وقال) ابراهيم المعمار

لمولانا الوزير ندى بأس * واحسان به سجعت حياتى
فيرضينا بألفاظ وكذب * محالات على كل الجهات

(وظرف)

(وظرف) ابن الوردى فى قوله

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا * تبادر بالقيام على الحراره
فأضحى لايقوم لبدر تم * كأن النحس قد أعطى الوزاره

(الباب السابع والثلاثون فى كتاب الانشاء وهو فصلان)

(الفصل الاول) فيما يحتاج اليه كاتب الانشاء من الاخلاق والادوات والآلات
(الفصل الثانى) فى أعيان كتاب الانشاء قديما وحديثا ونبذة مما لهم من المكاتبات
(الفصل الاول) قال أبو حيان التوحيدى يجب على الكاتب ان يكون حافظا لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار والسير حافظا الكثير من الرسائل والكتب وان يكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى متشابه الخط ذكيا عارفا بما يحتاج اليه خبيرا بالحلى والشيات مضطلعا بعب الكتابة له يد فى السواد وعمل فى الحساب وان يكون له يد فى عمل الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام لقيق الدواة حاد السكين صقيل الكاغد صلب الاقلام متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم ولا منقبض منهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضره مليح النادره غير قنف ولا متجرف ولا متكلف للالفاظ الغريبه ولا متعسف للغة الغوصه انتهى كلام أبى حيان (وقال) ابو الحسين محمد بن أحمد أظنه قدامة منزلة الكاتب التى يستحق بها أن يكون كاتبا فى قوله وفعله ومحاورته وفطنته وحجاه وأن يكون مطبوعا على المعرفة محنكا بالتجربه عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ومتشابههما وناسخهما ومنسوخهما وبالازمنة والادوار فى اختلافها وتعاقبها وبالملوك فى سيرها واقدارها وبالخطوط وانسابها واقلامها فى تصاريفه وجهاتها وببوادى الكلام ومقاطيعه فى فواتح الوصف وخواتم الوقف وفصول التمام ورسوم الكتب واقدار الرجال وتأليف الاوصاف ومشاكلة الاستعارة واثبات المعنى بشكله من القول والعلم بالنظائر والاشباه والتثبت بالشواهد والامثال حتى ينصب البيان أشخاصا ماثلة ويقيم للقول صورا ناطقة تنبئ عن احوالها وتدل على منازلها مع التخلق باخلاق الدين والتحلى بحلية الكرم واثبات محاسن

الامور والاجمال فى الصبر والطلاقة ولبسة اللب والوفاء واجتناب الدنايا والنقائص فى الشره والارتشاء والقلق والضجر والسخفة والسفه (وقال) محمد ابن ايوب بن سليمان عميد الرؤساء وابو طالب وزير للقائم حال كونه ولى عهد كان مترسلا بليغا متفننا صنف كتابا فى الخارج وهو القائل الكتاب سبعة أولهم الكامل الذى ينشئ ويملى ويكتب الثانى الاعزل وهو الذى ينشئ ويملى وخطه ردىء الثالث المبهم الذى يكتب خطا مليحا ولا يد له فى الانشاء الرابع الرقاعى يجيد رقعة يكتبها ولا حظ له فى التطويل الخامس المختل وهو الذى له حفظ ورواية ويعجز عن الانشاء فهذا نديم السادس المخلط وهو الذى يأتى بالدرة والبعرة ويقرن بينهما السابع السكيت شبيه بالمتأخر فى الجلبة فربما جهد نفسه وأتى بمعنى توفى سنة ثمان واربعين وستمائة (وقال) الشيخ الامام سيد كتاب الانشاء شهاب الدين ابو العباس احمد بن فضل الله العمرى فى كتابه الذى سماه مسالك الابصار فى ممالك الامصار ان كتابة الانشاء كانت فى المشرق خلافة فى بنى العباس منوطة بالقدماء وربما انفرد بها رجل وذكر ابن عبدوس فى مواضع من كتابه من ديوان السر وديوان الترسل ثم كانت آخر وقت افردت واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة وكان فى المشرق يسمى كاتب الانشاء ثم لما كثر عددهم سمى رئيسهم رئيس ديوان الانشاء ثم بقى يطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر وهى الى الآن ... وعند ابنه وعند الناس أذل وكان فى دول السلاجقة وملوك الشرق يسمى ديوان الطغراوية وبه سمى مؤيد الدين الطغراى والطغراء هى الطرة وهى التى تكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ تتضمن القاب الملك وهى لفظة أعجمية وكانت تقوم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بذلك عن أن يكون للسلطان علامة بخطه لكثرة وثوق الناس بصاحب هذه الرتبة وأهل المغرب يسمون رئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأهل هذه الرتبة لم يزل لهم الاختصاص والقرب أكثر من كل عام وخاص تحتاج الامراء الى مداراتهم وتقصر الوزراء مع علو رتبة فى الوزارة عن مباراتهم يجتمعون بالملك اذا أرادوا على عدد الانفاس وهم معنى الدولة وعليهم عولة كل الناس وما كانت الملوك تكاتب الخلفاء ببغداد الا على هذا الديوان أعنى ديوان الانشاء

الانشاء وكانت تسميه الديوان العزيز ولهذا كانت كتبهم تستفتح أدام الله أيام الديوان العزيز اشارة الى ديوان الانشاء وعليه كان يطلق هذا الاسم وله بهذا من الشرف ماله ومن الفخر ما يجر على السماء اذياله انتهى كلام القاضى شهاب الدين (وذكر الثعالبى) فى كتابه لطائف المعارف ان ادريس عليه السلام أول من خط بالقلم وكان يوسف عليه السلام يكتب لعزيز مصر وكان هرون ويوشع يكتبان لموسى عليهما السلام وكان سليمان يكتب لابيه داود عليهما السلام وكان آصف يكتب لسليمان عليه السلام (وروى) ان النبى صلى الله عليه استكتب عبد الله بن الارقم وكان يجيب عنه للملوك واستكتب أيضا زيد بن ثابت وكان يكتب الوحى ويكتب الملوك وكان اذا غاب عبد الله بن الارقم وزيد بن ثابت واحتاج ان يكتب الى أمراء الاجناد والملوك أو يكتب لانسان بقطيعة أمر من حضر أن يكتب وكتب له عمر وعثمان وعلى والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وحنظلة بن الربيع (آداب الكتابة) روى عن الشعبى انه قال كتب النبى صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك الله ونزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذى أعطى داود أما بعد وروى ان أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة وكان زيد بن ثابت يكره أن يكتب بسم الله ليس لها سين وكان اذا رآها بغير سين محاها وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب عمرو بن العاص لما كتب اليه بغير سين وقيل له فيما ضربك فقال ضربنى فى سين وعن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب احدهما ولم يترب الآخر فأسلمت القرية التى أترب كتابها وقال الحسن بن وهب كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك كما تكاتب حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة قال الوداعى فى تذكرته ان القاضى تاج الدين بن بنت

الاعز رحمه الله كان اذا كتب كتابا بدأ في ترميله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب وانه يخزن ذلك الرمل ويحتفظ به ولا يرميه في الارض وقال بزرجمهر من لم يختم كتابه فقد استخف بصاحبه واذا كتبت فاعد النظر فيه فانما تختم على عقلك وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه ومعنى الفض في اللغة التفريق والكسر ومنه لا يفضض الله فاك (العنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان ويقال علوان وعينان وعنيان وجمع عنوان عناوين وجمع علوان علاوين والعنوان الاثر وهو أثر الكتاب ممن هو والى من هو ومحوا باشمط عنوان المجود به والقلم لا يقال له قلم الا اذا برى والا فهو أنبوبة (ومن أحسن ما قيل فيه) قول السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى نقلته كذا من خط الوداعى

قوله ومحوا الخ هكذا في الاصل

تمشى البراعة والمداد وراها * ظل على شمس الطروس يتوع
عوض المعانى لو يلوح لمسلم * هذا المعانى راح وهو صريع
لو لم تكن ألفاظه خطية * ماراح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه * فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحى الخطاب لنطقه * في المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليما وقد ضاهى العصا * فغدا يروق بفعله ويروع
باللفظ حاكته الشموس وبالضيا * حاكته في حال المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور * والطل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور حظه وكلامه * هذا يضىء به وذاك يضوع

(وله أيضا رحمه الله تعالى)

ليمناه ذو طرف كحيل اذا بكى * تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشقوق اللسان متى جرى * بثغر الدوى اللعس أبدى اللما عذبا
وأونه في سنه سم أرقم * اذا ما انثنى في الرقم من جيده جنبا
فطورا خطيب والسواد شعاره * اذا ما علا أعواد كف جلا خطبا
ويحقر فعل الخط بين كاتب * تلاقت اذا ما خط في يدك الكتبا
حكى السمر قدا حيث للبيض خده * فطاعن به ان شئت واضرب به ضربا

(وقال)

(وقال) الشيخ الامام مجد الدين الروذراورى عبد المجيد بن أبى الفرج الهمدانى الفقيه الشاعر المفتن مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وتوفى بدمشق سنة سبع وستين وستمائة من نظمه في وصف القلم من قصيدة مدح بها الوزير القمى مؤيد الدين وزير الدولتين الناصر والمستنصر كذا نقلته من خط محيي الدين ابن عبد الظاهر من كتابه المسمى بالنجوم الدريه في الشعراء العصريه

لك من نبات الماء أصفر للعدا * من رأسه المسود موت أحمر
نحل القنا من فعله حتى غدا * مثل النساء يرى عليه المعجر
يصفونه ورد العلا ووروده * أبدا كعيش الحاسدين مكدر
ظلمات نفس خاضها بروية * من ماء الحياة كأنه الاسكندر
متقيد يعدو وينطق ساكنا * متحكم في الدهر وهو مسخر
يا راكعا لبس السواد وساجدا * يتلو بنى العباس وهو مزنر
قد حز رأسك واللسان لأنه * سر العلا وأسود منك المنظر
هب ان جسمك من جوالك نحوله * أو أن لونك للمخافة أصفر
مركوبك البحر الجواد وماله * من كبوة تلفى لماذا تعثر

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه سيدى وأخى تقى الدين بن حجة الحموى

له يراع سعيد في تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير
محبر وبتحرير العلوم اذا * جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة * وجانس النور من أوراقه النور
واشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل اسمر عينه السوداء تلحظنا * وهدب أجفانها تلك القشاعير
أو سهم علم باطراف السطور غدا * مريشا وله في الفضل تأثير
كذا محابره سود العيون فان * دانت أياديه قلنا الاعين الحور

(ومن وقف) على رسالة السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة رأى من هذه المعانى العجائب ولولا اطالتها لاثبتها في هذا الباب ولقد ظرف الى الغاية شمس الدين الواسطى حيث قال

مازال بقلبه لهيب النار * اذ صير جسمه خيال الاسارى
الله بقلبه فما يعلم ما * قاساه الواسطى الا البارى

(وأنشدنى) أخى تقى الدين بن حجة الحموى يصف سكينا أهداها له بعض الاصحاب وهو سكين قطع الملوك بها أوصال الجفا وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ماغابت الاو بلغت الاقلام من تغييرها الى الجفا انها لسان كل عنوان ماشاهدها موسى الاوسجد فى محراب النصاب وذل بعد ماخضعت له الرؤس والرقاب ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصية جازت بها على حد السيف تنسى بحلاوة العسال ولا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل كم مرت بشكلها الحلى فتركت المعادن عاطله ولم يكن للحديد فى هذه الواقعة مجادله فلولحها الفاضل لتحقق ان خاطر سكينه كل أوشاهدها ابن نباتة لما أقر برسالة السيف وقل الى ان دخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول أوابرزت من غمده كان على طلعتها الهلالية قبول كم أيقظت طرف القلم بعد ماخط وعلى الحقيقة مارأى مثلها قط ماأسفر صبح نصلها فى ليل نصابها الذى دجا الا تغزلت وقلت ماأحسن طرة الصبح من تحت أذيال الدجى تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف فى بحر غمده غريق ولو سمع بها من قبل ضربه لماحمد التطريق لازالت صدقات مهديها تتحف بمايذبح نحر فقرى وتأتى فى كل حين بما يشفى من داء الفقر ويبرى بمنه وكرمه (كتب) مولانا محمد بدر الدين الدماميني الى المرحوم أمين الدين صاحب ديوان الانشاء بالشام ملغزا فى دواة

كتبت وأعذارى اليك تقرر * ونطقى بها ياكاتب السر يجهر
أتتك أبيات المعانى فرضتها * وحكت حبير اللفظ فهو محرر
وحليت أهل الفضل اذ كنت خاتما * لهم فعليك الآن بى قد خنصر
وماأنت الا البحر جاش عبابه * ولكن رأينا منك حلما يجسر
فما كلمة أفديك دام اعتلالها * وفيها دواء ان اعتراها تغير
ويحفظها ذو السر وهى التى وشت * وذلك من عاداتها ليس ينكر
وماهى الا وجاب بنفسها * ومصحف تر المقصود بالنفس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها * على الرأس عباسية حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها * ويحسن مرآها اذا ما تحبر

مؤنثة

مؤنثة كم ذكرتنا بلونها * عهود الصبى والشئ بالشئ يذكر
اذا هجرت يبدو المشيب برأسها * وفى الوصل تذرى أدمعا تتحدر
وكم قد أرانا ريقها من مسلسل * يلذ به فى الذوق ورد ومصدر
وكم لاقت الاحبار منها محاسنا * فعادت لها الجهال بالعى تحصر
مسودة ان ترض فالعيش أخضر * وان سخطت فالموت لاشك أحمر
ويعذب للسمر الرقاق رضابها * فتنهل منه موردا لايكدر
لقد أحكمت والنسخ مازال دابها * بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وماهى الا ذات مترب قد غدت * وكم ذا غنى عن قصدها ليس يفتر
اذا امتدت الراحات وهى مشيرة * الى نحوها أمست على المد تقصر
ولستنا نراها غير سائلة ولم * تفه بسؤال فاعترانا التحير
فانعم بحل اللغز ياخير منعم * فأنت به والله أجدى وأجدر
ولازالت الاقلام تسعى لشكركم * على رأسها طول المدى لاتقصر

فكتب الجواب اليه بعد أيام

مواقع أقلام لها الفضل ينشر * وروضة آداب لها القلب يحبر
تحرر معنى حسنها نسج وحدة * فياحبذا الاسكندرى المحرر
يطول على الافهام شقة شاوها * فكل بليغ عن مداها يقصر
أتت سهلة الالفاظ ممنوعة الذرى * حماها من العلياء لايتسور
تشير الى الحبلى التى عز وضعها * فاحشاؤها فيها الاجنة تقبر
ينامون لاتغشاهم سنة الكرى * فان هب فرد ظل يسعى ويحصر
وان أرشفته من سلاف رضابها * تهادى به نشوان يمشى ويعثر
وأما اذا اعتموا السواد فكلهم * خطيب له فوق الانامل منبر
يسيل دموعا فى مجال سجوده * فيخضل من رياه روض محبر
وينطق عن علم وطول نباهة * وعما أراه فى الانام يعبر
يطاول سمر الخط انى تشامخت * سموا ومع هذا على الطول يقصر
وكل بنى الاداب تلقى بيوتهم * تقام به بين الانام وتعمر
واكرم بما قد ولدته وأنشأت * وربت ويكفيها بذلك مفخر
نجيبة فكران جلت وجهها * تجاهى وجاهى عندها ليس يحقر

وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * فأما استقالت فهى فى ذاك تعذر
فلا زالتم أهل الكمال وجبركم * لذى النقص مثلى منه حظ موفر
بمدحكم الاقلام يضحك سنها * بحق وأفواه الدوى تعطر

(قال) بعض الفضلاء اذا أردت ان تضمن كتابا سرا فخذ لبنا حليبا واكتب به فى القرطاس فاذا أراد قراءته المكتوب اليه فليذر عليه رماد القراطيس سخنا فانه يظهر ما كتب وان شئت كتبت بماء الزاج الابيض فاذا وصل الى المكاتب فليمر عليه شيأ من ماء العفص وان شئت بالعكس وان شئت أن يقرأ ليلا ولا يقرأ نهارا فاكتبه بمرارة السلحفاء (قال) الشيخ شهاب الدين بن العطار فيما يكتب على الدواة

انا دواة يضحك الجود من بكاء * يراعى جل من قد براه
دلوا على جودى من شفه * دا من الفقر فانى دواه

(وأنشدنى) شمس الدين الجرائحى لنفسه

انا دواة كبحر جود * فى الفضل قل للسخى منى
فلو غدا كمه سحابا * عند العطا يستمدمنى

(وقال) ضياء الدين المناوى يصف حبرا

وعندى حبر ودت العين لونه * سوادا وترضاه الحسان خضابا
غدا سائلا من فرط سقم ورقة * وأصبح للسمر الرقاق رضابا
كأنى لما بت أشكو صبابتى * الى الليل بالاشواق رق وذابا

(وكتب) الشيخ برهان الدين القيراطى صحبة حبر أهداه

ليراعكم أهديت انسان النظر * وشباب طرس شاب من فرط الكبر
أرسلته عبدا دعوه عنبرا * اذا فاح طيب نشره بين البشر
أقلامه أخذته حال كتابة * سبحا وألقته على طرس درر
ويود مرسله الى أبوابكم * لو زاد فيه سواد قلب أو بصر
ليل وان أبدى لنا ألفاظكم * فى صبح طرس أبيض قالوا سحر

(وأنشدنى) المرحوم فخر الدين بن مكانس

لداود الرئيس الحبر فضل * وأنس عم ابناء الوجود
أتانا منه حبر فابتهلنا * وقلنا نعم أحبار اليهود

(وقال)

(وقال) ابن الوردى فيمن انقلب حبر على ثوبه

انقلب الحبر على * ثوبك فأبشرت بالارب
فحبر كل كاتب * ربح اذا هو انقلب

(وأنشدنى) القاضى أمين الدين محمد الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام لنفسه فى لوح الموقعين المرصد للاصاق الاوصال على لسانه

قطعونى وكنت منبر سجع * طال ما فى الرياض أسبغت ظلا
فبكسرى جبرت بين الموالى * وبقطعى جعلت للوصل أهلا

(وفيها له أيضا)

طرحوها كأنهم * ليس يدرون فضلها
وهى من أصل دوحة * أسبغ الله ظلها

(ابن نباتة) وكتبها على مرملة

عملت لمن جود اقلامه * ربيع ومنطقه بارع
اذا طلع الخط رملته * فيا حبذا الرمل والطالع

(وقال) السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى مجاوبا لمن كاتبه فى ورقة زرقا

أرسلت زهر الروضة الغناء * فى مثلها من رقعة زرقاء
فكأنما هى من أديم سمائنا * قدت وفيها أنجم الجوزاء
زرق جلا درر القريض بحسنه * كالوسم يحلو مبسم اللمياء
أو مثل منعطف الخليج وقد صفا * فتمثلت أزهاره فى الماء

(وله)

أنت أرسلت بالكتاب سما * تبرز الشهب قبل وقت الزوال
فيه كل نقطة مثل نجم * وبه كل جزمة كهلال

(وله)

كلمات لضحكها قد بكى الدر * وهل منكر بكا اليتيم
حسد المسك نفسه فغدا * اسود ذا زفرة بخد لطيم

(وله)

وذى مقول يخفى الكلام فان رقى * الى اذن قرطاس ففيها يحدث

عقود بلا سلك يحير طروسه * ولا عقد فى سحره وهو ينفث

(وقال)

جادت رياض الطرس سحب يراعه * لما صدرن من النهى عن أبحر
فكست غصون طروسه ورقابها * اكمام لفظ بالمعانى مثمر

(وقال) أبو الفتح محمد بن قادوس الدمياطى

مداده فى الطرس لما بدا * قبله الطرس ومر يزهد
كأنما قد حل فيه اللما * وذاب فيه الحجر الأسود

(الفصل الثانى) فى أعيان كتاب الانشاء قديما وحديثا ونبذة مما الهم من المكاتبات *(عبد الحميد بن يحيى)* كان يقول لو كان الوحى ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على بلغاء الكتاب وذكر البلاغة فقال هى مارضيته الخاصة وفهمته العامة (اسماعيل بن صبيح) كاتب الرشيد لم يسمع فى الجمع بين الشكر والاستزارة أحسن واوجز مما كتب به الى يحيى بن خالد فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأنونه (عمرو بن مسعدة) كاتب المأمون وكان يقول قليل دائم خير من كثير منقطع وكتب الى المامون كتابى هذا وفى قبلى من أجناد أمير المؤمنين وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه الاترى الى ادماجه المسألة فى الاجناد واعفائه سلطانه من الاكثار (ابراهيم بن العباس الصولى) كاتب المستعصم والواثق والمتوكل كان يقول المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه (الحسن بن وهب) سئل عن مبيته فقال سريت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت ولم أستيقظ الا بلبس قميص الشمس ومدح صديقا له فقال خلق كما يشتهى اخوانه ووصف مغنيا فقال كأنه خلق من كل قلب فهو يغنى بكل ما يشتهيه *(احمد بن سليمان)* أحسن الكلام مالا تمجه الآذان ولا تتعب فيه الاذهان *(بديع الزمان الهمدانى)* من انشائه الحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد (وله) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا ابا لك ولا يقصدون الذم وويل أمه للامر اذا أهم وسبيل أولى الالباب فى هذا الباب ان ينظر فى القول الى

قائله

قائله فان كان وليا فهو المولى وان كان خشن وان كان عدوا فهو البلى وان حسن (من انشاء أبى القاسم) على بن الحسين المعروف بالمغربى * ووصلت الرقعة فاستخففت النسيم العذب بالاضافة الى لطافتها واستثقلت محل عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها (وله) وكتب هذه الاحرف وقد أظل البلاد ثلج ذكرنى قول الصنوبرى ورد الربيع مورد مبيض ولورد فى كانون أبيض الا انه انتقل الى ضد طباعه معى واستأنس الى عكس خلقه فانه مع برده أحدث لى شوقا الى سيدنا ألهب جوانحى وصبابة نحوه أضرمت جوارحى حتى عاد بياضه فى عينى سوادا لتذكره وسقياه ظمأ برحا قلبى بتصوره على ان قلبى مزحوم من جهته مما يزدحم فيه من كآبة جفائه وصبابة بعده ونائه (وله) وعرفت فى هواجس الفكر ووسواس الذكر حتى نسيتكم من شدة الذكر واقيتكم من حدة التصور وحتى عدت كأنى أجد فى عبقا من تقبيل ذلك الوجه الناضر وفى عينى لمعا من سناء ذلك الجمال الباهر والله تعالى اسأل ان يسقط بيننا فى تشاكى ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم (القاسم) الحريرى قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه نصرة الثائر على المثل السائر سمعت الشيخ شهاب الدين محمود حين قرأت المقامات عليه يحكى عن القاضى الفاضل انه أراد معارضتها ووضع ثلاث عشرة مقامة عارض كل فصل فيها بمثله حتى جاء الى قوله أعنى الحريرى فى المقامة الثانية عشرة اعلموا يا مآل الامز وثمال الارامل انى من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهر البطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فؤادى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر فقال القاضى الفاضل من أين يأتى الانسان بفصل يعارض هذا ثم انه قطع ما عمله من المقامات ولم يظهرها أو كما قال وناهيك بمن يقول مثل القاضى الفاضل فى حقه مثل هذا ويعترف له بالعجز وأما أنا فكلما قرأت هذا الفصل أجد له نشوة ولا نشوة الراح وبهجة ولا بهجة السارى بضوء الصباح (أبو الحسن بن

بسام) عارض اذا سمع استوسلت البحار ونجم اذا طلع تضالت الشموس والاقمار وسائق لا يسمح وجهه الا بهيادب الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بافراد النجوم (القاضى السعيد) هبة الله بن سنا الملك وان للشوق بحرا وقلبه والله الغريق بأمواجه وبحرا وصدره المظلم بسراجه وأقل يد للهموم عنده انها حلته فى عنفوان الشباب بحلية الاشيب وجعلته ساذجا من الشعر الاسود وان كان فى وسط العمر المذهب كما قال أبو عبادة ذهبية الصبوات من اعوامه (وله) فالاسلام من طلقاته والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض (وله) لا جمع الله عليك المصيبتين فراق الاحباب وفراق الثواب ورزقك من الاعانة على ما تعانيه ما يفضل عنك الى ان تخلعه على وترسله الى (وله) وازهد فى دنيا تنبذت الحمام وتحصد الاجسام وتقصف أغصان الاشباح وتقطف ازهار الارواح واذهل عن الذهول وأحسن ضيافة النصح بالقبول

واذا رأيت جنازة محمولة * فاعلم بأنك بعدها محمول

وكيف لا يحمل المملوك تلك الاشواق وهى تقربه من المولى بالتخيل اذا أبعدته الايام ويمثل له المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظرة اليه لكانت عينه مطرقه وستور أهدابه مسبله وأبواب جفونه مغلقه ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لالتهبت من دموعها بمياه محرقه فهو منها فى نار وجنه مغلول بغله مطوق بمنه (وله) ولقد أنساه فراق المولى حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذى كفر بالبلادة فأسقط عليه من سمائه كسفا شوقا ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعاء على ظالمه فقد انتصر ضياء الدين بن الاثير الجزرى ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لا تهزم وانها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم (وله) يصف بناء مرتفعا اذا أضرم برأسه قبس ظنه المتأمل نجما واذا استدار عليه قوس السماء كان فى كبده سهما (وله) فى القلم فهو الملقب بالجواد المضمر واذا أخذت السوابق

في

فى احضارها بالغ الغاية وما أحضر وله لون يحقق فيه القول النبوى لو جمعت الخيل فى صعيد واحد لسبقها أشقر فان الاشواق عن الحمام خليفه واذا كانت حركة الفلك شوقيه فما الظن بالقلوب الضعيفه (القاضى) محيى الدين بن عبد الظاهر يصف بطيخا حلبيا أهدى اليه فشاهدا هابه وكأنما جمع من زهر الاقاح وكأن كل واحد منه قنديل وعروقه فتيلة الاصباح وكأن كبراه بطن خميص كم له من مجموع اللب حنين وكأن صغراه رأس كم منها ان فصلت جبين يقسم كل رأس منه رئيس من الاناسى وقصر أيمانه فى الامتحان عليه فما يقول الا وحق راسى (ومن انشائه) نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرصان ذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية غصه لم تسمع بمياه السيوف المجرده وشجن صدورها لم تقاومه أدوية العزائم المفرده طالما أكسب البلاد رعبا ورهبا وطالما استمارى من أخلاق الامصار حلبا (ومن انشائه) بكتاب يأمر فيه بابطال الحشيش بعد الخمر يعلم ان المنكرات التى أمرنا أن تملأ الصحائف بأجرها ونفرغ الصحاف وان لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف قد بلغنا الآن انها اختضرت وان كلمة الشيطان بالتعويض عنها قد نصرت وان أم الخبائث ما عقمت والجماعة التى كانت ترضع ثدى الكأس قد أرتعت بعد ما فطمت وانها فى النشأة ما خيبت ابليس مسعاها وانها لما أخرج المنع عنها ماءها من الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم ما يعرف من الاحمرار فى الكأس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون لفساد أذهانهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر أن تجتث أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعدها خضرا ولا خضراء الدمن (ومن انشائه) من كتاب الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان وخيولهم الراكب ومراكبنا الخيول وفرق من يجريها كالبحار وبين من يقف به فى الوحول وبين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال

تصيدت بغراب فائن أخذتم لنا قرية مكسوره فكم أخذنا لكم قرية معموره
وقد قال الملك وقلنا والله أعلم ان قولنا هو الصحيح واتكلنا واتكل وأين من
توكل على الله وسيفه ممن اتكل على الريح (وله) وأما فلان فانه شمر الذيل
وامتطى هربا أشهب الصباح وأحمر الشفق وأصفر الاصيل وأدهم الليل (وله)
فكم شاهدنا من قتلاهم كل مهيب الهامه حسن الوسامه قد فض الرمح فاه
فقرع السن على الحقيقة ندامه (وله) من منشور كتبه للامير جمال الدين
المجدى عند اخراجه من الاعتقال أوله الحمد لله الذى أظهر جمال الدين
المجدى (وله) من منشور كتبه لبيسرى عن السلطان المنصور وجريا فى
الاحسان اليه على القياس وان كان من أكابر أصحاب الظاهر (ومن انشائه)
يقبل اليد التى لو تجسدت القبل فيها لنظمت سبحا ولو أثرت فيها كأثير الوضوء
كانت حجولا ووضحا ولا برحت القبل التى قبلتها ساجده والافواه الى مسرعتها
وارده حتى يقال والمباسم يقبلها أحباب فى حياض أم زهر فى رياض وبروق
فى غمام أم درر فى بحر طام (ومن) انشاء قوام الدين بن زيادة يهنئ الوزير البلدى
*وأفاض عليه من صنوف تشريفاته خلعا خلع بها قلوب الاعادى من أعماق
الصدور وطلع فيها من آفاق البدور كأنما أنشئت من عيون عين الصريم
وغزلانه أو غشيت بعصر الشباب وريعانه فألبسها من حلاه سربال الجلال
وجرها على المجرة أذيال الاختيال وقلده سيفا عقد النصر بلوائه وتعلم
المضا من آرائه أهدى فى قلوب العدى من الاوجال لا ينصل نصله من
خضاب القراب ولا يغمد الا فى قراب الرقاب وأمضاه صهوة صافن أسرع
من تأدية الاسماع الى الافهام وأوحى من مضاحكة البرق خلال سجف الغمام
يسبق مطارح نظره بمواقع حافره ويهدى ظلال ظله بأهلة أثره يشكل رأيه
فيه اذا تدرع فى شوطه واشتد أمارف ردىء أم طرف يرتد كأن بركة سهم وسنبكة
وهم أو يحف بقوادم شهاب أو عنده علم من الكتاب ولاطفه بدواه وهى دوام
العدم واداة النعم ومنبع الكرم ومرتع أرزاق الامم يستشف لآلئ الاداء
من قرارها ويصفق أمواج الحكمة والبلاغة من أقطار ثناءها تكشف براعا
يردع كل روع ويتبع أمره كل متبوع قد حمل من اعباء الخلافة عظيما
وحمى الاسد رضيعا والملك فطيما يصوب بكرم الغيوث الغوادى ويصول

بقرم

بقرم الليوث العوادى

يمحو ويثبت أرزاق العباد بها * فما المقادير الا ما محا وحا

(من انشاء) الصدر عز الدين بن سينا من بشارة للديوان العزيز بكسر عساكر
الفرنج من عكا عن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة اثنين
وأربعين وستمائة *فلا روضة الادرع ولا جدول الاحسام ولا غمامة
الانقع ولا وبل الاسهام ولا مدامة الادما ولا نغم الاصهيل ولا معربد الا
قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء
عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضا فجعلته مضيقا وضرب النقع فى السماء
طريقا وعاد الفارس بالدماء غريقا

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الاثير)*والمنجنيقات تفوق اليهم سهام قسيها
وتخيل اليهم انها ساعية اليهم بحبالها وعصيها وهى فى الحصون من ألد الخصوم
واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خلق فى آلات
الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح
المنذرين تدعى الى الوغى فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان
ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم (ومن انشاء) سيد كتاب الانشاء وامام البلغاء القاضى
الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى *فقم عنا بهذه الفريضه وطر فى تلك
المضار ورفه قوادمنا المهيضه وأدر وعلينا ان نشرب وقل وعلينا ان نطرب
وانفرد بالحرب وعلينا النظاره وأعطنا السلب وباشر أنت الغاره وأنفذ الينا
كل يوم من أقصه يوسف قيصا وليكن قيص البشاره (وله) من شفاعة وعلى
المذكور ديون كثيرة والدين عثرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط
فان رأى مولانا ان ينظر اليه بما يفك أسره ويغنى فقره فهناك الاطلاق
بالحقيقة أو الاسر والغنى بعد العرض على الله أو الفقر فبهذا عرفتم يا أهل
المعروف من آل أيوب وكذا كان يوسفكم رحمه الله يقضى كل حاجة فى نفس
يعقوب (وله) والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحر
وصاليه فى نحو هذه الطرق جار ومجرور والهامه قد سرفها ملأ السراب
وزخرفها بحر ماء وله لغير رشده وعلى غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث

الرمل ونحن فى اكثر من جموع صفين الا اننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه
العيون وهو كماء الحناجر يغترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ
ثغرة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه جادت به الآماق فى ساحات النفاق لا فى
ساعات الفراق فياله من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض
التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدو ما وصف به أهل الجحيم فى قوله وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول
المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينهم وبينه
التراب يجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف
المعتاد وفى غير من قد وارت الارض فاطمع على انه لو كان دمعا لما بل
الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان وان امرؤ روحه فى جلد غيره وهو
المراد وخصمه من غير جنسه وهو النار التى فى غير الزناد لجدير أن يغرى به
اغراؤه وان يلام على مفارقة الاحبة و يقال هذا جزاؤه (وله) الى أن ترد
كتب العسكر وأعلامها منهدات ألفاته ورؤس العدى قطعات همزاته
والايام التى لا أشاهد فيها الوجه لا أحسبها من العمر والايام التى لا يصل فيها
ركابه لا أحسبها من الدهر ولا يختصر على عمرى ولا يغالطنى فى حساب
دهرى (وله) وقد أحسنت الحضرة فى بشراى بكتابة فى كتابها فقد طلع طيفا
للحبيب الزوار ونجما للفجر ولا أقول الفرار وعليه أبقاه الله سلام أنور مما
بعد الفجر وأشرق مما تحت الخمار وأجاب للسرور مما قبل الخمار (وله)
ذكر الله ذلك العهد بخير ما ذكرت العهود ولعن الله الفرنج المتخندقين وقتل
أصحاب الاخدود فقد قطعوا طرقات المسار وأطالوا عمر الأبكار وسبكت
نار مقاساتهم الدينار فجعل الله أعلام الكافرين لمن عقبى الدار (وله) وظننا
أننا به بل بدعائه قد دخلنا الجنة لما نلنا من خمرها الذى هو لذة للشاربين وانا
خالطنا أهلها فأشخاص المعانى من الحروف على سرر متقابلين ووثقنا بان لنا منه
الدعا الذى نأوى منه الى كنز عتيد والرأى الذى أنزله الله هو والحديد فيهما
بأس شديد (وله) رب انى لا أملك الا نفسى وها هى فى سبيلك مبذوله وأخى
وقد هاجر اليك هجرة نرجوها مقبوله وولدى وقد بذلت لعدوك صفحات
وجوههم وها أنا على محبوبك بمكروه فيهم ومكروههم ونقف عند هذا الحد

ولله

ولله الامر من قبل ومن بعد فيا عصبة محمد عليه السلام أخلفه على أمته بما
تطمئن منه مضاجعه ووفه الحق فينا فأنا والمسلمون عندك ودائعه (وله)
ودعا المسلمون برؤس عدوهم فى رؤس القنا وقد اجتنوا ثمراتها وأرواحهم فى
صدور الظباء قد أطفؤا بمائها جمراتها فأنبتت سنابك الخيل سماء من العجاج
نجومها الاسنه وطارت اليهم عقبان من الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنه
وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم كأنما تطلب سوادها وقصدت انهار
السيوف اكبادهم فكأنما أرادت أن تروى جيادها ونصبت للملك خيمة حمراء
كأنما وضع على الشرك عمادها وتولت حفظ اطنابها الرجال فكأنهم أوتادها
(وله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا يدخل عليه آفه وان يد الدهر البخيل
عنه كآفه وأنتم يا بنى أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما أن سيوفكم آفة
نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم اياليه ذاهم وقلدتم أيامه صوارم
ووهبتم شموسه وبدوره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس وكان ماتم فيها
على الاموال ماتم والجود فى أيديكم خاتم ونقش حاتم فى نقش ذلك الخاتم (وله) وما
أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرساء الا قبل
ان نفث سيدنا فى روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت فى دويها الا
ليبعثها ما ينفخ فيه من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الا أنها أعلام عباسية
تناولتها الحضرة بيدها لا جرم أنها تحمى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتتوشح
بمايده عنانا ويرسلها فيعلم الفرسان ان فى الكتاب فرسانا وتقوم الخطباء بما
كتبت تعلم الاسنة أن فى الايدى كما فى الافواه لسانا ولقد عجبت من هذه الاقلام
تخر ألسنتها اشتقاقا فتنطق فصيحه وتجدع أنوفها بريا فتخرج صحيحه وتحلى
مليحة وما هى الا آية فى يد سيدنا البيضاء موسومه وما مادتها فى الفصاحة
الا علويه ولولا الغلو لقال علويه (وله) ففضه عن فضة مسها ذهب وفاوضه
عن نار ذكاء لو لم يمازجه ماء الطبع لهب منه أى لهب ونجد له كل متلهب
القريحة وقصرت يده فان نواه قيل له تبت يدا أبى لهب وأغار به على القلوب
فرجع وهى بالاشواق محتويه الفضل مأخوذة السلب فكم فيه من فقرة قيل
لها يا أخت خير أخ يا بنت خير أب (وله) وأما الثلوج التى وصفها ذلك البيان
فأججها بل أهداها الى الصدور فأثلجها فقد ملأت البلاد وكأنما نشر عليها

المولى غرضه وسرني أن برد ذلك الفضاء فضة فأراني النجوم في هذه السنة وقد ناصحت في خصبها فنزلت بأنفسها وبرزت ظاهرة في النهار بجوار بها وخنسها وأجدر بها أن تكون سنة يغسل وضر الكفر بصابون ثلجها وتنير العزمة الناصرية من هذه الرغوة صريح فلجها (وله) وبينا أنا من الخمول في مهبط رمس اذ رفعني التمويه الى مطلع شمس وبينا أنا أندب أفعال بني الاصفر في عسقلان وجفوة أبيهم يعني الدينار لي في مصر فما يراني الا وكان عليه من سكته عوذ اتهامني يعتصم وكأنما يصفر خوفا مني وهو الى الغير يبتسم اذ صرت أنفضه من بنان أبي الطيب من دنانير شمسه وربما أثقله بعد الضرب الى النفي لا الى اعتقال الكيس وحبسه (وله) وان ادعى سحر البيان أنه يقضي أيسر حقوقه ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه لكنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصاب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام واعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام (وله) وأشكو بعد قلبي جسمي فقد ضعفت قوته وقوي ضعفه ونسجت عليه همومي ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الحرب الذي عاديني وبينه وأسقم يدي من جسمي واستخدمها تحرث أرضه فان لم يكن لاضه

(الباب الثامن والثلاثون في الهدايا والتحف النفيسة الاثمان)

ذكر ابن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون عند ذكر كسرى وبنائه للسور المذكور في الباب السادس من هذا الكتاب ولما بني كسرى هذا السور هادته الملوك وراسلته * فمنهم ملك الصين كتب اليه من يعقوب ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي في قصره نهران يسقيان العود والكافور والذي توجد رائحة قصره على فرسخين والذي تخدمه بنات ألف ملك والذي في مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فارسا من در منضد عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من الزمرد منضد بالجوهري وثوبا حريرا صينيا وفيه صورة الملك على ايوانه وعليه حلته وتاجه وعلى رأسه الخدام بأيديهم المذاب المصورة من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها يتلألأ جمالها وغير ذلك مما تهديه الملوك الى أمثالها (وكتب) اليه

ملك

ملك الهند * من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وايوان الياقوت والدر الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية وأهدى اليه ألف من من عود يذوب في النار كما يذوب الشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع وجاما من الياقوت الاحمر فتح شبر مملوء من در وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها الى وجنتيها كأن بين أجفانها لمعان البرق مع اتقان شكلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر شعر تجرها وفراشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشي وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيبة تتكاتب فيه ملوك الصين والهند (وكتب) اليه ملك التبت من ملك تبتان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه المحمود السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة الاقاليم السبعة كسرى أنوشروان وأهدى اليه انواعا مما تحمل من عجائب أرض تبت منها مائة جوشن ومائة ترس مذهبة وأربعة آلاف من المسك في نوافج غزلانه (وأهدى) يعقوب بن الليث الصفار صاحب خراسان الى المعتمد هدية في بعض السنين من جملتها عشر بزاة منها بازي أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على بغال عشرة فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة برواقين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومائة من مسك ومائة من عود هندي وأربعة آلاف درهم (وأهدت) ملكة فرنجية الى المكتفي بالله في سنة ثلاث وتسعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وخمسين فرسا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقليا حسنا وعشرة كلاب كبارا لا تطيقها السباع وست بازات وسبعة صقور ومضرب حرير بجمع ثلاثة وعشرين ثوبا معمولا من صوف يكون في صدف يخرج من البحر يتلون بجميع الالوان كقوس قزح يتلون كل ساعة لونا وثلاثة أطيار تكون في أرض افرنجية اذا نظرت الى الطعام المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها ليعلم ذلك من حالها وخرزا يجتذب النصول فتخرج من غير ألم وقدم الرسول بكتابها وهديتها وكان في فصل من كتابها وعرفت ان بينك وبين ملك قسطنطينية صلة وأنا أوسع منه سلطانا وأكثر جندا وأشد سطوة وملكي على

أربعة وعشرين مملكة لسانها لا يشبه الآخر وفى مملكتى وطاعتى رومية الكبرى (ومن ظرائف الهدايا) ما أهدته شجرة الدر جارية المتوكل وكان يميل اليها ميلا كبيرا ويفضلها على سائر حظاياه فلما كان يوم المهرجان أهدى اليه حظاياه هدايا نفيسة واحتفلن فى ذلك فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا تربية عليهن عشرون سراجا صينيا على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والغالية وأصناف الطيب ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفى يدها قضيب ذهب فى رأسه جوهرة فقال المتوكل لحظاياه وقد سر بالهدية ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه فحسدنها وعملن على قتلها بشئ سقينه لها فماتت (عبد الملك) ابن صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن الامير ولى المدينة للرشيد ثم ولى الشام والجزيرة للأمين وجه الى الرشيد فاكهة فى أطباق خيزران وكتب اليه أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به دخلت الى بستان أفادنيه كرمك وعمرته لى نعمك قد أينعت أشجاره وتهدلت ثماره فوجهت الى أمير المؤمنين من كل شئ شيأ على القدرة والامكان فى أطباق القضبان ليصل الى من بركة دعائه مثل ما وصل الى من بركة عطائه فقال رجل يا أمير المؤمنين لم أسمع باطباق القضبان فقال يا ابله كنى عن الخيزران بالقضبان اذ كان اسما لأمنا (أنشدنى) فى المجدى فضل الله بن مكانس وقد أهدى له والده تحفا جليلة

تناهيت فى برى الى ان هديتنى * وقد كنت قبل اليوم فى الغى ساريا
وأهديت لى ما حير الفكر حسنه * فلازلت فى الحالين للعبد هاديا

(التحف) النفيسة الاثمان ذكر الاصمعى قال حدثت ان برمك جد يحيى بن خالد كان زوار الملوك وكان يتطبب فحدث انه صار الى ملك الهند فأكرمه وآنس به وأحضر له طعامه قال فأكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت لا والله أيها الملك ما أقدر على ان أزداد شيأ فقال يا غلام هات القضيب قال فوهمت وظننت أنى أخطأت فلم يلبث ان جاءه بقضيب فأخذه الملك وأمره على صدرى فكأننى لم آكل شيأ قط ثم أكلت أكلا كثيرا حتى انتهيت فقال كل فقلت ما أقدر على ذلك فأخذ القضيب وفعل مثل ما فعل فكأنى لم آكل شيأ قط ثم أكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت ما أقدر على ذلك فأراد ان يمر القضيب فقلت أيها الملك

ان

ان الذى دخل يحتاج الى أن يخرج فقال صدقت وأمسك عنى فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك ثم خرجت من عنده فأتيت الاصبهبذ فقربنى وأكرمنى وكان جالسا فى مجلس على البحر وفى يده خاتم ياقوت أحمر يغلب نوره نور الشمس قد أضاء المجلس منه فلم أزل أنظر اليه فلما رآنى أفعل ذلك نزعه من يده ورمى به فى البحر فوردت على أعظم مصيبة وقدرت أنى قد جنيت جناية ووجمت فلما رآنى قال مالك قلت أحسب أنك أنكرت نظرى الى الخاتم فألقيته فى البحر قال لا وضحك ودعا بسفط فأخرج منه سمكة من فضة فى رقبتها سلسلة طويلة فألقاها فى البحر فغاصت ثم ظهرت بالخاتم فى فيها فجذبها وأخذ الخاتم ورده الى أصبعه فورد على ما حيرنى ولم أعرف سببه ثم خرجت وأتيت الشام ولقيت هشام بن عبد الملك فأكرمنى ورحب بى وسألنى عن خبرى فأخبرته فأمرنى ان أتخذ له انجات أرادها (قال) الشيخ الانجات هى اخلاط تربت فى العسل مثل الاترج والاهليلج ونحوها (رجع) فتشاغلت بعملها فبينما أنا فى بعض الايام فى منزلى قد نزعت ثيابى وأخذت فى اصلاح حالى وما أمرنى به اذا بغلمانه قد هجموا على وقالوا أمير المؤمنين يطلبك فأردت ان أغتسل وألبس ثيابى فقالوا كما أنت فأخذت بصورتى واحضرت فى مجلسه فلما دخلت من الباب قال اتركوه اذهب لا تقربنى معك سم الله وأخرجوه فأخرجت وعدت الى منزلى وأنا على حال حيرة من انزعاجه فاغتسلت وتنظفت ولبست ثيابى ثم رحت اليه فدخلت الى حضرته وسألته عما كان منه فقال لى كان معك سم أو عبثت بشئ من السموم فقلت لا والله الا انى كنت أعمل تلك الانجات التى أمر أمير المؤمنين بها ولم تدعنى الغلمان الى أن أغتسل وكان من جملتها الافيون وهو سم قال ما أشك فى ذلك قلت فكيف علم أمير المؤمنين ذلك قال فى عضدى كبشان من الياقوت اذا لقينى انسان معه سم أو قدم الى ما فيه سم انتطحا فلما وقعت عينى عليك انتطح الكبشان فعلمت أن فى يدك شيأ من السم نقلت هذه الحكاية من مجموعه بخط سيدنا وشيخنا شمس الدين محمد بن الكتبى الشهير بالتريكى رحمه الله (قال) صاحب كتاب المباهج مما وجد فى خزائن الملوك والخلفاء والوزراء من الجوهر النفيس الدرة اليتيمة وسميت بذلك لانها لم يوجد لها نظير حملها الى الرشيد مسلم بن عبد الله العراقى فباعها عليه بتسعين ألف دينار

وكان للمتوكل فص ياقوت أحمر وزنه ستة قراريط اشتراه بستة آلاف دينار (وكانت) له سبحة فيها مائة حبة جوهر وزن كل حبة مثقال اشتريت كل حبة منها بألف دينار (وأهدى) بعض ملوك الهند الى الرشيد قضيب زمرذ أطول من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر ياقوت أحمر لا قدر له نفاسة قوم هذا الطائر على حدته بمائة ألف دينار (ودفع) مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى مولاه زياد فصا من الياقوت الاحمر وقال له نج بهذا وكانت قيمته ألف ألف درهم وسقط من يد الرشيد فى أرض كان يتصيد فيها فاغتم لفقده فذكر له فص ابتاعه صالح صاحب المصلى بعشرين ألف دينار فأحضره ليكون عوضا عما سقط منه فلم يره عوضا عنه ووهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم وقوم الجوهر الذى سلم من النهب عند فتنة المأمون بألف ألف الف ومائة ألف وستة عشر ألف درهم ووجد فى تركة السيدة بنت المعز العبيدى طست وابريق من البلور ومدهن ياقوت أحمر وزنه تسعة وعشرون مثقالا وكان الناس يستعظمون الطست والابريق الى أن قبض على أبى محمد البازورى وزير المستنصر العبيدى فوجد عنده تسعون طستا بأباريقها من صافى البلور وجيده كبارا وصغارا فهان عليهم ما استعظموه وكان لمحمود بن سبكتكين صاحب غزنة كنصاب المرآة من الياقوت الاحمر اذا ركب قبض عليه بيمينه فتبين طرفاه من جانبى يده بحيث ينظر اليهما الناس ووجد فى خزائن مروان بن محمد مائدة جزع أرضها بيضاء فيها خطوط سود وحمر سعتها ثلاثة أشبار وأرجلها ذهب فيقال انها صنعت على شكل المشترى من أكل منها لا يشبع (ووجد) أيضا فى خزائنه جام من زجاج فرعونى غلظ أصبع وفتحه شبر ونصف فى وسطه صورة أسد ثابت وامامه رجل قد برك على ركبتيه وقد أغرق السهم فى القوس وكان فيما أخذ من خزائن قصر العاضد العبيدى بعد وفاته الجبل الياقوتى وكان وزنه سبعة عشر درهما أو سبعة عشر مثقالا ولما انهزم أبو الفوارس بن بهاء الدولة البويهى من أخيه سلطان الدولة قصد يمين الدولة محمود بن سبكتكين فبلغ محمود انه باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه فاشتراهما نصير الدولة صاحب ديار بكر بعشرة آلاف دينار فقال من غلطكم ترككم على جبهة الفرس مثل هذا وقيمته ستون ألف دينار (وأهدى) صاحب قلعة

اصطخر الى السلطان الملك العادل ألب رسلان السلجوقى قدح فيروزج فيه منوا مسك مكتوب عليه جمشاد أحد ملوك الفرس الاول (وأخذ) يوسف بن ناشفين من عبيد بن المكين الصنهاجى وكان ملك أفريقية لما قبض عليه سبحة فيها أربعمائة حبة جوهر كل حبة قومت بمائة دينار ووجد فى ذخائر العبيديين لما أخذ الملك منهم عشرة آلاف قطعة بلور محكم تفاوتت قيمتها من ألف دينار الى عشرة دنانير ووجد فيها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون قيراطا (ووجد) فيما أفاء الله على السلطان محمود بن سبكتكين لما فتح الهند قطعة ياقوت أحمر زنتها أربعمائة وخمسون مثقالا (وكان) فيما أخذ لمؤيد الملك بن نظام الملك من الجواهر قطعة بلخش وزنها احدوأربعون مثقالا (وحكى) الواقدى فى فتوح السند أن عبيد الله العبيدى عامل معاوية على السند غزا بلد القيفال فأصاب منه مغانم كثيرة وان ملك القيفال بعث اليه يطلب الفداء وحمل اليه هدايا كان فيها قطعة مرآة يذكر أهل العلم ان الله تعالى أنزلها على آدم لما كثر ولده وانتشروا فى الارض فكان ينظر فيها فيرى من بعده منهم على الحالة التى هو عليها من خير وشر فحملها عبيد الله الى معاوية فبقيت فى ذخائر بنى أمية الى ان انتقل الملك منهم الى بنى العباس فصارت عندهم فى الذخائر (بدنة عبدة) ذكر أصحاب التواريخ أن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان مات وخلف عاتكة بنت يزيد وكانت تحت عبد الملك بن مروان فلما ماتت عاتكة أوصت بأن يفرق مالها على أولاد أخيها فقسم عبد الملك تركتها بين عشامة وعبدة فتزوج عبد الملك عشامة وتزوج هشام عبدة فرآها يوما هشام وقد ألقت حليها واذا فى نحرها خال فبكى وقال لا أنت هى فقالت وما معنى هذا القول فقال انا نروى ان امرأة خليفة وابنة خليفة فى جيدها خال تذبح كما تذبح الشاة فقالت لا يعز بك الله ان كان الامر صحيحا فلا حيلة لى فى دفع القضاء وان لم يكن فلا معنى لتعجيل الهم فلما قتل عبد الله بن على بنى أمية واستباح أموالهم أخذ بدنة عبدة و بعث بجواهر الى السفاح فعرضها على امرأته أم سلمة بنت يعقوب المخزومية فقالت مالى لا رى بدنة عبدة فكتب اليه بذلك وأمره بانفاذ بدنة عبدة فأنفذ اليه بدنة وزعم أنها هى فعرضها على امرأته فقالت ليست هى هذه بدنة الرائقة جارية هشام وحبة واحدة من بدنة عبدة أفضل من هذه كلها

وعلامتها ان في ظهرها وصدرها خطين من كبار الياقوت الاحمر فكتب أبو العباس الى عبد الله يعزم عليه في البعث ببدنة عبدة فكتب اليه أنه لا يعرفها فقالت أم سلمة لابي العباس مره يبعث لنا بعبدة فهي تعرف أين بدنتها فكتب اليه بذلك فكره أن يبعث بعبدة لئلا تقر عليه ولم يجد بدا فبعث بها ودس بعض أجناده وقال اذا صرت بموضع كذا فاقتلوها فلما صارت بموضع من طريق الشام يعرف اليوم بجب عبدة وأرادوا قتلها قالت لهم ان كنتم عزمتم على هذا فاتركوني حتى أصلي وأستتر فتركوها فصلت وشدت ازارها على يديها ورجليها وأبرزت لهم نحرها فذبحوها وكتب عبد الله الى السفاح انى انفذت عبدة فقتلها بعض الاعراب بالطريق فلما أوقع أبو مسلم الخراساني بعبد الله وهرب منه وأخذ ماله وانفذه الى المنصور أخذ البدنة فكانت في خزائن بني العباس الى ان صارت الى زبيدة بنت جعفر ثم بعث بها ذلك المتوكل الى ابنة عبد الله بن طاهر التي زوجها من المعتز ولده (وذكر) القاضي الرشيد ابن الزبير في كتابه العجائب والطرف كان المعتز بالله قد التمس من أمه قبيحة خمسين ألف دينار ينفقها في الجند فذكرت أنها لا تملك حبة واحدة فظهر لها بعد قتل ابنها في سنة خمس وخمسين ومائتين وكانت قبيحة قد استخفت فوجد لها خزانة فيها ألف ألف دينار وثلاثة اسفاط في أحدهم زمرذ لم ير مثله قط وفي الآخر نصف مكوك حب كبار لؤلؤ وفي الآخر كالجة فصوص ياقوت أحمر فقوم ذلك فكانت قيمته ألفي ألف دينار وكانت غلتها في كل سنة عشرة آلاف ألف دينار والله أعلم

(الباب التاسع والثلاثون في خواص الاحجار وكيانها في المعادن)

قال الفاضل أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي * في الجوهر اسم عام يطلق على الكبير والصغير منه فما كان كبيرا فهو الدر وما كان صغيرا فهو اللؤلؤ المسمى حبا ويسمى أيضا اللؤلؤ الدق ولؤلؤ النظم وحيوان الجوهر الذي يتكون فيه كبيره وصغيره يسمى باليونانية اسطوروس يعلو لحم ذلك الحيوان صدفتان ملازمتان لجسمه والذي يلي الصدفتين من لحمه اسود ولهذا الحيوان فم وأذنان وشحم يلي الفم من داخلهما الى غاية الصدفتين والباقي رغوة

وصدفة

وصدفة وماء (وذكر) ارسطاطاليس في كتابه أن من الحيوان غير الناطق السرطان يشتهي أكل لحم هذه الدابة فلما حال دونه ودون شهوته شيء بمنزلة الحاجز بينه وبين ذلك اللحم الرخص الذي في الصدفات احتال عليه فلا يزال السرطان راصدا له حتى يراه قد فتح جلدة الصدفة فيأخذ حجرا صغيرا فيرمي به في جوف الصدفة فلا تقدر عند ذلك على انضمامها كما كانت لانها لا تلتحم بمنع الحجر من انطباقها فيدخل السرطان قرنيه الى ذلك اللحم الرخص فيستخرجه ويأكله لالتذاذه به * ويذكر من أكله من الغواصين انه شبيه بطعم قوانص الطير (وذكر) ارسطاطاليس في كتاب الاحجار * أن البحر المحيط بالعالم هو الذي في ظلمات مقيمة يلحق آخره أول البحر المسلوك وان الرياح تصفق هذا البحر المحيط المسمى أوقيانوس في أوقات فصل الشتاء فيهيج هيجانا شديدا فيطلبه الصدف الذي يكون فيه الدر في وقت ريح الشمال فاذا هاجت الرياح والامواج من ذلك البحر المحيط كان لامواجه رشاش فيلتقمه الصدف الكائن في البحر الذي يسلكه الناس كما يلتقم الرحم المني فتصير تلك النطفة من ذلك الماء في اللحم المركب في الصدف فلا يزال الصدف يعمد الى ذلك الموضع الساكن من ماء البحر فيفتح فمه ويستقبل بذلك الماء الذي هو مثل النطفة رياح الهواء وحر الشمس عند طلوعها وغروبها ولا يعرض لها في وسط النهار لشدة حر الشمس وهيجان البخارات التي تهيج من العالم والغبار الذي تهيجه الرياح فاذا انعقدت الدرة ولو كانت الدرة منتهاها نهاية في الكبر فلا يكون لها طائل ثمن اذ ليس فيها شيء من أصناف الدر النفيس والله أعلم (جيده ورديئه) الجوهرة الكاملة خواصها اما في الكمية في العظم وكثر الماء واما في الكيفية في شدة البياض وكثرة الاشراق واستواء اللون واستواء استدارته واكتنازه وشكله وما لم يكن كذلك فالآفات أفسدته ومنها انه ربما وجد بعض الدرة لم تتم تربيتها وربما لصق بها قشر من لحم الحلزون صار كالصدا والوسخ فأفسد لونها وربما كانت كدرة أو كان فيها ماء أو كانت فيها دودة أو كانت مجوفة غير مصمتة وكل هذه آفات دخلت على الدرة من مقر التربية وأما فسادشكلها فمن قبل ان الحبة تقع في موضع من اللحم الذي في الصدف غير مستوى فتتجسد الدرة على صورة الموضع الذي ضمها فجيد الجوهر على الجملة المدحرج القار الصافي الشفاف

الكبير الجرم الكبير الوزن الضيق الثقب وجيد اللؤلؤ النقى من الوسخ (ذكر) خواصه ومنافعه * من خواص الجوهر أنه يتكون قشورا رقاقا طبقة على طبقة ومالم يكن كذلك فليس بجوهر مخلوق والجوهر بالجملة الدر الذى هو كبار اللؤلؤ وحبه الذى لا يمكن ثقبه لصغره كل ذلك معتدل فى الحر والبرد واليبس والرطوبة لطيف يجفف الرطوبة فى العين ويزيل كثرة وسخها ولاسيما العتيق منه الذى يوجد فى الترب وقد جفت رطوباته فانه أصلح فى ذلك ولذلك يخلطه الكحالون فى أكحالهم لنفعه وتشديد أعصاب العين وخاصيته مع ذلك لخفقان القلب ومن الخوف والجزع الذى يعرض فى المرة السوداء ويلطف الدم الذى يغلظ فى الفؤاد ولهذا أيضا يخلطه المتطببون فى أدوية القلب ويحبس نزف الدم ويجلو الاسنان جلاء صالحا واذا سحق وسقى مع سمن بقر نفع من السموم (وذكر) ارسطاطاليس ان ماء البحر الذى يتكون منه اللؤلؤ على ما قدمناه اذا قطر منه فى الكف أو غمس فيه بعض أعضاء البدن ألبس ذلك العضو صبغا كالفضة المذابة (وذكر) أيضا انه من وقف على حل الدر من كباره أو صغاره حتى يصير ماء رجراجا ثم طلى به البياض الذى يكون فى الابدان من البرص أذهبه من أول طلية يطليها وان سعط بذلك الماء من به صداع من قبل انتشار اعصاب العيون أذهبه عنه وكان شفاؤه فى أول تسعيطة (قال) التيفاشى مما جربته واختبرته ووقفت عليه بالعمل ان حماض الاترج يحل الجوهر الا أنه يحله خاثرا مثل المنى لا يعلق بالاجسام اذا طلى عليها والمياه الحادة الطاهرة القوية الحريفة تحله رجراجا يعلق بالاجسام على ما يوجبه القياس فى حل الحماض له وقد جربته فصح (عيوبه) التصديف وعدم الاستقرار والصفرة والانبراص وهو قبح البياض وخصيه وعدم رونقه وسعة الثقب وصغر الجرم وقلة الوزن (الاشياء التى تضر بالجوهر) الادهان جميعها والحموضات بأسرها لاسيما ماء الليمون ووهج النار والعرق والذفر والاحتكاك بالاشياء الخشنة والله أعلم الذى يجلوه ويذهب وسخه ماء حماض الاترج الا انه اذا ألح عليه به قشره ونقص وزنه وهو يحله أيضا خاثرا كما ذكر قبل (محاسن) تليق بهذا المكان (قال) القاضى السعيد بن سناء الملك من قصيدة فاضلية أولها

نعم هى سعدا وهى لى قمر سعد * وصال ولا صد وقرب ولا بعد

يعانقها

يعانقها من دونى العقد وحده * فيا عجبا يا قوم لم يعلق العقد
هى البدر الا أنها كله سنا * هى الغصن الا أنه كله ورد
ولو أبصر النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه انه الجوهر الفرد

(وقال) من قصيدة أخرى فاضلية أيضا أولها

باتت معانقتى ولكن فى الكرى * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى
ونعم درى لما رأى فى بردتى * ردعا وشم من الثياب العنبرا
بابى وأمى من حلمت بذكرها * لما انتبهت ومذ رقدت تفسرا
ومن العجائب ان ماء رضابها * حلو ويخرج حين تبسم جوهرا

(وله) من مرثية أولها

كجسمك جسمى أصبح اليوم باليا * ولكن ما بى عاد للناس باديا
يخيل لى انى دعيت الى الردى * وانك عنى قد أجبت المناديا
فيا أسفى اذ كنت قبلى ماضيا * ويا خجلى اذ صرت بعدك باقيا
وغاص فؤادى فى بحور همومه * فالقى الى جفنى الدموع لآليا

(وقال) ابن الحلاوى جوابا عن رقعة من أبيات

فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

(وقال) صفى الدين الحلى من قصيدة أولها

الست ترى ما بالعيون من السقم * لقد نحل المعنى المدقق من جسمى
واضعاف ما بى بالخصور من الضنا * على انها من ظلمها غصبت قسمى
وما ذاك الا ان يوم وداعنا * وقد غفلت عين الرقيب على زعمى
ضممت ضنا جسمى الى ضعف خصرها * لجنسية كانت لها علة الضم
فيا من أقامتنى خطيبا لوصفها * أرصع فيه صنعة النثر والنظم
خذى الدر من لفظى وان شئت نظمه * وان عزت سلكا للنظام فها جسمى

(وقال) ابن سناء الملك من قصيدة أشرفية أولها

جسمى كما حكم الغرام وحسبها * ان الغرام يزورنى ويغبها
علقت ظبيته وعيشى أخضر * فرعته ظنا ان عيشى عشبها

(ومنها فى المدح)

وأرى العقود حسدن ما قد سطرت * يمناه حتى اصفر منها حبها

(ومما نظم في هذا السلك) قول شيخنا العلامة بدر الدين الدماميني من قصيدة أولها

رضيت فيه بقتل النفس مذ سخطا * مهفهف سل سيف الجفن واخترطا

(ومنها في المديح)

ونظمه الدر حسنا قد علا وغلا * بيناسواه رأينا نظمه سقطا

(قال) ابن منير وأجاد

لا تخدعنك وجنة محمرة * رقت ففي الياقوت طبع الجلمد

(وقال) النور الاسعردى

قد كدت أحرق خده يوم النوى * بتنفسي لو لم يكن ياقوتا

وما أحسن قول أبي الحسن علي بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالفكيك يخاطب بعض التجار

أباجعفر انفذت اطلب جمة * أفاق عليها الدر رونق حسنه

كرقة دين البابلي ولونها * كطاجنه المبيض في طول قرنه

فأنفذتها بالضد في لون عرضه * وهمته قصرا وفي سلك ذهنه

وفصا من الياقوت أحمر ناصعا * كانخوته بردا وفي ثقل ابنه

فأنفذت لي فصا كخفة عقله * وسحنة عين قلبت تحت جفنه

قصدت خلافي في جميع ما ربي * فأنشرت ميت السخط من بعد دفنه

فلو قلت قبل رأسه وبنانه * نريت اعتمادا لخلف في جوف ذقنه

(الياقوت) قال بلينوس العلة في تكون حجارة الياقوت هي ان الشمس لما طلعت على الارض سخنتها بقوتها فسخن من الارض مالم يحجب منها واشتدت سخونة المكان بظهور الشمس عليه وغيرت الشمس رطوبة المكان الذى اشتدت حرارتها عليه فلما اشتد يبسه لقلة رطوبته اجتذبت قوته من الشمس وقوتها حرا ويبسا فانقلب عن طباعه ولونه وطعمه على قدر الرطوبة التى كانت فيه من كثرتها وقلتها فلما حاشت الرطوبة وأقامت عليه اجتذب الماء ما كان في ذلك المكان من حر الشمس ويبسها وطلعت عليه الشمس وسخنته فحجبت الرطوبة عن ذلك اليبس الذى فيها بحر الشمس فتسخن الماء بحرها فتلطف وقوى على تحليل اليبس الذى قبلته الارض من يبس الشمس المتصل بها في الماء

وانحل

وانحل به واشتدت عليه السخونة حتى ظهرت قوة اليبس المفرطة فيه فكان منه الحجر المسمى بالياقوت ولشدة يبسه ضاقت مسامه لقبض اليبس له ولشدة انحلاله وشدة لطافته رجع منعقدا ولشدة اليبس تكاثفت أجزاؤه بعضها في بعض وتداخلت (الياقوت الاصفر) * فمنه الرقيق وهو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشعاع والخلوقي وهو أشبع صفرة من الرقيق والجلناري وهو أشبع من الخلوقي واشدها شعاعا وأكثرها ماء وهو أجوده * والاسمانجوني فمنه الازرق واللازوردى والكحلي وهو أشبع من النيلي ويسمى الزيتي * وأما الابيض فمنه المهاى وهو أشد بياضا وأكثر ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أثقل من المهاى وأقل شعاعا وأصلب حجرا وهو أدونها وثمنه أرخص أثمان الياقوت (ذكر خالص الياقوت ومعيبه) أجود الياقوت الاحمر البهرماني والرماني والوردى النير المشرق واللون الشفاف الذى ينفذه البصر بسرعة السالم من العيوب (عيوبه) الشعرة والسوس فالشعرة شبه تشقيق يرى فيه والسوس خروق توجد في باطنه يعلوها شئ من ترابية المعدن وربما وجد في تلك الثقبة دود حي يتحرك اذا خرجت الدودة منها الى الهواء ماتت ورأينا من رأى ذلك من الثقات (عيوب) ألوانه أردئ الالوان الاحمر الوردى الذى يضرب الى البياض والسماقي الذى يضرب الى السواد وأردئ منه الازرق الذى يضرب الى لون الرماد ويسمى السنور وكذلك الذى يسمى الزيتي وأردئ ألوان الياقوت الاصفر ما نقص لونه وضرب الى البياض وأردئ صفات جميعه في الجملة قبح الشكل والذى قدمناه (ذكر خواصه ومنافعه) قوة الياقوت على قدر معادنه المتكون فيها وعلى قدر أصبغته وألوانه فالاحمر منه حار يابس والاصفر أقربها الى الاحمر وفيه فضل حر وكذلك الاصفر والاسمانجوني أبرد وأيبس والابيض أبرد الياقوت وأرطبها (خواصه) في نفسه * من خواص الياقوت انه يقطع كل الحجارة شبيها بقطع الماس وليس يقطعه شئ غير الماس وانما يثقب بالماس وذلك بان تركب منه قطعة في طرف مثقاب حديد ثم يثقب به كما يثقب الخشب ومن خواصه انه لا ينحك على الخشب الذى يحك عليه كل شئ اما الياقوت فانه لا يحك على شئ الا على صفيحة نحاس بكسر الجزع اليماني ويحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يصير كأنه الغراء ثم يحك به على وجه الصفيحة

النحاس حجر الياقوت فينجلي حتى يصير أشد الجواهر صقالة * ومن خواص الياقوت الشعاع فانه ليس لشئ من المشفة شعاع مثله ومن خواص الياقوت الثقل فانه أثقل الاحجار المساوية لمقداره في العظم ومن خواصه صبره على النار فانه لا يتكلس كما يتكلس غيره من الاحجار المثمنة كالزمرذ وغيره ومن خواصه انه يقبل البرودة بسرعة اذا أخرج من النار بخلاف غيره من سائر الاحجار وليس من ألوانه ما يثبت على النار غير الاحمر فقط * وقد ذكر ارسطاطاليس في كتاب الاحجار أن الياقوت الاحمر اذا نفخ عليه في النار ازداد حسنا وحمرة واذا كانت فيه نكتة شديدة الحمرة ونفخ عليها في النار انبسطت في الحجر فسقته من تلك الحمرة وحسنته وان كان فيه نكتة سوداء نقص سوادها وهو حجر يزداد حسنا وصفاء عند النفخ عليه في النار واذا كان الحجر أحمر ونفخ عليه فزالت حمرته فليس بياقوت بل أحد الاشباه أو مصنوع مدلس وقد رأيت بسوق القاهرة جواهر تباع على أنها ياقوت أزرق وأصفر وهي مصنوعة مدلسة كان أصلها ياقوت أبيض ومن خواصه انه لا تعمل فيه المبارد والحديد ولا يلصق شئ في جسمه من جميع ألوانه أحمره وأصفره وسماويه ومن خواصه قطع الاحجار المشفة غير الماس والاحمر في جميع هذه الخواص زائد على جميع ألوانه في القوة * خواصه في منافعه من خواصه ذكر ارسطاطاليس أنه من تقلد هذا الحجر أو تختم به من أنواع اليواقيت التي وصفنا وكان في بلد قد وقع الطاعون فيه منعه أن يصيبه ما أصاب أهل ذلك البلد من الطاعون ونبل في أعين الناس وسهل عليه قضاء الحوايج وتيسر له من أرباب المعاش أمور صعبة ومن خواصه تقوية قلب لابسه وتشجيعه والهيبة له في قلوب الناس واجلاله ومن خواصه أن ينفع من خفقان القلب والوسواس في التعليق له ومن خواصه أن الصاعقة لا تقع على من تختم به أو علقه عليه ومن خواصه أنه لم ير في أصبع غريق قط ومن خواصه انه يقطع العطش اذا وضع في الفم وتحت اللسان ومن خواصه انه يمنع جمود الدم اذا علق ومن خواصه انه يقطع نزف الدم اذا علق ومن خواصه ما أخبرني به شريف جوهري معروف بالخبرة والذكاء في هذا ودخل الى الهند ومارس كثيرا من علم الاحجار أن الهند يقولون ان من كان معه حجر ياقوت جذب قوسا قويا من طبقته وقوته اذا لم يكن معه ذلك الحجر على شرط ان

لا يفعل

لا يفعل ذلك على سبيل الخبرة والامتحان بل يكون ذلك بغير قصد له ولا تعمد (ومحنة) أشباه الياقوت باجمعها أن يحك بالياقوت الاحمر فانه يخرجها كلها ولا تخرجه وليس شئ منها يقوم على النار كما قدمنا فهذه علة تكون الياقوت (وأما اختلاف ألوانه) فانه بنسبة بقاع الارض اذا وقع عليها الماء فدام عليها فيتغير الماء بما انحل فيه من يبس الارض وتسخين الشمس له فيحمى الماء على قدر الحرارة فينعقد أحمر وربما انعقد أصفر لقلة الحرارة فيه وربما اعتدل الحر عليه في اللين والانحلال فانعقد أبيض صافيا وربما اشتدت يبوسته فعرض فيه البرد لشدة اليبس وتباعد الحر عنه فعرض فيه السواد وظهر على أعلاه لبطون الحمرة في باطنه وربما طرحت الحمرة نورها الى خارج مع ظهور السواد في ظاهره فقام بينهما لون أسود اسمانجوني وذلك أن صفرة الرطوبة اذا التحمت مع سواد اليبس قام من بينهما اللون الاسمانجوني * قال بلينوس والياقوت حجر ذهبي وجميع الحجارة غير الاجساد الذائبة انما انعقدت وابتدأت لتكون ياقوتا فأقعدتها عن الياقوتية كثرة الرطوبة وقلتها او كثرة اليبس وقلته فلم تكن ياقوتا وصارت حجارة حمرا وبيضا وخضرا وصفرا وغير ذلك من الالوان التي لا تذوب في النار ويقع عليها الحديد فيحلها وفيها ما لا يحله الحديد ووضعت عليه اسماء كثيرة خلاف الياقوت (ذكر معدنه) الذي يتكون فيه الياقوت يؤتى به من معدن يقال له سجران من جزيرة خلف سرنديب بنحو من أربعين فرسخا والجزيرة تكون نحوا من ستين فرسخا في مثلها وفيها جبل عظيم يقال له جبل الراهون تحدر منه الرياح والسيول الياقوت فيلقط وهو حجر من أرض ذلك الموضع وحصباؤه وما تحدر سيوله من جبل الراهون ويقال ان الشمس اذا أشرقت على ذلك الجبل أبدت فيه شعاعات كثيرة لوقوع شعاع الشمس على حصى الياقوت فيسمى ذلك برق الراهون وهذا الجبل هو الذي أهبط عليه آدم عليه السلام من الجنة ومنه خرج الى الارض فاذا أصيب ذلك الحصا أصيب وظاهره مظلم يميل أكثره الى السواد والغبرة كالحصى الموجود في هذه الالوان عندنا فاذا استشف في الشمس أشف لونه أحمر كان أو أصفر او سماويا أو غير ذلك من ألوان الياقوت * قال التيفاشي أخبرني من دخل جزيرة سرنديب من التجار أن أهل ذلك الموضع اذا لم تحدر السيول والرياح لهم من

حصباء الياقوت فى بعض السنين ماجرت به العادة احتالوا لتحصيله بالحيلة التى
نذكرها وذلك ان الجبل الذى فيه الياقوت جبل شاهق صعب المسلك لا يمكن
الوصول الى أعلاه وفى أعلاه نسور كثيرة تعشش فيه وتتخذمنا كنها به لخلوته
فيعمد أهل ذلك الموضع الى حيوان فيذبحونه ويسلخون جلده ثم يقطعونه
قطعا كبارا ويتركونه فى سفح الجبل المذكور ويبعدون عنه وهم يرقبونه فتأتى
النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به عند أوكارها فاذا وضعته على الارض علق به
من حصى الياقوت والصق فيه ثم تأتى نسور أخرى فتجتمع على اللحم لتخطفه
فيأخذه بعضها وتطير من الجبل فيسقط منه الياقوت لثقله فيلقطه الذين
يرقبونه من الموضع الذى يسقط فيه ويذكر أن فى سفل هذا الجبل غياضا عظيمة
وخنادق عميقة وأشجارا شاهقة ويسكن بها حيات عظام تبتلع الحية منها الانسان
ورأس البقر وغيره صحيحا فاذا ابتلعته عمدت الى أصل شجرة فالتوت عليها
واشتدت فيتكسر فى بطنها ما تبتلعه وتندق عظامه فيهضم بها ولاجل ذلك أيضا
لا يستطاع سلوك هذا الجبل ولا الوصول اليه والى ما فيه من عجائب الاحجار
(ذكر أصنافه) أصول الياقوت أربعة أصناف أحمر وأصفر واسمانجونى وأبيض
فالاحمر منه ينقسم الى أربعة أقسام الوردى وهو يتفاضل فى شدة الصبغ الى
الوردية لا يجاوز ذلك ويقل صبغه الى أن يقرب من البياض ثم الجرى وهو مشوب
بقرقرية كلون ورد الخيرى وأظهر قرقريةً وهو يتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه
الى أن يقرب من البياض ثم الاحمر وهو بلون العصفر الشديد الحمرة الناصعها فى
القوة والى القرب من الوردية فى الضعف ثم البهرمانى وهو أحمر نقى الحمرة لا يشوبها
شائبة وهو يتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه حتى ينتهى الى لون العصفر الشديد
الحمرة الناصعها فى القوة والى قريب من لون الورس فى الضعف وأثمن الياقوت
الذى فى لون الحمرة البهرمانى وأثمن كل واحد من بقية أصنافه أشدها تشفا
وأشدها شعاعا وأسلمها من العيوب التى تذكر فيما بعد (وأما الزمرذ) قال بلينوس
ان الزمرذ هو الياقوت لانه انما ابتدأ لينعقد ياقوتا فى جميع أجزائه وكان لونه
أحمر فلشدة تكاثف الحمرة بعضها على بعض عرض له السواد فصار اسمانجونيا
ولثقل اليبس وغلظه بطن الاسمانجونى وارتفع ما صفى على الحمرة على أعلاه
فاصفر ولما كان باطنه اسمانجونى واشتدت عليه الحرارة بطبخها فزجت

اللونين

اللونين جميعا لون ظاهره بلون باطنه فتولدت الخضرة بينهما فصار لونه أخضر
فسمى زمرذا وانما كان أصله ياقوتا لان الياقوت هو حجر ذهبى وهو أصل الحجارة
كما أن الذهب رأس الاجساد المذابة (ذكر معدنه) الذى يتكون فيه موضع
الزمرذ الذى يؤتى به منه * فى التخوم بين بلاد مصر والسودان خلف اسوان يوجد
فى جبل هناك كالجسر فيه معادن تحتفر فيخرج منها الزمرذ قطعا صغارا
كالحصى منبثة فى تراب المعدن وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع وهو
جيده * وأما صغيره فانه يصاب فى التراب بالنخل وذلك أنهم ينخلون التراب ثم
يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة فيوجد فيه الحجر بعد الحجر ويوجد
بعضه عليه أتربة كالكحل الشديد السواد وهو أشد خضرة وأكثر ما وجد
من الزمرذ فى التراب فهو الفص وما قطع منه من العروق فهو القضيب فى
اصطلاح الجوهريين وهو أعتقه وأخلصه (ذكر جيده ورديئه) أصنافه
أربعة الذبابى والريحانى والسلقى والصابونى فأعلاه وأغلاه وأفضله فى سائر
الخواص الموجودة فى الزمرذ هو الذبابى وهو أخضر مغلوق اللون جدا لا يشوبه
فى خضرته شئ آخر من الالوان حسن الصبغ جيد المائية وانما سمى ذبابيا
لشبه لونه بالخضرة التى تكون فى الكبار من الذباب الربيعى لا فى صغاره الموجودة
فى البيوت وهو أحسن ما يكون من الخضرة بصيصا وذلك اللون غير موجود فى
ذباب البيوت وأما بقية الاصناف المذكورة من الزمرذ غير الذبابى فانها نازلة
مقصرة عن جميع الخواص الموجودة فى الذبابى ولهذا ألغيتها (عيوب الزمرذ)
من أكبر عيوب الزمرذ الذبابى اختلاف الصبغ حتى لا يكون موضع منه بلون
مخالف للون موضع آخر ومن عيوبه عدم الاستواء فى الشكل وهذا عام له
وللياقوت ولكل حجر مستشف ثمين أو غير ثمين ومن عيوبه التشعير وهو من
لوازمه لا يكاد يخلو منه وهو شبه شقوق خفية تظهر فيه (خواص الزمرذ) الذبابى
فى نفسه خواصه الكبرى فى نفسه وهى التى انفرد بها عن سائر الاحجار وبها
يمتحن الخالص منه من غيره أن الافاعى اذا نظرت اليه ووقع بصرها عليه
انفقأت عيونها على المكان قال أحمد التيفاشى وقد كنت أقف على هذه
الخاصة فى الزمرذ فى كتب الحكماء ثم جربتها بنفسى فوجدتها صحيحة وذلك
أنه كان وقع لى فص زمرذ ذبابى خالص أردت امتحانه على عيون الافاعى

فاستأجرت حاوياً لي صيد أفعى وجعلتها في طست وأخذت قطعة شمع فألصقتها في رأس سهم ثم ألصقت فيها الفص وقربته من عين الافعى فكانت تثب أولا نحو السهم وكانت لها حركة قوية تروم بها الخروج من الطست فلما قربت الزمرذ من عينها سمعت قرقعة خفية كمن يقتل صبانة على ظفره ثم رأيت عيني الافعى وقد برزتا على وجهها بروزا ظاهرا وبقيت حائرة في الطست تدور فيه لتقصد مخرجا ولا تدري حيث تتوجه وسكنت أكثر حركتها وانقطع وثوبها بالجملة * ومن خواصه الرخاوة وتخلل الاجزاء ومن خواصه خفة الوزن ومن خواصه شدة الملاسة والصقال والنعومة ومن خواصه زيادة الخضرة والماء اذا ركب على البطانة وأخص صفاته به الخفة (خواصه) في منافعه من خواصه انه من نظر اليه أذهب عن بصره الكلال ومن خواصه انه من تقلد بخاتم منه دفع عنه داء الصرع اذا كان لبسه له قبل حدوث الداء ومن أجل هذا كانت الحكماء تأمر الملوك تعلقه على أولادهم عند ولادتهم ليدفع عنهم داء الصرع ومن خواصه انه من سحل منه وزن ثمان شعيرات وسقاه شارب السم قبل ان يعمل السم فيه خلص نفسه من الموت ولم يتمعط شعره ولم ينسلخ جلده وكان شفاؤه ومن خواصه انه ينفع من نفث الدم واسهاله اذا علق على من به ذلك ومن خواصه النفع من وجع المعدة اذا علق عليها من خارج ومن خواصه انه ينافي الحيات المسمومة ولا تقرب حامله ومن خواصه ان شرب حكاكته تنفع من الجذام ومن خواصه ان جميع أصنافه كلها تصلح ان تعلق على العضد وعلى الرقبة للتعويذ وعلى الفخذ لسرعة الولادة مجرب (ومن معانيه الشعرية) قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه بعد انتساب
فلا عجب اذا ما قيل هذا * له صدغ زمرذه ذبابي

(البلخش) معدنه الذي يتكون فيه * يؤتى به من بلخشان والعجم تقول بذخشان بذال معجمة وهي من مدن الترك فيما يتاخم الصين وأخبرني من وصل الى معدنه من التجار انه وجد في المعدن حجرا في باطنه ما لم يكمل طبخه وانعقاده بعد والحجر مجتمع عليه (جيده ورديئه) هو ثلاثة أنواع أحمر معقرب وأخضر زبرجدي وأصفر وأجوده الاحمر وليس بجميعه شيء من الخواص التي لليواقيت ومنافعه

واغا

وانما فضيلته شبهه والمائية والشعاع الاحمر لم يذكر فيه شيء من الخواص البتة (الماس) قال بلينوس الماس حجر ذهبي وهو أشبه الاحجار بالاجساد المذابة لانه ليس من الاحجار شيء يسحقه كما تسحق الاحجار بعضها بعضا فلذلك شبهته بالاجساد ولم يفسده شيء من الاحجار غير الابار فلذلك قلت انه حجر ذهبي وأقول ان الماس انما كان في معدنه وابتداء خلقته ليكون ذهبا وذلك أن الماء في معدنه فلما سخنته الحرارة يبس الماء من الحر الذي سخنته جدا فصار حجرا فلما كثرت عليه الحرارة وعرض في الماء غلظ فصارت فيه لزوجة لغلظه وصار أشبه شيء بالزيبق وتولد فيها رطوبة المعدن ويبسه بلطافة الطباع وملح وشفى الماء والريح فغلظ واشتدت عليه الحرارة فقوى الملح على نسف الحر واليبس واشتدت يبوسته فظهرت على وجه الماء اللزج الذي هو يشبه الزيبق فانعقد حجرا بافراط اليبس عليه وانما انعقد ليكون ذهبا فأقعده عن الذهبية انعقاده باليبس والملوحة فلو انعقد باللين ولم يفرط عليه اليبس وبالحلاوة مكان الملوحة لكان ذهبا فلما انعقد وكان فيه ملوحة وشدة يبس نقص عن كيان الذهب فصار حجرا صلبا يأكل الاحجار كلها بملوحة طبيعته وشدة يبسه وانما صار يتكسر للملوحة فبقيت الملوحة واليبس في جسده وانما صار لا يفسده شيء غير الابار لانه ذهبي كما ان الابار يفسد الذهب ويسحقه وانما يسحق الابار الماس لكثرة يبسه وذلك لاجتماع الكبريت الذي في الابار مع ملوحة الماس لان الملح الذي في الماس اذا أحس برائحة الكبريت تفتت وانسحق وانما صار لون الماس أبيض لانعقاده بالرطوبة ودفع رطوبة الموضع عنه وهج النار فصار لذلك أبيض فهذه علة تكون الماس (معدنه) الذي يتكون فيه * يوجد في معدن الياقوت ويتكون فيه ويخرج منه كما يخرج الياقوت فهو حصاة معدن الياقوت اذا أخرجته الرياح والسيول من معدنه حسبما بيناه فيما سلف (جيده ورديئه) الماس نوعان الزيتي والبلوري والزيتي أجودهما والبلوري أبيض شديد البياض كالبلوري والزيتي يخالط بياضه صفرة كلون الزجاج الفرعوني (خواصه) في ذاته * من خواصه ان جميعه ذو زوايا قائمة ست زوايا وثمان زوايا وأكثر من ذلك وأقل * يحيط بزواياه سطوح قائمة مثلثة الشكل اذا كسر فلا ينكسر الا مثلثا ومن خواصه انه يقطع كل حجر يمر عليه وهو في نفسه عسر الانكسار

وان وضع على سندان حديد ودق بمطرقة لم ينكسر ودخل فى وجه السندان ووجه المطرقة وكسرهما وانما يكسر بأن يصير فى شئ من الشمع ثم يدخل فى أنبوب قصب وينقر بمطرقة غير هابرفق ومداراة بحيث لا يباشر جسمه الحديد حتى ينكسر أو يصير فى أسربة ويفعل به ذلك (ومن خواصه) ان الانسان اذا ابتلع منه قطعة ولو كانت أصغر ما يكون حرقت امعاءه فقتلته على الفور ومن خواصه ماذ كره ارسطاطاليس من أن بينه وبين الذهب محبة ينشب به حيث كان حتى يخالط منه الحبة الخفيفة يعرف ذلك صباغ الذهب فانهم اذا بردوه وقعت تلك الحبة تحت مباردهم فأ كلت المبارد وأفسدتها ومن خواصه انه يثقب الدر والياقوت والزمرذ وغيرها من جميع مالا يعمل فيه الحديد من الاحجار كما يثقب الخشب وذلك بأن تركب فى رأس مثقاب حديد منه قطعة بقدر ما يراد من سعة الثقب وضيقه ثم يثقب به فيثقب بسرعة وأما طبعه فانه بارد يابس فى الدرجة الرابعة (خواصه) فى منافعه منها ماذ كره ارسطاطاليس انه من كانت به الحصاة الحادثة فى المثانة من مجرى البول ثم أخذ حبة من هذا الحجر وألصقها فى مرود نحاس أو فضة بمصطكا الصاقا محكما ثم أدخل ذلك المرود الى الحصاة فتتها قال أحمد بن أبى خالد المعروف بابن الجزار فى كتابه فى الاحجار وبهذا الفعل عالجت أنا وصيفا الخادم من حصاة عظيمة كانت به وامتنع من الفتح عليها بالحديد فلما فعلنا به هذا الفعل انسلخت الحصاة حتى صغرت وسهل عليه خروج ما بقى منها فى البول ومن خواصه انه ينفع من المغص الشديد ومن فساد المعدة اذا علق على البطن من خارج (عين الهر) معدنه الذى يتكون فيه هذا الحجر يوجد فى معدن الياقوت مع الماس فهو وحصباه معدن الياقوت كما ذ كرناه عن الماس فيما سلف (جيده ورديئه) هذا الحجر غريب الشكل وذلك ان الغالب على لونه البياض باشراق عظيم ومائية رقيقة شفافة الا انه يرى فى باطنه نكتة على قدر عين الهر أعنى الناظر الحامل للنور المتحرك فى فص مقلته وعلى ذلك اللون سواء وتلك النكتة مع ذلك متحركة على الدوام اذا حرك الفص تحركت بخلاف جهة حركته بحيث ان أميل الى جهة اليسار مالت النكتة متحركة الى جهة اليمين وذلك فى الاعلى والاسفل فهى كناظر الهر حقيقة ولذلك سمى به فان كسر أو قطع على أقل الاجزاء ظهرت تلك

النكتة

النكتة فى كل جزء من أجزائه وأجوده ما اشتد بياض أبيضه وشفيفه واشتدت كثرة مائية تلك النكتة التى فيه وسرعة حركتها واشراقها وحسن الشكل وكبر الجرم زائدان فى جودته كسائر الاحجار (خواصه ومنافعه) هو أنه يحفظ حامله من عين السوء والانفس الخبيثة ومما أنقله فيه عن ثقات الجوهريين ممن دخل الهند ومارس هذا الفن ومهر فيه أنه يجمع خواص الياقوت البهرمانى فى منافعه ويزيد عليه بمنفعتين احداهما أنه لا ينقص مال محتمله ولا تعتريه فيه الآفات والنكبات والاخرى أنه اذا كان فى يد رجل أو معه وحضر مصاف حرب ثم هزم حربه فألقى نفسه بين القتلى يراه كل من يمر عليه من أعدائه كأنه مقتول متشحط فى دمه فتنفر عنه النفوس حتى لا يقربه بشر منهم وأخبرنى بعض من دخل الهند من الجوهريين أنه رأى هذا الجوهر يعبد فى المعبر كما تعبد الاصنام قال وثمنه عندهم أغلا من ثمنه ببلاد العرب وهم به أغبط وهو عندهم أعز وذ كر أنه وقف على حجر بيع فى المعبر بمائة وخمسين دينارا ولعله يساوى فى الهند عشر هذا الثمن وذلك لعلمهم بخواصه ووقوفهم عليها بالتجربة (البازهر) الموجود من هذا الحجر الآن بأيدى الناس نوعان احدهما حيوانى والآخر معدنى فأما المعدنى منهما فيقال انه ينفع من لدغة العقرب فقط وهو مقصر عن جميع ما يذ كر فى الكتب عن البازهر الحيوانى ويذ كر أنه يجلب من الصين وهو حجر خفيف هش أصفر وأغبر منقط نقطة خفيفة توجد طبقات رقاق فى أصل تكونه طبقة فوق طبقة لا توجد الا كذلك ويحدث سريعا اذا حك ومحكه يميل للبياض وأعظم ما يوجد منه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل يؤتى به من بلد فارس من تخوم الصين والحيوان الذى يوجد فيه هو الايل الذى يكون بتلك الجهات ويذ كر أن الايل الذى يوجد فيه البازهر يشتهى أكل الحيات لاسيما من صغر من أولادها وهو معظم غذائه يبحث عنها ويستخرجها من حيث كانت فيأ كلها وقد اختلف الناس فى أى موضع من الحيوان يتكون البازهر على ثلاثة أقوال الاول أنه يتكون فى عينيه قالوا وذلك أنه اذا أ كثر من أ كله لفراخ الحيات اعترته حكة فى سائر جسده من سمها فيعمد الى بركة ماء فيغوص فيها رافعا رأسه عن الماء الى أن يغيب كله فى الماء حتى لا يظهر منه الا حدقتاه فيرتفع حينئذ من سائر جسده بخار رطب الى عينيه ثم يخرج من مآقيه اللذين

يليان أنفه يمنة و يسرة ويستحيل ماء فاذا ضربه الهواء جمد وجمد وجده حجرا وبقي معلقا بشعر ناحيتي أنفه ثم يعرض له مثل ذلك العارض فيفعل مثل هذا الفعل فيخرج بخارا آخر ويستحيل ماء و يسيل من ذلك الموضع بعينه على الحجر المتكون قبل فيجمد اذا باشره الهواء فوق الحجر الاول كما جمد الذي قبله ولا يزال كذلك حتى يثقل الحجر فيسقط من ذاته أو يحكه الحيوان اذا ثقل عليه الى حجر أو أصل شجرة فيسقط فتتبع مظانه حتى يوجد فيؤخذ منها وأخبرني من لا أشك في صدقه وثقة نقله أن بتخوم الشام فيما بينها و بين بلد الروم بموضع يسمى مرعش وما يتصل به ايلا يأكل فراخ الحيات و يعرض له من أكلها ما ذكرناه و يفعل الوصف الذي وصفناه وان البازهر يتكون في عيونه على حسب ما ذكرناه القول الثاني ان هذا الحجر يتكون في قلب هذا الحيوان وانه يصاد لاجله و يذبح و يستخرج الحجر من قلبه وهذا القول رأيته لبعض أطباء مصر حسبما نورده عنه فيما بعد وهو غير صحيح القول الثالث أن هذا الحجر يتكون في مرارة هذا الحيوان كما يتكون كثير من الاحجار في كثير من الحيوان و يذبح فيخرج البازهر من مرارته ومن يقول ذلك يستدل على صحة قوله بأن هذا الحجر اذا ذيق ظاهره باللسان وجد طعم المرارة عليه ظاهرا وأكثر حذاق الجوهريين وأرباب الخبرة منهم على هذا القول وهذا عندي هو الصحيح وأخبرني بعضهم أنه شاهد حجرا منه انكسر فوجد فيه حشيشة اشتمل عليها الحجر في أصل تكونه (جيده ورديئه) الخالص الجيد الموجود منه في هذا التاريخ هذا الحيواني المذكور قبل وهو الاصغر الخفيف الهش المنقط ذو الطبقات الابيض المحك المر المذاق (خواصه) في نفسه منها أنه اذا مر على حمة العقرب أبطل لسعها وان لسعت لم يؤذ سمها ومنها أنه ان حك على أفواه الافاعي والحيات خنقها وماتت وهذا والذي قبله مما يختبر به البازهر الحيواني الخالص من المغشوش ومنها انه اذا جعل مع أجسام خشنة مباشرة لجسمه محتكة معه غيرت صورته وخشنته وغيرت لونه وجميع صفاته حتى لا يكاد يعرف وقد كان عندي حجر بازهر حيواني خالص فجعلته في كيس فيه دنانير ذهبا ثم سافرت من موضع الى موضع آخر فلما استقريت فتحت الكيس واستخرجت الحجر البازهر فلم أعرفه حتى ظننت أنه قد بدل على لتغير جميع صفاته ثم وزنته فوجدته أقل مما كان

فزاد

فزاد تشككي ولم يكن معي من أتهمه فعجبت من ذلك وبقيت متحيرا في أمره ثم جعلته في حق صغير بعد أن لففته بابريسم وغفلت عنه مدة ثم أخرجته فوجدته الحجر الذي كنت أعرفه أولا قد زالت عنه الهيئة الرديئة التي اكتسبها من احتكاكه بخشونة الذهب الا أن وزنه نقص بما انحك منه في الكيس ولما كان بعد ذلك جرى ذكر البازهر بيني و بين حذاق الجوهريين فعرفني أن من خاصيته أن احتكاكه بالاجسام الخشنة يغيره فعرفته بما شاهدته في ذلك بالتجربة تصديقا لقوله (خواصه) في منافعه أخص منافعه النفع من السم أي سم كان قاتله أو غير قاتله من سموم الحيوان والنبات من السموم الحارة والباردة ومن عض الهوام واللدغ والنهش اذا شرب منه من ثلاث شعيرات الى اثني عشرة شعيرة مسحوقه أو مسحولة بالمبرد أو محكوكة على المسن بزيت الزيتون أو الماء فانه يخرج السم بالعرق من جسد المسموم و يخلص نفسه من الموت و يفعل ذلك بجملة جوهره والخاصية المودعة فيه أنه هو حجر شريف نفيس ليس له في جميع الاحجار ما يقوم مقامه في دفع السموم ومن خواصه انه اذا سحق ونثر على موضع النهش وغيره جذب السم الى خارجه وابطل فعله ومن خواصه ما ذكره ابن جميع في كتابه الملقب بالارشاد الى مصالح الانفس والاجساد قال والحيواني من البازهر وهو الموجود في قلوب الايائل أفضل في جميع الاوصاف المذكورة في البازهر حتى أنه اذا حك بالماء على مسن وسقى منه كل يوم وزن نصف دانق للصحيح على طريق الاستعداد والتقدم بالحوطة قادم السموم القادمة وحسم من مضارها ولم يخش غائلة ولا اثارة خلط حار كما يخشى من المثرود يطوش ولا يضر المحرورين ولا النحيفين لانه انما يفعل ذلك بخاصية جوهره ومن خواصه انه من تختم منه بوزن اثنتي عشرة شعيرة في فص خاتم ثم وضع ذلك الفص على موضع اللدغ من العقارب والهوام الطيارات وغير الطيارات ذوات السموم وأجناس الزنابير والدراريح نفع منها نفعا بينا ومن خواصه انه اذا سحق ثم نثر على موضع اللدغ من الهوام الارضية حين تلدغ اجتذب السم وأرشحه وان عفر الموضع قبل ان يبادر اليه بالدواء ثم نثر عليه من هذا الحجر مسحوقا أبرأه ومن خواصه ما ذكره بعض الحكماء من الاوائل أنه اذا صنع خاتم من ذهب ويكون فصه بازهر ونقش عليه صورة العقرب حين يكون القمر في العقرب ويكون

العقرب وتدا من أوتاد الطالع ثم طبع بهذا الخاتم طوابع من كندر ممضوغ معمول منه قرص والقمر فى العقرب أيضا ويرفع فمن لدغته العقرب وشرب قرصا من هذه الاقراص المختومة بهذا الفص البازهر لم تضره اللسعة وبرأ منها وقد جرب هذا فوجد صحيحا وختم به على غير الكندر لئلا تكون الخاصية للكندر ففعل كما يفعل اذا ختم به على الكندر انتهى (الفيروزج) حجر نحاس يتكون من أبخرة النحاس الصاعدة من معدنه على ماذكره بعد فى تكون غيره من الاحجار النحاسية (معدنه) الذى يتكون فيه الفيروزج يجلب من معدن جبل النيسابور ومنه يحمل الى سائر البلاد ومنه نوع يوجد فى نشاور الا أن النيسابورى خير منه (جيده ورديئه) الفيروزج نوعان سبحانى وقبحانى والخالص منه العتيق وهو السبحانى والاجود منه الازرق الصافى اللون المشرق الصفا الشديد اللمعان المستوى الصبغ وأكثر ما يكون فصوصا وذكر الكندى أنه رأى حجرا زنته أوقية ونصف *خواصه فى نفسه منها أنه حجر يصفو لونه فى صفاء الجو ويكدر مع كدورته وذكر ارسطاطاليس أن كل حجر يستحيل عن لونه فهو ردىء للابسه ومنها أنه اذا أصابه شئ من الدهن أفسد حسنه وغير لونه وكذلك العرق يفسده ويطفئ لونه بالكلية وكذلك المسك اذا باشره أبطل لونه وأذهب حسنه (خواصه) ومنافعه منها أنه يجلو البصر بالنظر اليه ومنها أنه ينفع العيون اذا سحق فى الاكحال ومنها أنه اذا سحق وشرب نفع من لدغ العقارب وطبيعته البرد واليبوسة (العقيق) حار يابس وفيه ثلاث خصال من الخواص الاولى أنه من تقلد بالاحمر منه الشديد الحمرة سكنت روعته عند الخصام الثانية انه من تختم بالنوع الثانى منه وهو الذى لونه لون ماء اللحم اذا ألقى فيه الملح وفيه خطوط بيض قطع عن حامله نزف الدم من أى موضع كان من الجسد ولا سيما النساء اللواتى يدوم طمثهن الثالثة أنه اذا استيك به من أى أنواعه اتفق أذهب عن الاسنان صداها وبيضها واذهب الحفر ومنع الاسنان أن يخرج من أصولها الدم (طرائف) تليق بهذا المكان قال بعض الفضلاء ممن يعتمد على قوله من تمذهب للشافعى وقرأ لابى عمرو ولبس البياض وتختم بالعقيق وحفظ قصيدة ابن زريق البغدادى فقد استكمل الظرف ومما سمع عنه قيل ان خاتمه ماوجد فى أصبع قتيل

(وقيل)

(وقيل) وما أحسن استخدام فيه * عج بالعقيق فدمعى يحكيه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

لا تسل عن حديث دمعى لما * ظعن الركب واستقل الفريق

لونته وأمطرته دموعى * جرى منها الوادى وسال العقيق

(وقال) صدر الدين بن عبد الحق

اذكرها الغضا ولذيذ عيش * تقضى بالعقيق دوين سلع

فقالت ما الغضا فأجبت قلبى * وقالت ما العقيق فقلت دمعى

(وأنشدنى) الشيخ تقى الدين بن حجة من قصيدة نبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم

وجزتم بوادى الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ منمنم

ولما روى أخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاء الهوى يتبسم

(ومنها) فى المديح الشريف

فيا ساكنى واد العقيق بأحمد * خواتم خير قد أتت فتختموا

(وهذه) القصيدة كلها غرر فسح الله فى وجود قائلها وانالنا شفاعة ممدوحها صلى الله عليه وسلم وكيف لا تكون غرة وهو القائل فيها

نبى غدا فى جبهة الدهر غرة * بنسبته البيضاء والشرك أدهم

وروضة حسن فى ربيع لنا بدت * ومنبتها البيت العتيق المحرم

له النسب الاعلا فيا مادح الورى * اذا كان مدح فالنسيب المقدم

ويا من غدا فى حب زينب هائما * وكان له عند الرباب ترنم

بحب ابن عبد الله أولى فانه * به يبدا الذكر الجميل ويختم

تأمل ما أحسن هذا التضمين (اليشم واليشب) حجران فضيان وكأنهما قريب بعضه من بعض ويتكونان من أبخرة مقصرة عن كيان الفضة على ما تقدم القول فيما سلف معدنه الذى يتكون فيه كاشغر ومنه يجلب الى البلاد وكاشغر بين الصين وغزنة مسيرة نيف وعشرين يوما من غزنة الى جهة الشمال لسانهم تركى (جيده ورديئه) اليشم نوعان أحدهما أبيض والآخر أصفر كلون العاج العتيق ويقال ان هذا هو الخالص (خواصه ومنافعه) من خواصه فى

نفسه اذا لفت عليه شعرة من شعر الانسان ثم وضع فى النار لم يحترق الشعر وكثير
من المحرفين فى بلاد العجم يحملونه ويفعلون به ذلك ويدعون أنه من شعر النبى
صلى الله عليه وسلم فيوهمون العوام بذلك وبهذه الخاصية يختبر الخالص من
هذا الحجر ممن سواه ومن خواصه ومنافعه أن الصاعقة لا تقع عليه وعلى من
حمله ألبتة وقد أخبرنى ثقات من العجم أنهم شاهدوا ذلك ببلاد العجم حيث تقع
الصواعق كثيرا فبنوا فى القلعة منارة وعلوا فيها هذا الحجر فترى الصواعق نازلة
من السماء تحيد عن موضع الحجر الى سائر الجهات البعيدة عنه ويقال ان من تختم
به قطع عنه كثرة الاحتلام ومن خواصه ما ذكره جالينوس فى الادوية المفردة
انه ينفع من وجع المعدة بالتعليق عليها من خارج (البلور) معدنه الذى يتكون
فيه ما يوجد بتربة العرب بالحجاز الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام
وهو أجوده ومنه ما يؤتى به من الصين وهو دون العربى ومنه ما يكون ببلاد
أفرنجة وهو جيد أيضا ومنه معادن بناحية أرمينية يميل الى الصفرة الزجاجية
كأنه مطبوخ بالنار وقد ظهر منه بهذا التاريخ معدن بالمغرب الاقصى بقربة من
مراكش حاضرة الغرب نقى اللون الا أن فيه تشعيرا وهو كثير عندهم حتى فرش
منه ملك المغرب مجلسا كبيرا أرضا وحيطانا (جيده ورديئه) أجوده أنقاه
وأصفاه وأشفه وأبيضه وأسلمه من التشعير فان كان مع ذلك كبيرا الجرمانية
كان أو غيرآنية كان الغاية فى نوعه قال التيفاشى أخبرت أن تاجرا من تجار
الافرنجة أهدى الى ملك من ملوك المغرب قبة من البلور قطعتين يجلس فيها
أربعة نفر ورأيت منه صورة ديك مخروطا اذا صب فيه الشراب ظهر لونه فى
أظفار الديك ورؤس أجنحته صنعة بلاد الافرنجة ويصنع منه كل عجيب من
الاوانى وقال الكندى ان فى البلور قطعا يخرج فى القطعة منها من المعدن
أكثر من مائة من قال التيفاشى وأخبرنى غير واحد من أهل غزنة بنقل متفق
على صحته أن بالقرب منها بينها وبين كاشغر بسيرة ثلاثة عشر يوما واديا بين جبلى
ذلك الوادى طريق موصل الى كاشغر والجبلان اللذان على الوادى من جهته
بلور خالص يقطع فى الليل لان أشعته اذا طلعت عليه الشمس تمنع العمل فيه
بالنهار ويصنع منه خوابى للماء فى كاشغر وغزنة وأخبرنى من كان متصلا بشهاب
الدين الغورى ملك غزنة أنه رأى فى قصره أربعة خوابى للماء كل خابية تحمل
ثلاث

ثلاث روايا ماء من روايا الجمال جميعها على محامل يصعد منها اليها من بلور كل
واحد من محمل ثلاث قناطير الى أربعة (خواصه فى نفسه) انه يذوب كما يذوب
الزجاج ويقبل الصبغ ومنها أنه يستقبل به الشمس ثم ينظر الى موضع الشعاع
الذى قد خرج من الحجر فيستقبل به خرقة سوداء فتحترق وتوجد فيها النار
(خاصيته) فى منفعته من علق عليه لم ير منام سوء تم ذلك (ذكر القاضى شهاب
الدين) بن فضل الله العمرى فى تاريخه الذى سماه مسالك الابصار أن شخصا
من بعض التجار فى أصناف الجوهر يجهز كل سنة مماليكه وجماعة الى المغاص
ليغوصوا على اللؤلؤ فى الوقت المعتاد وهو فى شهرين فى السنة فاتفق أنه أنفذ
جميع ما ملكه فى ذلك ولم يحصل على طائل ولم يطلع له شئ وافتقر ولم يبق له
ما يجهز به الى المغاص فطلب من امرأته معضدة كانت فى عضدها ذهبا فقالت
له يا هذا تعمل لك بهذه المعضدة حرفة غير ما أنت فيه من اللؤلؤ فقال ما أرجع
عن صنفى ومتجرى وتجهز هو بنفسه فى جماعة الى المغاص فغاصوا له فى الوقت
المعتاد الى اليوم التاسع والخمسين ولم يطلع له شئ الى آخر النهار طلعت درة ما لها
قيمة فأحضروها اليه وقالوا له هذه غصنى على اسم ابليس وقد رد الله عليك جميع
ما أنفقته فاستدعى بحجرين ووضعها بينهما الى ان عدمها وكسرها ثم رمى بها فى
البحر فلامه الحاضرون رفقاءه التجار على ما فعل وقالوا قطعة مثل هذه تقع لك
وما عندك مثلها تعدمها فقال هذه القطعة ما أنتفع بها ولا أجد لها بركة ويجئ
كل من يأتى بعدى يقتدى بفعلى ويغوصون له على اسم ابليس ويبقى على اثم
ذلك الى يوم القيامة اذهبوا وغوصوا على اسم الله عز وجل فأصبحوا تمام
الستين يوما غاصوا له على اسم الله فطلعت لهم الدرة اليتيمة فوجه بها الى الخليفة
ببغداد وهو اذ ذاك المقتدر فابتاعها عليه بثلاثمائة ألف درهم وحسن حاله
ببركة اسم الله عز وجل انتهى ذلك والله أعلم

(الباب الاربعون فى خواص السلاح والكنائن)

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كرب عن السلاح فقال
ما تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فما تقول فى الترس
قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال

فما تقول فى الدرع قال مفشلة للراجل مشغلة للفارس وانها لحصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال له تقول لا أم لك قال الحمى أصرعتنى (القاضى) الفاضل من قصيدة

تمد الى الاعداء منا معاصما * فترجع من ماء الكلى باساور

(وله)

ولرب هاتفة دعتهم للوغى * جعلوا صليل المرهفات صداها
هى فى بحار يديه أمواج ترى * نفوس من قتلته من غرقاها

(العنوى)

كأن على افرنده موج لجة * تعاصر فى حافاته وتجول
كأن عيون الذر كمرن حوله * عيون جراد بينهن دخول
حسام غداة الروح حتى كأنه * من الله فى قبض النفوس رسول

(أبو) العلاء المعرى

ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت نمالا
غراراه لسانا مشرفى * يقول غرائب الموت ارتجالا
يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

(النامى)

ذى مدمع من غير ما مستعبر * وتبسم من ثغره متوالى
وبريك فى لألائه متواقدا * حنق المنون به على الآجال

(وقال) أعلم الرؤساء ابن الصيرفى أبو القاسم على بن منجب من نثره على طريق اللغز يبالغ فى شكره اذا أفسد وبرح ويقبل فى تزكيته شهادة المجرح

(ابن قلاقس)

أسرتهم وشهرتها لجموعهم * مذ أحرمت فى راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت غراره * لكن ذا عضب وذاك منام

(ابن سناء الملك)

له منصل لا ينقضى فرض حجه * فبالضرب لبى وهو بالسل محرما
تنسك الاسلام لما رأيته * يحل له فى الشرع أن يشرب الدما
فكم سل لما سل من بطن غمده * لسان دم من ضربة خلقت فما

(وقال)

(وقال) وجيه الدين بن الدروى

فتقت بأجساد الاسود لواحظا * رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت أفواها على فم العدى * بألسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه * وسال على نور الطلى كالمذائب
وقد نشقت وردا الكلوم صعاده * وما شربت الادماء الترائب

(وله)

سكران من شربه خمر الدماء فان * حياه نور الطلى غنى لها هزجا

(ذو الوزارتين) لسان الدين بن الخطيب الاندلسى

وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال وأوشكت * تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه مورد والشط منه مهدل

(وقال) مجير الدين بن تميم

لما اقتنيت من الصوارم أعوجا * يجرى القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وما حملت اداوة * للماء من تقى بنهر الاعوج

(ابن نباتة)

وصارم كعباب الموج ملتطم * يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا تسقى المنون به * أضحى يشف على حافاته العلق

(الشريف البياضى)

وانا اذا الارواح ذابت مخافة * فتحنا بأشطان الرماح ركاياها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا * خلعنا بحد المشرفية أفواها

(ومن كلام تقى الدين بن حجة) فى معنى سكون الحرب

واعتقل الرمح بسجن السلم بعد أن كان على رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة فى الحد نقص فى المحدود

(وللشيخ برهان الدين القيراطى)

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت * رقاب أعدائهم تلك المناديل

(الغزى وأجاد)

وقد سلب الطعن الاسنة لونها * فعصفر فى اللبات ما كان أزرقا

وأسيافنا في السابغات كأنها * جداول تجري بين زهر تفتقا

(ابن خفاجة)

موسد تحت ظل السيف تحسبه * مستلقيا فوق شاطئ جدول تملا

(الرمح) ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف أنه كان في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائة ألف رمح (ومنه) قال الفضل بن الربيع لما ولي محمد الامير الخلافة في سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني أن أحصي ما في الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة ذكرت الفرش والكسوة في بابها من هذا الكتاب وأما الآلة فعشرة آلاف سيف محلاة بالذهب وخمسون ألفا للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع خاصة محلاة وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة خاصة وثلاثون ألف سرج عامة (القاضي الفاضل)

يقتل حيات الحقود من العدا * بحيات سمر بالاسنة نهشا

وينصبها أن يرتقوا الصعب سلما * ويرسلها ان ينزلوا القلب كالرشا

(وله)

أمنصل الرمح الطويل بكوكب * من ذا يطاعن والسماك سنان

(ابن سناء الملك)

ملوك يحوزون الممالك عنوة * بسمر العوالي أو ببيض القواضب

رماح بأيديهم طوال كأنما * أرادوا بها تثقيب در الكواكب

(ابن قلانس)

وقد كحلت بأميال العوالي * اساة الحرب أحداق الدروع

وشب البأس نيران المواضي * وأسبل غيث أمواه الدموع

فللفرسان من محل ووحل * حديث عن مصيف أو ربيع

(وله)

ومصرف الرمح الطويل سنانه * فتخاله قلما هناك محرفا

حيث العجاجة فوق لامعة الظبي * تثني على الاصباح ليلا مغدفا

فتريك

فتريك طرف النجم منها أكحلا * ومن الطوال السمهرية أوطفا

(ابن النبيه)

والنبل في خلل العجاج كأنه * وابل تتابع في خلال سحائب

لعبت أسنته على أعلامها * فكأنها شهب ذوات ذوائب

(الذروي)

ووراء هاتيك الخيام أهلة * هاماتها نبت الوشيج الاعوج

ارتحت حولهم لزرق أسنة * حتى كأنك في رياض بنفسج

(ابن المنشد) ملغزا فيه

أي شيء يكون مالا وذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر

أسمر القد أزرق السن وصفا * انما قلبه بلاشك أحمر

(الفاضل)

فيا عجبا للملك قر قراره * بمختلفات من قنال الشواجر

طواعن أسرار القلوب نواظر * كأنك قد نصلتها بنواظر

(لسان الدين) محمد بن الخطيب

وبكل أزرق ان شكت ألحاظه * من العيون فبالعجاجة مكحل

متأود أعطافه من نشوة * مما يعل من الدماء وينهل

عجبا له ان النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل

(السيد الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي

غصون بها طير النفوس تنافرت * وعهدي أن الغصن للطير مألف

ولا ورق الا من التبر حولها * ولا زهر الا من النصر يقطف

(وقال) فخر القضاة نصر الله بن بصاقة كتب للناصر دواد بن عيسى ووزر له وجلس معه في صدر الايوان (ومن نظمه ملغزا)

ومعي ثقيل ان أطيل عنانه * مطيع خفيف الكل حين يقصر

ترى منه أمّيا الى الخط ينتمي * ومغرى بغزو الروم وهو مزنر

عجبت له من صامت وهو أجوف * ومن مستطيل الشكل وهو مدور

ومن طاعن في السن ليس بمنحني * ومن أرعن ماعاش وهو موقر

(ابن نباتة السعدي)

ووَلوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
خلقن بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(ذكر الثعالبي) في لطائف المعارف أن أول من عمل له سنان من حديد ذو يزن الحميري واليه نسبت الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصي البقر (قلت) قد كان رسم لجماعة من الفضلاء بالمملكة الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وأن تكون البيوت أربعة وذلك برسم المقر العالي الطنبغا الجوباني كافل الشام المحروس رحمه الله تعالى فنظم سيدنا المقر المرحوم الشهير بابن الشهيد فتح الدين رحمه الله تعالى

اذا الغبار علا في الجو عثيره * فأظلم الجو ما للشمس انوار
هذا سناني نجم يستضاء به * كأنه علم في رأسه نار
والسيف ان نام ملء الجفن في غلق * فانني بارز للحرب خطار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

(وأنشدني) القاضي المرحوم أمين الدين محمد الانصاري لنفسه وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة

عروس سناني حين يجلى على العدا * وتظهر تبدي ما لهم من بواطن
وقد صيغ من هم فبين صدورهم * مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غبن الموتهم * بطعني ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجور فيّ وعدلوا * فاني قد بينت فيهم مطاعني

(ونظم) سيدنا القاضي صدر الدين علي بن الحنفي الآدمي رحمه الله وأنشدنيها من لفظه وهي من مبادئ نظمه

النصر مقرون بضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد * وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض في الهيجاء اذ * يحمر من دمه العدو الازرق
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

(ونظم) الشيخ شمس الدين محمد بن بركة الرئيس وأنشدنيها من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى

أنا أسمر والراية البيضاء لي * لا للسيوف وسل من الشجعان

لم

لم يحل لي عيش العداة لانني * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تغالت الكماة بجحفل * كلمتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوبان

(لو قال) كلمت كلا منهم بلسان * لكان أحسن (الشيء) يذكر بلوازمه نقلت من مجموعة بخط بعض الافاضل أن بعض الامراء بالاندلس وأظنه المنصور بن عامر رحمه الله كان اذا قصد غزوة عقد لواءه بجامع قرطبة ويجعل مسيره الى الغزوة من الجامع فاتفق أنه في بعض حركاته للغزوات توجه الى الجامع لعقد اللواء واجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبددعليها الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقام رجل وقال أبشر يا أمير المؤمنين بغزوة هينة وغنيمة سارة قد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن ذلك المنصور واستبشر وكانت تلك الوجهة من أبرك غزواته (وما أظرف) وألطف قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل متغزلا

كم قال معاطفي حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
فالآن أوامري عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

(ابن تميم)

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى * في موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف القيرواني)

وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجى * فبات بأطراف الاسنة شائبا

(القوس) حدث العتبي عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة فأتي بأعرابي كان معروفا بالشرف فقال له أخبرني عن بعض عجائبك قال عجائبي كثيرة ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يسبق وكان لي خيل لا تلحق فكنت أخرج محاربا فخرجت فاحترشت ضبا فعلقته على قبتي ثم لا أرجع خائبا فمررت بخباء ليس فيه الا عجوز وليس معها غيرها فقلت يجب ان تكون لها رائحة من غنم وابل فلما أمسيت اذا أنا بابل مائة فيها شيخ عظيم البطن شثن الكفين ومعه عبد أسود فلما رآني رحب بي ثم قام الى ناقة فحلبها

وناولنى العلبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقى فضرب به جبهته
ثم حلب تسع أنيق فشرب ألبانهن ثم نحر حوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضاء
ثم جثى على كومة من بطحاء وتوسدها ثم غط غطيط البكر فقلت والله هذه
الغنيمة الباردة ثم قمت الى فحل ابله فخطمته ثم قرنته ببعيرى وصحت به
فأتبعنى واتبعته الابل أرباً كأنها فى قطار فصارت خلفى كأنها حبل ممدود
فمضيت أبادر ثنية بينى وبينها مسيرة ليلة للمسرع فلم أزل أضرب بعيرى مرة
بيدى ومرة برجلى حتى طلع الفجر فأبصرت الثنية فاذا عليها شئ أسود فلما دنوت
اذا الشيخ قاعد وقوسه فى حجره فقال أضيفنا قلت نعم قال أتسخو بنفسك
عن هذه الابل قلت لا فأخرج سهما كأنما نصله لسان كلب ثم قال أبصره
بين اذنى الظبى المعلق من القتبه فرماه فصدع عظمه من دماغه ثم قال ماتقول
قلت أنا على رأيى الاول ثم قال أبصر هذا السهم الثانى فى فقارة ظهره الوسطى
ثم رمى فكأنما غرسها فيه ثم قال مارأيك قلت أحب أن أستثبت قال انظر
هذا السهم الثالث فى علوة ذنبه والرابع والله فى بطنك ثم رماه فلم يخطئ
العكوة قلت أنزل آمنا قال نعم ثم دفعت اليه خطام فحله وقلت هذه ابلك
لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى ترمينى بسهم تقصد به قلبى فلما تباعدت قال
أقبل فأقبلت والله فرقا من شره لا طمعا فى خيره فقال أحسبك ماجئت الليلة
الا من حاجة قلت أجل والله قال فاقرن من هذه الابل بعيرين وامض لطيتك
فقلت لن والله حتى أخبرك عن نفسك فلا والله مارأيت أعرابيا قط أشد ضرسا
ولا أعدى رجلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك قال
فاستحيى وترك الابل جميعها (قلت) ذكر هذه الحكاية الشيخ جمال الدين بن نباتة
فى شرح العيون بخلاف هذه الالفاظ وان الشيخ المذكور زيد الخيل واسمه
مهلهل * عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يامولانا القمر فى
العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر الى ان ينزل القمر القوس فعزم على
الصبر فبيناهو مفكر اذ دخل مملوك كان له من أحسن الناس وجها يقال له
ايدغدى فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال بعض الحاضرين يامولانا
اركب الساعة فهذا القمر فى القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا
فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (الشهاب الاعزازى) ملغزا

فيها

فيها وفى النشاب

ماعجوز كبيرة بلغت عمرا وتنقيها الرجال
قد علا جسمها اصفار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال
ولها فى البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال
وأراها لم يشبهوها ففى الام * اعوجاج وفى البنين اعتدال

(المحلى) ملغزا

وما اسم تراه فى البروج وانما * يحل به المريخ دون الكواكب
اذا قدر البارى عليه مصيبة * عدته وحلت فى صدور الكتائب

(بدر الدين) بن الصاحب ملغزا

لله مملوك اذا * ماقام فى الشغل اعترض
لكنه فى لحظه * محصل لك الغرض

(أيدمر يرثى سهما انكسر)

ياسهم هاج رداك لى بلبالا * وأطار نومى والهموم أطالا
مذ نبت مازاع الحمام حمامه * يوما ولا علق المنون غزالا
ولطال ماشوشت من سرب المها * الفا ومن سطر الكراكى دالا
قد كنت أعجب للقسى سقيمة * صفرا كأنهن ثكالا
فاذا بها علمانيومك فى الردى * كانت عليك تكابد الاهوالا
عجبا من الآجال كيف تقسمت * فيه وكان يقسم الآجالا

(وقال) الامام كمال الدين اسمعيل بن جمال الدين عبد الرزاق الاصفهانى
رحمه الله ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناله فى
الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حكيم جبل على السداد يهدى
الى سبل الرشاد آثار بأسه مشهورة على ذرى الاعواد بطشه شديد ومرماه
بعيد أيد فى مغزاه بالتعقيب يأخذ فى التشريق بعد التغريب فشد بكل
شديد الاغارة أسره وسد الى كل مشبوح الذراعين نصره فأنفذ رسله تترى
شفعا ووترا فطير برده الى الاطراف بنوع من الاستعطاف وأثبت مافى
ضميره فى القرطاس اظهارا للباس وانذارا للناس وأغرق قوس عزائمه فى
الركض وحرم على جنبه القرار فى الارض فأعين بقوة جمع بها بين اليدين

ثم قبض فى البين عند ملتقى الحدين وكان من دعائه فى انحنائه رب اشرح لى
صدرى واشدد أزرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى وأخى أفصح منى
لسانا فارسله معى واشركه فى أمرى نعم ويسألونك عن الأهله صفرا من غير عله
حنانة حنت ولا تهنت حية اذا انطلقت ارجحنت مرنان لا عن مرض يشهب
الى غرض هلال يطلع بحلول الاجل المضروب استهلاله دليل الوقائع
والحروب مجرة تنقض منها نجوم الرجوم برج ذو جسدين يطلع بالطائر الميشوم
ثابت يقارن السيارات واقع ينهض من وكره الطيارات ذات الحبك
لا تراجع كواكبها برج معوج الضلوع تغور فى أسرع زمان غواربها
مغنى أحكمت مبانيه ورفعت مجانيه حائطه مائل وعماده زائل لا يقوم
مناده ولم ينقص وكاده نبا نبا بساكنه فترحل منه وبيت أزعج نازله فتحول
عنه رباط موقوف على المماره لا تلبث فيه السياره بيت منزحف ينفر عنه
الطبع السليم وينفر عنه النبع المستقيم محل النزاع ينظر فيه عند المجادله
متحرف للقتال يولى الظهر عند المقاتله سورة محكمة ذكر فيها القتال
يتمسك به أصحاب الجدال شديد القوى ذو مره يواتر بين رسله من غير فتره
منى بذات الجنب يقلقه انبعاث مرته لا يسكن الا اذا دسع بجربته شيطان تطلع
شمس النصرة من قرنيه مارد لا يسكن الا بتعريك أذنيه صورة مركبة ليس
لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم اضلاع
على الوتر تطوى أكاد تحن الى القدم من الطوى مستأسر شدت الى العقب
أذقانه يضيق صدره ولا ينطلق لسانه بطل شد حيازيمه للموت ويجزع
من خوف الفوت بأعلى الصوت مقدام من بنى الاصفر قدم فى دار الحرب
وشد عليه الوثاق حتى شكا ضيق الخناق وجرى عليه سهم الاسترقاق فصار
ملك اليمين باستحقاق ولا غرو أن مال الى أصحاب الشمال فهو فرع أصله
ضال متكبر يأبى السجود للبشر فى صلبه مثل صياصى البقر مغشى عليه
جمع الى الاصفرار نحولا وحنينا فقبض وكان فى النزع حينا مطية تخالف
سائر الانعام قيامها باليد وقيامهن بالاقدام وكلما كانت أثبت على المقام
كان راكبها أقرب الى بلوغ المرام مضيرة يمتطيها الراكب اذا كانت معقوله
وينزل عنها اذا أرسلت محلوله أعوجى يشتد فى مراكض السباق أعجمى
يلوى

يلوى الاشداق شاكية تودع شفرا لا تعود عقيلة تحن الى زوج من وده عاتكة
شبقى شديدة العرامه أعجب بها حدباء مديدة القامه عنقاء تزف افراخ النسور
تزيد فى مرتبتها الدهور سلس القياد صعب الى ذى مره غير مستوى مقبوض
جمع البارى عظامه فصوره وأحسن نظامه فقامت عليه القيمة الف ونون
جمعا للتثنية لا يرميه أهل القياس بالتخطئة بل بالف قارون نون مشددة فاذا
حركته أن واذا تركته اطمأن حرف اذا رفع نصب للجر ولا يستعمل جزما
بعدما دخله الكسر وحرف آخره معطوف عليه ومجرور بالاضافة اليه حرف
أدغم فيه غيره بتسكين وجعل منه تشديد وتنوين هيئته شبه علامة اذا عطلت
وتشاكل الياء اذا استعملت ذو نيرب مشاء بنميم عتل على الجفاء مقيم مغرق
ينتكب على موارد المياه معرق عند دعوى النسب والانتماء وأخوه دعى به
لاحق عيص ألف وتبعه مطورة يمنى اذا اتصل الدعى اللاصق مقيد يحمل
عليه المطلق طويل العنق من حبل عاتقه معلق خفيف الرأس يميل الى كل
طياش عارى المناكب فى حبالته ذوات الرياش نحيف يرى أثر المحاجم
بظهره يتهم لقصد غيره أجش يرفع صوته بين الرماه بارز يفت فى أعضاد
الكماه لا مرماته ادرك الرقاه وتنكب عن مراشقك الرماه كان شظيته من
فرع ايك تسنمها النسور الطاويات أعجوبة جمعت بين أضدادها تمنعا فى خضوع
واباء فى خشوع وتعطفا فى قساوه وصلابة فى رخاوه اشباه أعناق الجمال
طابقها زمامها أضلاع انضاء توسطها سنامها كأن قرنيه صل انسلخ من اهابه
فخلع عليه بعض ثيابه مضمار جمع بين الانسى والوحشى عاطل يرفل فى اللباس
موشى وثنوى يغشى النار ولا يخشى العار موتور نشر أذنيه لدرك الثار موتر
أخذ فى الركوع وهو قائم خميص البطن يبتلع ذراعا وهو صائم محدوب بلغ
قاب قوسين فى الارتياض متقشف ابلى طمريه فى التذلل والانخفاض منقبض
جمع للانزواء أطرافه مرابط يهز عند اللقاء أعطافه متحرج يعض على ناجذ
التصبر فى الشدة والرخاوه من صاحبه طرفة عين مشى على الهواء فقتل فى
نون التقم مرسلا فنبذه بالعراء راكع أواه يشكو وزره الذى أنقض ظهره
معطوف على من مد اليه يد الاجتذاب فقول ولو أن السيف جواب مجرم ألزم
طائره فى عنقه وعرض على النار لسوء خلقه وسوف يؤخذ بالنواصى والاقدام

ويجزى بما تحمله من الاوزار والحطام ويستنطق جلوده قسرا وقهرا فينطق بما يخفيه جهرا وأنى له التناوش من مكان بعيد وقد تمكن من حوزقبته من هو أقرب اليه من حبل الوريد ناحل ألصق بطنه بظهره حتى بدت للناظرين ذات صدره وغارت كلاه فى خصره لاستيلاء قوته الدافعة الهالكه على قوتيه الجاذبة والماسكه وانقطاع حبل وريده عن شريانه وتجافى جنبه عن مصرانه ثعبان اذا أنشط من عقاله أمن الناس عادية أفعاله جوح يعثر بالراكب معرقب تحمله المناكب ضرس شرس يتمطى ويتثاوب لتمدد أعضائه متجرد يستظهر ويدل بأولاده وأعقابه ظرف مظر وفه يخالف الظرف هذا لا يقبل العدل وذا لا يقبل الصرف هيفاء متنها مجدول وفرعها مفتول خصرها دقيق وقدها رشيق قوية العلياء محطوطة المطاه ناشرة اكادها قب الكلى يضمها صاحبها الى الصدر فتنكب عنه وتزور مزاوج مطلاق يودع صاحبه عند الاعتناق مكاف خلق فى كبد طموح لا يذعن الامان عنده مديد مقبوض يقارب السريع ويفارقه عند التقطيع صحيح معلول ممدود فى العرض مقصور فى الطول قرناه أحصنت فرجها وأبعدت من نفسها زوجها محب ذو أناة تعود وأراد البنات غيور اذ الاقى بشاته الاتراب زوى حاجبه للاضراب فيمسكه على هون أم يدسه فى التراب عرق من عروق الشريان اذا جسته البنان ينبض وله ضربان قوسه حين دائرة السوء يحيط بالاعداء متعصب ينشط للمنازعة بعد الاغراء دهرى أتى عليه قرن بعد قرن فانحنى مطاه لا ينتصب الا وعلى اليد متكاه وينشد اذا فتح فاه

سلبت عظامى لحمها وتركتها * مجردة تخطى لديك وتحضر
خذى بيدى ثم اكشفى الثوب تنظرى * ضنا جسدى لكننى أتستر

عظامى اذا انقسب عصاى اذا انتصب مكاشح أولع بضرب غيره وربما رد كيده فى نحره محدب يظهر الحنو ويضمر السوء من عصبته هى بالقوة بنو مياله الاعطاف تسند العود الى صدرها وتمكنه بين سحرها ونحرها وتدنى من الاسماع أوتارها فيضرب بها فتغنى فتفشى أسرارها قرنان يسمع بأزواجه على الاعداء ويقذف بنات صلبه بالنكراء غليظ الكبد يجفو أفلاذ كبده ويشمئز من تحمل أعباء ولده فينفيه عن حجره ثم يحن على أثره فقيل له يا هذا

أسوقا

أسوقا وشوقا أجمعا

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن ان تأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا

مشاجر مشهر النسب يطاوع من عدا اليه بسبب غدق يثمر الشوك دون الرطب منحنى الظهر حمله الحطب وثيقة جامعة لاسباب اللزوم والاحكام عرية عن النواقص مطوية على النفوذ والانبرام يتشبث بها عند الخطام متمرد كلما قيد الاستسلام بأسبابه نكص وارتد على أعقابه أمين غير مأمون على الودائع وكلما استودعته فهو ضائع ظلوم يقبل الامانة بجهله ويؤدى ما قبل الى غير أهله نافذ الامر ليس يعادل ثانى عطفه ليجادل مكبود يعالج بالكى مطالب يدافع باللى مسدد غير سديد جمع بين المد والتشديد قاتل له فى سهم الفرائض نصيب يأخذ ما يأخذ بالتعصيب معشش أفراخ العقاب صرت عليه رجل الغراب متجاد لا يتضعضع لريب الدهر ولو رمى بقاصمة الظهر يداهمنى فى مكابدة الشدائد ويسعد فى التحنن على الاولاد والولائد

لنا كل يوم رنة خلف ذاهب * ومستهلك بين النوى والنوائب
وقلعة اخوان كأنا وراءهم * نرامق أعجاز النجوم الغوارب

منحنى الظهر يتوكأ على العصا فيلقيها فاذا هى حية تسعى مجاهد يرجى دهره بين شدة ورخاء وكد واستراحه ولين ووقاحه وقبض وسماحه وهو بين ولى تظاهر وعدو مجاهر جذوب يميل الى من يجذب بضبعه وينازع من خالفه بطبعه وان نحت من نبعه مقيت اذا أتاه ابن السبيل فاغرا فاه أطعمه من عنده ثم ضرب قفاه وأبعده ونفاه جانية مختضبة سليطة درية عارية كأنها أفعى جاريه رقيق فيه شدة بليد فيه حدة فاتك تأبط شرا ملاعب الاسنة يقتل صبرا متلف مخاف وهاب لا يملك سخى بما ملك لذى اليدين بذول كأنما عناه من يقول يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما محاكم يعاضد ذا اليدين على صاحب الرقبه مسترسل لا يبالى باقتحام العقبه حاجب غمرات المحافظه كالعين تدخل الرجل القبر مبذر يده مغلولة الى عنقه للحجر كوماء معقوله هو جاء مغلوله حاجب مقرون لا يوجد مثله فى القرون كالحية

الرقشاء مـهالين وخطبها غيرهين نائم العين بصره حـديد كالجمل الانف ينقاد اذا قيد شاحب محقوقف سائق لا يستوقف بطل شدّ للموت حيازيمه وشهد للقاء العدو غرار العزيمه طائفة تنبو عن سرعة الاصحاب كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب (ومن آخر رسالة القوس) للشيخ كمال الدين الاصفهاني شيخنا زين الدين بن العجمي محاجيا في لامة

يا سـيد الجاه * سر المحاجاة يكشف
ما مثل قول المحاجي * للنهي والامر بالكف

(ومن انشاء القاضي محيي الدين) بن عبد الظاهر ومن الجواشن حسنه القسامي والقسامت لا يرى في خلق سمائها من تفاوت قد رفع بعضها فوق بعض درجات وبنيت أسوارا لحفظ المهجات قد زينت سماؤها بزينة الكواكب وفاق غمامها المتراكم ورواق موجها المتراكب كم أحسنت دفاع البؤس عن النفوس عـدة ووقوع وكم حنت حين حنيت أضالعها على الضلوع كم دخلت جنة جنتها بسلام وكم بدت كانها طلع نضيد ولا عجب فانها ذوات الاكمام (كتب) الى الجناب الجدي فيما ينقش على طير

لئن لحت طورا كالهلال شكاله * فلي من غبار النقع يا صاحبي سما
فان لحت مثل البرق في ساعة الوغى * فعما قليـل بعـده تمطر الدما

(وله فيه)

ألا انظر الى شكلي واتقان صنعتي * وروح عن بديع الحسن عني مخبرا
طلعت هـلالا في سما النقع نيرا * بتقصير أعمار البغاة مبشرا

(الباب الحادي والاربعون في الكتب وجمعها وفضل اتخاذها ونفعها)

قال ابن الخشاب ملغزا فيها

وذي أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
يناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها مادمت بالعين تنظر

(وقال أبو زيد الدبوسي)

اذا ما خلا الناس في دورهم * بزهر الندامى وعز الصحاب
وأكل الطعام وشرب المدام * وتم السرور بخود كعاب

خلوت

خلوت وصحبي كتب العلوم * فكان الانيس لقلبي كتابي
ودرس العلوم شراب العقول * فطوفوا علي بذاك الشراب
ومن كان في دهره جامعا * سوى العلم جمعه للذهاب

(أبو النصر الفارابي)

لما رأيت الزمان نكسا * وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صـداع
لزمت بيتي وصنت عرضا * به من العـز اقتنـاع
أشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى * ومن قراقيرها سماع
وأجتني من حديث قوم * قـد اقفرت منهم البقاع

(غيره)

وماشغفي بالكتب الا لانها * تسامرني من غير عي ولا ضجر
وأحسن من ذا أنها في صحابتي * تخفف تكليفي وتقنع بالنظر

(ابن نباتة)

لله مجموع له رونق * كرونق الحباب في عقـدها
كادت مجاميع الورى عنده * تموت بالهيبـة في جلدها

(قال) الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علما وحشي ظرفا وأناء شحن مزاحا وجدا ان شئت كان أعيى من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان بن وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت أشجتك مواعظه والكتاب نعم الظهر والعده والكنز والعقده ونعم الذخر والعمده ونعم النزهة والنشره ونعم الشغل والحرفه ونعم الانيس ساعة الوحده ونعم المعرفة ببلاد الغربه ونعم القرين في الرحيل ونعم الوزير والنزيل والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك والمستميح الذي سماحته لا تستزيدك وهو يعطيك بالليل طاعته وبالنهار يطالب العطاء ويفيد في السفر كافادته في الحضر (ثم قال) فتى رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الاحيا ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبساكت ناطق وحار بارد ومن لك بطبيب أعرابي

ويروى هندى (قال) وسمعت حسن اللؤلؤى يقول عمرت أربعين عاما ولابت ولا اتكأت الا والكتاب موضوع على صدرى وكان يقال انفاق الفضة على كتب الآداب يخلف عليك ذهاب الالباب (وقرأ) أبوالحسن بن طباطبا فى بعض الكتب الكتب حصون العقلاء اليها يلجأون وبساعتهم فيها يتنزهون (وقال) بديع الزمان الهمدانى مارأيت جارا أبر ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية ولا أقل خيانة ولا أزهد فى مال ولا أكف عن قتال من كتاب (وقال) الزمخشرى مارأيت قرينا أحسن موافاة ولا أعجل مكافاة ولا أخص معرفة ولا أخف مؤنة ولا أطول عمرا ولا أجمع أمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى من كتاب (وكتب) ابن نباتة الى بعض الاجلاء يستعيد كتابا فى عاريته ويسأل ارسال الكتاب الذى أشرقت بمولانا حروفه وأينعت فى الاوراق قطوفه واصبح لفظه الباسم كما قال العباس يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى وقد عزم المملوك على السفر حيث يجلى صدأ الغياهب ويتسلم الغرب وديعة الشرق من در الكواكب ويسحب ذيل الفجر المجرور ويتلو لسانه على الافق سورة النور والله تعالى الخليفة على مجد مولانا الغريب وفضله القريب وشخصه الذى لولاه فى هذا البلد لم يلف بها غريب (وكتب) لشخص أهدى كتابا فى فضائل الاعمال يقبل الباسطة لازالت بادية الاجمال وافية الكرم على مافى الآمال هادية مهدية بما أولته من فضائل الاقوال وفضائل الاعمال وينهى وروده كتابيه اللذين ملآ بأكبر يديه وبالنور قلبه وعينيه ونعماه نظرا وسمعا وأرياه القمرين فى وقت معا فلله مكاتبته التى جنت نسماتها السحريه وغازلت عيون فضائلها السحريه وتضوعت حتى أرخصت الغوالى بنفحاتها الشحريه تركت والحسن يأخذه يتثنى منه وينتحب ولله كتابه الذى جمع الاعجاز والاعجاب وجالس المملوك فكأنه المعنى بقول أبى الطيب وخير جليس فى الانام كتاب ما أبهج عقوده المتسقه وما أحسن ماتدخل النواظر مذبا من أبوابه المتفرقه وما أجمع فصوله لحسن واحسان وما أطيب أحاديثه عن جنان الخلد اذ طابت الاحاديث عن جنان لقد أضاء حتى حسبه مشارق الانوار وتأمله فاذا عجائب الحسن من نفسه وطرسه فى ليل ونهار وغنى فهو للطرف معنى وتلمح من فنون أفنانه

الجنة

الجنة صورة ومعنى فهذه الاسطر المبدعة أشجارها وهذه الالفاظ المتنوعة أزهارها وهذه الثمرات المرتفعة اطيارها وهذه الطروس المترقرقة بين السطور أنهارها وما كان المملوك قبله يحسب ان جنة تهدى فى أوراق ولا أن حديقة تسير على البعد فتعرض على أحداق فشكر الله لمولانا هذه المنن الباهره ونفع بهداياه التى تجمع للاولياء بين خيرى الدنيا والآخره (استعار) الصنعانى كتابا سفينة من صاحب له فكتب اليه لما ردها على معيرها رأيت السفينة مشحونة علوما وصاحبها الحبر بحرا وكان من الرأى رد اليه سفينته فهى بالبحر أحرى (وعلى ذكر المجموع) فما أحسن قول الحكيم موفق الدين المعروف بالورن

لله أيامنا والشمل منتظم * نظم به خاطر التفريق ماشعرا
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

(ابن الوردى) فى شخص أخذ له كتابا ولم يرده

اذا لم يرد فلان الكتاب * ودافعنى عنه بالباطل
ندبت له قاضيا فاضلا * وخلصت حقى بالفاضل

(ابن نباتة) مع كتاب أهداه

أرسلته نعم الجليس * اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * أبدا ويقنع بالنظر

وخير جليس فى الانام كتاب هو النديم الكريم والخدن الامين البرىء من الذنوب السليم من العيوب الذى ان أدنيته لم يباعدك وان أقصيته لم يعاودك وان واصلته جد ته وان هاجرته أمنته وان استنطقته أسمعك وان استكفيته أقنعك وان استكففته كف وان استثقلته خف وان دعوته لباك وان استعفيته أعفاك لايعصى لك أمرا ولا يحملك اصرا عرضك معه وافر وهو لسرك غير ناشر أنيق المنظر طيب المخبر جميل المشاهد كثير المحامد علاء العيون قره والنفوس مسره يضحك الحزين اللهف ويلهى الغضبان الاسف يجتلب السرور ويشرح الصدور يطرد الهموم والاحزان وينفى بواعث الاشجان مجاورته أحسن مجاوره ومسامرته أحلى مسامره ومجالسته أنفع مجالسه ومؤانسته أمتع مؤانسه فيه مدعاة الى الطرب ومسلاة من

الوصب وتعلة لذى الغرام وتلهية لقلب المستهام وأنس للمستوحش ورى للمتعطش وعمارة للمجالس وحلية للمؤانس تلقى القلوب محبتها عليه وتميل النفوس بكليتها اليه ليس بينه وبين حبات القلوب حجاب ولا يغلق بينه وبين سويدا واتها باب (كتب) شيخنا زين الدين بن العجمى على مناسك قاضى القضاة بن جماعة

ألفت يا أزكى الورى مناسكا * فقت بها من قبلكا
قد وضحت لكل سار بهجة * ولم تدع للناقدين مدركا
وقد تلت أحكامها على الورى * لكل أمة جعلنا منسكا

(الديوان) الاصل الذى يرجع اليه ويعمل بما فيه قال ابن عباس اذا سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب أى أصله ويقال دوّن هذا أى أثبته واجعله أصلا وزعم بعضهم أن أصله أعجمى وذكره سيبويه فى كتابه وقال ان أصله دوّان (الدفتر) عربى لا يعلم له اشتقاق وحكى دفتر بالكسر ويقال أيضا تفتر وأما الكراسة فمعناها الكتب المضمومة بعضها الى بعض والورق الذى الصق بعضه الى بعض مشتق من قولهم رسم مكرسى اذا ألصقت الريح التراب به كما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم وأعرفه مبلسا

ابليس تحير ولم تكن له حجة وقال الخليل بن أحمد الكراسة من الكتب مأخوذة من أكراس الغنم وهى أن تبول فى الموضع شيأ بعد شئ فيتلبد (شمس الدين العفيف) كان عنده مجموع فطلبه منه بعض الرؤساء فأرسل اليه وكتب معه

يا أيها الصدر الذى وجه العلا * منه يزان بمنظره طبوع
لا تعتقد قلبى بحبك وحده * ها قد بعثت لسيدى مجموعى

(اجتمع) لسيف الدولة بن حمدان مالم يجتمع لغيره من الملوك كان خطيبه بن نباتة الفارقى ومعلمه ابن خالويه ومطربه الفارابى وطباخه كشاجم وخزان كتبه الخالديان والصنوبرى ومداحه المتنبى والسلامى والوأواء الدمشقى والسفاه والنامى وابن نباتة السعدى والصنبوبرى وغير ذلك (قال مجير الدين بن تميم) فيما يكتب على خزانة كتب

انظر الىّ ترى فى صورتى عجبا * شخصا حوى العلم فى صدر من الخشب

وفيه

وفيه من كل فن غير أن له * وجدا يميل به شوقا الى الادب

(وله)

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها * وطالما قد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت فى جمعها فكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

(ولبعضهم)

ان مجموعى البديع لحلى * قد تنقيت دره المختارا
واذا لم أعره ليس بعجيب * شغل الحلى أهله أن يعارا

(قلت) ولا بأس بايراد نبذة من التورية بأسماء الكتب فمن ذلك قول بعضهم

يا سائلى من بعدهم من حالتى * ترك الجواب جواب هذى المسئله
حالى اذا حدثت لا لمعاولا * جملا لا يضاحى لها من تكمله
عبد حوى بدر الفصيح منكدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فيرتجى * اصلاحه والعين سحب مثقله

(ومنه) للشيخ أبى عبد الله بن جابر المغربى نزيل دمشق المحروسة

عرائس مدحى كم أتين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الاكفا
نوادر آدابى ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها من المشارق للعلى * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى * لانت أمرين حاصل الوجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس للثعالبى والنوادر لابى على القالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض ولغيره والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور كتاب لم يصنف مثله فى فنه والرسالة لابن أبى زيد ولغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاش وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابى اسحق ولغيره ومنتهى السؤال لابن الحاجب والمحصول للامام والغاية

للنووى ولغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى ولغيره ثم ذلك
(ذو الوزارتين) لسان الدين بن الخطيب

ولما رأت عزمى حثيثا على السرى * وقد رابها صبرى على موقف البين
أتت بصحاح الجوهرى عيونها * فعارضت من دمعى بمختصر العين

(ولما أنشدتهما) لشيخنا العلامة أقضى القضاة بدر الدين الدمامينى أسبغ الله
ظلاله أنشدنى ولم يسم قائله

فى نصف الاستذكار أعطيته * مختصر العين فأرضاه

(قلت) هما لابن شعيب المغربى والاول منهما

وبائع للكتب يبتاعها * بأرخص السعر وأغلاه

(مأمون) بن مأمون خوارزم سمع يقول همتى كتاب أنظر فيه وحبيب أنظر
اليه وكريم أنظر اليه (نادرة) مر العلم بن الصاحب بن شكر المعروف
بالاجوبة على بعض الاكابر من المصريين ومعه كتاب مجلد فقال له ياشيخ العلم
أرنى أنظر فى كتابك هذا فقال لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب (استعار)
الصدر تاج الدين أحمد بن سعيد بن الاثير الكاتب مجموعا من مجاهد الدين
ابن شقير وأطال مطله فاتفق أن حضر يوما الى ديوان المكاتبات فقال ابن
الاثير كيف أنت يا مجاهد الدين والله قلبى عندك وخاطرى عليك فقال وأنا
والله مجموعى عندك فطرب لها الحاضرون (قال الفاضل) كل كراسة لا يحزم
أنفها ولا يكون الجلد دفها عرضة للضياع ومامكانها من الخزانة الا مسترق
الوداع (الصفدى)

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهر بمخلد
اذا نظرت كتبى الجديدة جلده * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

(كتب) سيدى وأخى القاضى شهاب الدين بن حجر سامحه الله على جزأى
تذكرتى التى سميتها ثمرات الاوراق

نظرت لماسطرته من مجامع * لها الفضل اذ اراقت محاسنها تعزى
وقد لذ منها ما كتبت بخاطرى * ولم يكف طرفى منه جزء ولا أجزا

(ابن نباتة)

رب مليح رأى كتابا * فقال ماهذا المليح عندك

فقلت

فقلت فى الحال يا كتابى * غيب والا سلخت جلدك

(ووجدت) على ظهر كتاب هذا البيت

وما الكتب الا كالضيوف وحقها * بأن تتلقى بالقبول وان تقرى

(ابن الوردى) وكتبها على كتاب الشمائل للترمذى

يا أشرف مرسل كريم * ما ألطف هذه الشمائل
من يسمع لفظها تراه * كالغصن مع النسيم مائل

(الباب الثانى والاربعون فى الخيل والدواب ونفعها)

قيل أول من اتخذ الخيل وركبها اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وكان داود
وسليمان عليهما السلام يحبان الخيل وورث سليمان عن أبيه ألف فرس وكان
للنبى صلى الله عليه وسلم فرس يقال له السكب (نادرة) كانت مغنية عند
رجل فلما أرادت الانصراف قال اسرجوا لها الاشهب فقالت لا أريده هو شئ
الى خلف قال اسرجوا لها ما تقول فى ذنبه الى ناحية بيتكم (القول فى طبائع الفرس)
وانما بدأت به لانه قريب من الاعتدال الخالص وأحسن ذوات الاربع
صورة وأفضل من سائرها وأشبهها بالانسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف
النفس وعلو الهمة وتزعم العرب أنه كان وحشيا وأول من ذلل صعبه
وركبه اسمعيل عليه السلام وهو جنسان عتيق وهو المسمى فرسا وهجين وهو
المسمى برذونا والفرق بينهما أن عظم البرذون أحسن من عظم الفرس وعظم
الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون والبرذون أحمل من الفرس والفرس
أسرع من البرذون والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة ولكل واحد
منهما نفس تليق به وآلات مناسبة له وفى طبع الفرس الزهو والخيلاء والعجب
والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ومن أخلاقه الدالة على كرمه شرف نفسه
ومن شرفها أنه لا يأكل بقية عليق غيره وعلو همته كما حكى المؤرخون أن أشقر
مروان كان سائسه لا يدخل عليه الا باذن يحرك له المخلاة فان حمحم دخل
وان دخل ولم يحمحم شد عليه وناهيك بهذا الخلق فى علو الهمة والانثى من
الخيل ذات شبق شديد ولشدة شبقها تطيع الفحل من غير نوعها ويقال انه متى
اشتد شبقها وقص من عرفها سكن عنها والذكر يشتد به الشبق ويزيد حتى

يؤثر أن يأتي لفرط شهوته وقصوراً لته عن الوفاء بتسكين ما يجد وربما اقتتل الفحلان بسبب الانثى حتى تكون لمن يغلب منهما ويقال ان الاناث تمتلئ في أوان السفاد ريحاً واذا أصابتها هذه الآفة ركض بها ركضاً شديداً متتابعاً ولا يؤخذ بها الى الشرق ولا الى الغرب بل الى الشمال والجنوب حتى يخرج من أرحامها بشئ كما يخرج منه ولا دتها وهى فى زمان السفاد تطأطئ برؤسها وتحرك أذنابها ويسيل من قبلها شئ يشبه المنى غير أنه رقيق واذا تودقت الرمكة فأفرطت وكان بها هزال أو ضعف من علة ولم يمكن أن تبرأ علتها التلك أنزى عليها بغل لانه لا يلحقها وهو يبلغ أقصى شفائها وغاية شهوتها بالذى معه من الطول والغلظ فيسكن ذلك عنها والذكر يكون مع ثلاث أناث وأكثر واذا دنا ذكر آخر من الانثى التى اختارها قاتله وطارده والطمث يعرض للاناث لكنه أقل من طمث النساء والذكر ينزو اذا تمت له سنتان وكذلك الاناث والاناث تحمل أحد عشر شهرا وتضع فى الثانى عشر وهى تضع ولدا واحدا وربما وضعت فى النادر اثنين والذكر ينزو الى تمام أربعين سنة وربما عمر الى تسعين سنة والانثى تأنف من نزو الحمار عليها فاذا أريد ذلك منها أخذت بعرفها فتذل وتستكين وكذلك الفحل يأنف أن ينزو على أخته وعلى أمه ولقد حكى أنه أريد أن يحمل على رمكة ولدها يريدون بذلك العتق فأنف فلما سترت بثوب نزا عليها فلما رفع الثوب ورآها من محضرا ألقى نفسه فى بعض الاودية فهلك والخيل قد ترى الاحلام وتحتلم كبنى آدم وذلك لفرط الشهوة فيها ومتى ضلت الانثى أو هلكت وكان لها فلو أرضعته الاناث وربته واذا لم يكن فيها ما يرضع عطف عليه العواقر وتعاهدنه ولكنه يهلك اذ ليس فيها لبن وربما ضل الفلو عن أمه فرضع من غيرها فاذا فعل ذلك ماتت أمه ويعترى الفرس داء شبيه بالكلب وعلامته استرخا أذنيه الى ناحية عرفه وامتناعه من العلف وليس لهذا الداء علاج الا السكين وفى طبع الفرس أنه لا يشرب الماء الا كدرا حتى أنه يرد الماء وهو صاف فيضرب بيده حتى يكدره ويبين عكره وربما ورد الماء الصافى وهو عطشان فيرى فيه خيالا له ولغيره فيتحاماه ويأباه وذلك لفزعه مما يراه ويوصف بحدة البصر حتى أن بعض المغالين فيه يقول لو أجرى فرس من شوط بعيد فى يوم ضباب واعترضت بين يديه شعرة لتوقف عندها ولم يتعهدها وفى

طبعه أنه اذا وطئ على أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ويخرج الدخان من جلده واذا وطئته الحامل منها أزلقت

(فصل) والعلامات الجامعة للنجابة فى الفرس ما ذكره أيوب بن القرية وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال القصير الثلاث الصافى الثلاث الطويل الثلاث الرحيب الثلاث فقال صفهن فقال أما الثلاث الصافية فالعينان والاديم والحوافر وأما الثلاث القصار فالعسيب والساق والظهر وأما الثلاث الطوال فالانف والعنق والذراع وأما الثلاث الرحبة فالجوف والمنخر والجبهة (ومما قيل) فيه قول عبد الجبار بن حمديس الصقلى

ومجرر فى الارض ذيل عسيبه * حمل الزبرجد منه جسم عقيق
يجرى فلمع البرق فى آثاره * من كثرة الكبوات غير مفيق
ويكاد يجرى سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق

(القول فى طبائع البغل) قال أصحاب الكلام البغل حيوان مركب من الفرس والحمار ومتولد من فسادهما ولما كان ممتزجا بينهما صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل وكذا شحيجه مولد بين نهيق الحمار وصهيل الفرس وقال الجاحظ البغل يخرج بين حيوانين يلدان مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاءهما وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر وهو أطول عمرا من أبويه وأصبر على الافعال من طرفيه كابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال فانه يكون نتاجهما أخبث من البغل وأفسد اعراقا من السبع وأكثر عيوبا من الثعبان وشر الطباع ما تجاذبته الاعراق المتضادة والاخلاق المتعادية والعناصر المتباعدة ويقال ان أول من أنتجها قارون وقيل أفريدون ومن أخلاقه الالف لكل دابة ويذكر بالهداية فى كل طريق يسلكه مرة واحدة ويقول أصحاب الكلام فى الطبائع أن أبوال اناث الابغال تنقية لاجسادها كما تنقى النساء بدم الطمث * ومخائل النجابة فى هذا النوع * قال بعضهم اذا اشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق تجده فى نجابتها مشرقة الهادى تجده فى طباعها مجفرة الجوف تجده فى صدرها والاحسن فى مدحها قول عبد الرحمن بن أبى ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب جوابا لصفوان بن عمرو بن الاهتم وقد أنكر عليه ركوب البغل قال تطأطأت

عن خيلاء الخيل وارتفعت عن ذلة العير وخير الامور أوسطها * ويقال كم في السواج من أسمج الخدين شهير الحدين شؤمه شؤم العناق ويومه شهر لذوات الاعناق راكبه يركب أبدا وطيا وتحسبه وهو يمر مر السحاب بطيا والاناث منها أحمد أثرا ولذلك قيل * عليك بالبغلة دون البغل * فانها جامعة للشمل * مركب قاض وامام عدل * وعالم وسيد وكهل * تصلح للرحل وغير الرحل (وساير) عبد الحميد مروان بن محمد الجعدي على بغلة فقال له طالت صحبة هذه الدابة لك فقال يا أمير المؤمنين من بركة الدواب طول صحبتها فقال صفها فقال همها أمامها وسوطها زمامها وماضربت قط الاظلما (القول في طبائع الحمار الاهلي) قال المتكلمون في طبائع الحيوان ليس في الحيوان شيء ينزو في غير نوعه ويلقح ويأتي فيه شبهه الا الحمار وهو ينزو اذا مضى له ثلاثون شهرا ولا يولد له قبل أن يتم ثلاث سنين ونصف قالوا وهذا النوع صنفان صنف عاس حاس وهو يصلح لحمل الاثقال والآخر لدن دمث أحوى يدس من نفس الفرس فتراه كثير الشغب والحركة بمنزلة النار المتوقدة التي لا يهدأ اضطرابها فهذا يصلح أن يرفه للركوب في قضاء الاوطار والحاجات وأجود الحمر المصرية وأهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها لما يجدونه من الفراهة وسرعة الحصر والنجابة ويبالغون في أثمانها بحسب فراهيتها حتى بيع منها في بعض السنين حمار بمائة دينار وعشرة دنانير كان صاحبه يسمع أذان المغرب بالقاهرة فيركب ويسوقه فيلحقها بمصر وبينهما ثلاث أميال ومن عادة الحمار أنه اذا شم رائحة الاسد رمى بنفسه عليه من شدة خوفه له يريد بذلك الفرار منه قال حبيب ابن أوس الطائي في أبيات يخاطب بها عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه حيث يقول

أقدمت ويلك من هجوي على خطر * كالعير يقدم من خوف على الاسد

ويوصف بالهداية لانه لا يضل عن طريق سلكه ولو مرة واحدة ولا يخطئه فان ضل راكبه هداه الى طريق وحمله على المحجة وربما غاب عن الموضع الذي كان فيه السنين العديدة فاذا مر بالزقاق الذي فيه الموضع دخله وربما سرق فتكون معرفته للموضع عونا لصاحبه على معرفة من سرقه ويوصف بحدة حاسة السمع بحيث انه ينذر راكبه بما يتوقع خوفه فيحذر منه وان بعد مثواه وهذا

الحيوان يحس بالبرد ويؤذيه أكثر من غيره ولهذا لا يوجد في بلاد موغلة في الشمال وبلاد الصقالبة ويعتريه داء الدماغ كالزكام يعرض له البرد في دماغه ويسيل من منخره بلغم كثير حار فان انحط الى الرئة مات والطريف العجيب انه اذا نهق أضر بالكلب حتى يقال ان أهون نهيقه يحدث بالكلب مغصا فاذلك يطول نباحه (طريفتان) رأيت أن لا أتركهما لانهما أعجوبتان احداهما أني ركبت حمارا من مصر الى القاهرة فلما كنت في أثناء الطريق حاد بي عن السكة فجهدت أن أرده فلم أطق حتى انتهى الى جدار بستان فوقف وبال وعاد الى الطريق وكذا جرى لي مع حمارين آخرين والاخرى انه كان عندنا رجل بمصر يضرب حلقة على حمار قد علمه وكان يجمع له عدة مناديل من المتفرجين عليه ويلقيها على ظهره ويأمره بان يعطي كل منديل لصاحبه فيدور في الحلقة ولا يقف الا على من له في ظهره منديل فان أخذه ذهب عنه وان أخذ غيره لا يذهب ولو ضربه مائة ضربة ويأخذ الخاتم من أصبع الرجل ويسأله عن وزنه ويقول له كم وزن الخاتم فان كان وزنه درهما مشى خطوة واحدة وان كان درهما ونصفا مشى خطوة ونصفا وان كان أكثر من ذلك فبحسابه وبينما هو واقف اذ قال له شخص الوالي يسخر الحمير فما تم كلامه الا وقد ألقى بنفسه على الارض ونفخ بطنه وقطع نفسه كأنه ميت منذ زمان ثم قال له بعد ذلك ما بقيت سخرة فنهض قائما ذكر ذلك صاحب المباهج (ما قيل فيه من الاوصاف) قال أبو العيناء لبعض سماسرة الحمير اشتر لي حمارا لا بالطويل اللاحق ولا بالقصير اللاصق ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السواري ولا يدخل بي تحت البواري ان أكثرت علفه شكر وان أقللته صبر ان ركبته هام وان ركبه غيري نام فقال له ان مسخ الله بعض قضاتنا حمارا أصبت حاجتك والا فليست موجودة (وقال) شبيب بن شبة لقيت خالد بن صفوان على حمار فقلت له يا صفوان أين أنت عن الخيل فقال تلك للطلب والهرب ولست طالبا ولا هاربا قلت فأين أنت عن البغال فقال تلك للانزال والاثقال ولست ذا نزل ولا ثقل قلت فأين أنت عن البراذين قال تلك للعدين والمسرعين ولست معدا ولا مسرعا قلت فما تصنع بحمارك قال أدب عليه دبيبا وأقرب عليه تقريبا وأزور اذا شئت عليه حبيبا ثم لقيته بعد ذلك على فرس فقلت له يا صفوان ما فعلت بالحمار

قال بئس الدابة ان أرسلته ولى وان استوقفته أدلى قليل القوة كثير الروث بطئ عن الغارة سريع الى الغرارة لا ينكح به النسا ولا ترقى به الدما (ويروى) ان سليمان بن على رآه على حمار فقال له أين الخيل يا أبا صفوان فقال الخيل للجمال والبغال للاثقال والابل للاحمال والحمير للامهال (وقال) جرير بن عبد الحميد لا تركب الحمار فانه ان كان حديدا أتعب يدنك وان كان بليدا أتعب رجليك ومما قيل فيه قول أحمد بن أبى طاهر

شية كأن الشمس فيها أشرقت * وأضاء فيها البدر عند تمامه
وكأنه من تحت راكبه اذا * مالاح برق لاح تحت غمامه
ظهر كمجرى الماء لين ركوبه * فى حالتى اتعابه وجمامه
سفهت يداه على الثرى فتلاعبت * فى حزنه وسهوله واكامه
عن حافر كالصخر الا انه * أقوى وأصلب منه فى استحكامه
ماالخيزران اذا انثنت أعطافه * فى لين معطفه ولين عظامه
فكأنه بالريح منتقل وما * جرت الرياح كجريه ودوامه
أخذ المحاسن آمنا من عيبه * وحوى الكمال مبرأ من ذامه

(الجزار) يصفه بالبلادة والعجز

هذا حمارى فى الحمير حمار * فى كل خطو كبوة وعثار
قنطارتين فى حشاه شعيرة * وشعيرة فى ظهره قنطار

(القول) فى طبائع الابل وهذا النوع ثلاثة أصناف عرابى ويمنى ونجيبى فاليمنى هو النجيب ويتنزل منها منزلة العتيق من الخيل والعرابى كالبرذون والنجيبى كالبغل ويقال النجب ضأن الابل وهى متولدة من فاسد منى العرابى فقط فان منى النجب منجب فكأنه حصل له نصف البغل فأما النجيب فزعم من حكى عن الجاحظ قوله ان فى الابل ماهو وحشى وانه يسكن أرض وبار وهى غير مسكونة وقالوا ربما بدا الجمل فى الهياج فيحمله ما يعرض له على ان يأتى أرض عمان فيضرب فى أذنى ما هجمه من الابل فالمهرية من ذلك النتاج وتسمى الابل الوحشية الحوش ويقولون انها بقايا ابل عاد وثمود ومن أهلكه الله تعالى من العرب العاربة والمهرية منسوبة الى مهرة قبيلة باليمن وهى لا يعدلها شئ فى سرعة عدوها يعلفونها سمك يصاد فى بحر عمان يصاد ويقدد واما

النجيب

النجب فمنها ما يرهون مثل البراذين ومنها ما يحمز جمزا ويرقل ارقالا والجمز فى الابل كالخبب فى الخيل (وحكى) أبو هلال العسكرى فى كتاب الاوائل ان أول من ربضت له الابل على الحمر أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور لما حجت (وقال) الجاحظ اذا ضربت الفوالج فى العرب جاءت بالجوامر والنجب الكريمة وفى البخت ماله سنامان فى ظهره كالسرج ولبعضها سنامان فى عرض ظهرها احدهما فى ذات اليمين والآخر فى ذات الشمال وتسمى الخراسانية وقد يشق عن سنام البعير ويكشط جلده ثم يجتث من أصله ويعاد على موضعه الجلد فيلتحم عليه ويؤخذ السنام فيؤكل كما يفعل بعض الناس ذلك بالكباش اذا عظمت الياها وعجزت عن النهوض فيقطعونها ويقول أصحاب السير الطبائع الحيوان انه ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند الهياج من الارباد وسوء الخلق وهجران المرعى وترك الماء حتى ينضم اباطه ويتم رأسه ويكون كذلك الايام الكثيرة وهو فى هذا الوقت لا يدع انسانا ولا جملا يدنو منه ولو حمل على ظهره حينئذ مع امتناعه شهرا من الطعم ثلاثة أضعاف حمله وهو لا ينزو الا مرة واحدة يقيم فيها النهار أجمع ينزل فيها مرارا كثيرة يجيء منها ولد واحد ويخلو فى البرارى حالة النزو ولا يدنو منه غير راعيه الملازم وذكره صلب جدا لانه من عصب والانثى تحمل أنثى عشر شهرا وتلقح اذا مضى عليها ثلاث سنين وكذلك الذكر ينزو فى هذه المدة ولا ينزو عليها الا بعد أن تضع بسنة وفيه من كرم الطباع انه لا ينزو على امهاته ولا اخوته ومتى حمل على أن يفعل حقد على من ألزمه ذلك الى ان يقتله (وحكى) ان جملا احتيل عليه بتغيير صورة امه حتى نزا عليها ثم عرفها عند فراغه فألقى نفسه من شاهق حتى مات وليس فى الحيوان من يحقد حقده وانه يترصد من حقد عليه الفرصة والخلوة لينتقم منه فاذا أصاب ذلك لم يبق عليه وفى طبعه الاهتداء الى الطريق التى اعتاد سلوكها لا يضل فيها ليلا ولا نهارا والعرب تضرب به المثل فى ذلك فيقولون أهدى من جمل والغيرة والصولة والصبر على الحمل الثقيل وعن الماء الزمن الطويل الخمسة أيام والستة والعشرة اذا كان الزمان ربيعا والعرب تسمى الايام التى ترد فيها الابل الخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر وكلها بالكسر ويقال ان البعير اذا صعب وخافته رعاته استعانوا عليه فتركوه وعقلوه حتى يلومه فحل آخر فاذا فعل

به ذلك ذل والابل تميل الى شرب الماء الكدر الغليظ وهو الماء النمير فهى أبدا
اذا وردت مياه الانهار حركتها بأرجلها حتى تتكدر وهى عشاق الشمس فلهذا
ترى أبدا تصوب اليها فى أى جهة كانت من المشرق أو المغرب (ومن) عجيب
ماذهبت اليه العرب فى الابل اذا كثرت فبلغت الالف فقئوا عين الفحل فان
زادت على الالف فقئوا عينه الاخرى ويزعمون أن ذلك يطرد العين عنها (ومما)
قيل فيها قول بعضهم لم تخلق نعم خير من الابل ان حملت أثقلت وان سارت
أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت (الشيخ) عزالدين الموصلى فى
حادى

حادلنا كالشادن الربيب * لحظته بالمنظر المريب
فقال فى السكرة عند نومه * يارب سلها من الديب

(وعلى ذكر) الحادى قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ أحسن ما سمعته من
الحداة يحدون به جمالهم فى طريق الحجاز قولهم

ياخودان طال المدى تنسينى * ينسى الذى ينساك نوم العين

(وآخر يقول)

كم ليلة سهرتها لم أرقد * الارقادا كرقاد الارمد

(القاضى) الفاضل فى وصف الخيل

جنائب فى بحر العجاج سفائن * فان حركت للركض فهى جنائبه
وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل فى عمر العدو تحاسبه

(وله) من قصيدة

لها غرر يستضحك النصر وجهها * فتفهم منها العين معنى البشائر

(وقال) النبى صلى الله عليه وسلم بطونها كنز وظهورها حرز وأصحابها معونون
عليها (صفة جياد الخيل) سأل معوية من صعصعة بن صوحان أى الخيل أفضل
فقال الطويل الثلاث القصير الثلاث العريض الثلاث الصافى الثلاث فقال
فسرلنا قال أما الطويل الثلاث فالاذن والعنق والحزام وأما القصير الثلاث
فالصلب والعسيب والقضيب وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخر والورك وأما
الصافى الثلاث فالاديم والعين والحافر (كان محمد) بن السائب الكلبى يحدث
ان الصافنات الجياد المعروضة على سليمان بن داود كانت ألف فرس ورثها

عن

عن أبيه فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب
فعرقبها الا فرسا لم تعرض عليه فوفد عليه قوم من الازد وكانوا أصهاره فلما
فرغوا من حوائجهم قالوا يانبى الله ان أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلغنا فأعطاهم
فرسا من تلك الخيل وقال فاذا انزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فانكم
لاترون ناركم حتى يأتيكم بطعام فساروا بالفرس فكانوا لاينزلون منزلا الاركبه
أحدهم للقنص ولا يفات شئ تقع عينه عليه من ظبى أو بقرة أو حمارة الى أن قدموا
بلادهم فقالوا ما لفرسنا هذا اسم الازاد الراكب فسموه زاد الراكب فأصل فحول
العرب من نتاجه (وطلب البحترى الشاعر) من سعيد بن حميد الكاتب فرسا
فوصف له انواعا من الخيل فى شعره (فقال)

لا كلفن العيس ابعد همة * يجرى اليها خائف أو مرتجى
والى سراة بنى حميد انهم * أمسوا كواكب أشرقت فى مدلج
والبيت لولا أن فيه فضيلة * تعلو البيوت بفضله لم يحجج
فأعن على غزو العدو بمنطو * أحشاؤه طى الرشا المتدرج
اما باشقر ساطع أغشى الوغى * منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طلت أعطافه * بدم فما تلقاه غير مضرج
أو أدهم صافى الاديم كأنه * تحت الكمى مظهر بالنبرج
صرم يهيج السوط من شؤبوبه * هيج الجنائب من حريق العرفج
خفقت مواطئ وقعه فكأنه * يجرى برملة عالج لم يرمج
أو اشهب يقق يضئ وراءه * متن كمتن اللجة المترجرج
يخفى الحجول ولو بلغن لبانة * فى أبيض متألق كالدملج
أوفى بعرف أسود متعرف * فيما يليه وحافر فيروزجى
أو أبلق يملا العيون اذا بدا * من كل لون معجب بنموذج
جذلان تحسده الجياد اذا مشى * عنقا بأحسن حيلة لم تنسج
وعريض أعلا المتن لو عليته * بالزيبق المنهال لم يتدحرج
خاضت قوائمه القويم بناؤها * أمواج يجنيب بهن مدرج
ولانت أبعد فى السماحة همة * من ان يضن بملجم أو مسرج

(نادرة) ذكرها أبو حيان التوحيدى فى الامتناع والمؤانسة قال الاصمعى مر

اعرابى على قوم وهم على ماء لهم فقال من رأى جملا أحمر بعنقه علاط وفى أنفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهدا لعاهد به عند البئر فجعل القوم يقولون حفظ الله علينا وجمع عليك لا والله ما أحسسنا وجويرية على حوض لها تقدر وهى تقول لا جمع الله عليك يا فاسق فقالوا ما تريدين من الرجل قالت انما ينشد سوئقيه قال فتبعته فقلت له يا هذا ما تنشد قال ايرى وخصيتى (نادرة) اشترى رجل من رجل برذونا فقال له المشترى سألتك بالله هل فيه عيب قال لا الا أن فيه قليل مشش كأنه سفرجله وقليل جرد كأنه قثايه وقليل دبر كأنه بطيخه فقال له المشترى يا ابن الفاعلة جئنا نشترى منك برذونا أو بستانا (قال) المدائنى كان ابن أبى هبيرة يساير سنان بن مكمل النميرى فتقدمت بغلة النميرى ابن هبيرة فقال غض من بغلتك فالتفت اليه النميرى وقال أصلح الله الامير انها مكتوبة وانما أراد ابن هبيرة قول الشاعر

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النميرى قول سالم بن دارة من بنى فزارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار

(وكتب) الوهرانى على لسان بغلته الى الامير عز الدين موسك المملوكة ريحانة بغلة الوهرانى يقبل الارض بين يدى الامير عز الدين حسام أمير المؤمنين نجاه الله من حر السعير وعطر بذكره قوافل العير ورزقه من القرط والتبن والشعير وسق مائة الف بعير واستجاب فيه صالح ادعية الجم الغفير من الخيل والبغال والحمير (وتنهى اليه ما تقاسيه من مواصلة الصيام وسوء القيام والتعب فى الليل والناس نيام قد أشرفت مملوكته على التلف وصاحبها لا يحتمل الكلف ولا يوافى بالخلف ولا يقول بالعلف لانه فى بيته مثل المسك والعنبر والاطريفل الاكبر أقل من الامانة فى الاقباط والعقل فى رأس قاضى سنباط فشعيره أبعد من الشعرى العبور ولا وصول اليه ولا عبور وقراطه أعز من قرط مارية لا يخرجه صدقة ولا هبة ولا عارية والتبن أحب اليه من الابن والجلبان أعز من دهن البان والقصيم بمنزلة الدر النظيم والقضه أجل من سبائك الفضه وأما الفول فمن دونه ألف باب مقفول فايرون عليه ان يعلف الدواب الا بعيون الآداب والفقه اللباب والسؤال والجواب وما عند الله من الثواب

ومعلوم

ومعلوم يا سيدى ان البهائم لا توصف بالحلوم ولا تعيش بسماع العلوم ولا تطرب الى شعر أبى تمام ولا تعرف الحرث بن همام ولا سيما البغال التى تشتغل فى جميع الاشغال شبكة من الفصيل أحب اليها من كتاب التحصيل وقفة من الدريس أشهى اليها من فقه ابن ادريس لو أكل البغل كتاب المقامات مات وان لم يجد الا كتاب الرضاع ضاع وان قيل له انت هالك ان لم تأكل موطأ مالك ما قبل ذلك وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح أبيات الجمل وحزمة من الكلاء أحب اليه من شعر أبى العلاء وليس عنده طيب شعر أبى الطيب وأما الخيل فلا تطرب الا لسماع الكيل واذا اكلت كتاب الذيل ماتت فى النهار قبل الليل والويل لها ثم الويل ولا تستغنى الاكاديش عن الحشيش وكل ما فى الحماسة من شعر أبى الحريش واذا أطعمت الحمار شعر ابن عمار حل به الدمار وأصبح منفوخا كالطبل على باب الاصطبل وبعد هذا كله فقد راح صاحبها الى العلاف وعرض عليه مسائل الخلاف فطلب من تبنه خمس قفاف فقام اليه بالخفاف يخاطبه بالشعير وقرء عليه آية التعبير وطلب منه ويبة شعير فحمل على عياله ألف بعير فانصرف الشيخ منكسر القلب مغتاظا من الثلب وهو أنحس من ابن بنت الكلب فالتفت الى المسكينه وقد سلبه الغيظ ثوب السكينه وقال لها ان شئت ان تكدى فكدى لا ذقت شعيرا مادمت عندى فبقيت المملوكة حائره لا قائمة ولا ثائره فقال لها العلاف لا تجزعى من خباله ولا تلتفتى على سباله ولا تنظرى الى نفقته ولا يكون عندك أخس من عنفقته هذا الامير عز الدين سيف أمير المؤمنين عز المجاهدين أندى من الغمام وأمضى من الحسام وأبهى من البدر ليلة التمام يرثى للمحروب ويفرج عن المكروب وهو من بنى أيوب ولا يرد قائلا ولا يخيب سائلا فلما سمعت المملوكة هذا الكلام جذبت الزمام ورفصت الغلام وقطعت اللجام وشقت الزحام حتى طرحت خدها على الاقدام ورأيك العالى والسلام (ذكر القاضى) الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والظرف انه لما مات أحمد بن طولون ترك فى بيت ماله عينا عشرة آلاف دينار وفى حاصله ألفى ألف وسبعمائه ألف درهم سوى ما كان مودعا عند حميد الطويل وهو ألف دينار سوى ما حمل الى المعتمد

فى أربع سنين أولهن سنة اثنين وستين ومائتين ما نفدت به السفاتج لم يظهر بعضه وهو ألفا ألف ومائتا ألف دينار وكان له أربعة وعشرون ألف غلام مملوكا وخمسة وعشرون ألف أسود وتطبق جريدته على سبعة آلاف حر مسترزق وخلف من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس وثلثمائة وثلاثين رأسا ومن البغال ستمائة بغل ومن الجمال ألفين ومائة جمل ومائة مركب حربية ومن الدواب المركوب مائة ألف وثلاثين دابة وكان خراج مصر فى السنة التى مات فيها أربعة آلاف ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار مع ما يضاف اليها من ضياع الامراء بالحضرة وأنفق على الجامع مائة وعشرين ألف دينار وعلى البيمارستان ومستغله ستين ألف دينار وأنشأ فى سنة تسع وخمسين ومائتين وحبس عليه سوق الرقيق وغيره ولم يكن قبل بمصر بيمارستان وكان قد شرط أن لا يعالج فيه جندى ولا مملوك وكان يباشره ويشارفه بنفسه ويركب اليه فى كل أسبوع مرة وأنفق على عين المصنع ببركة الجيش مائة وأربعة وأربعين ألف دينار وعلى شرر الجزيرة ثمانين الف دينار ولم يتممه وعلى الميدان مائة ألف دينار وخمسين ألفا وكانت صدقاته فى كل شهر ثلاثة آلاف دينار ورسم مطبخه فى كل يوم مائة وعشرون دينارا ومات فى سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا ومن الاناث سبعة عشر أنثى (فائدة جليلة) قال ابن عباس رضى الله عنهما من هرب من عدو أو خاف فليكتب بسوطه بين أذنى دابته لا تخاف دركا ولا تخشى أمنه الله من خوفه وحال بينه وبين عدوه (قال) الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه غيث الادب ويحكى ان بعض الرؤساء قال لشهاب الدين القوصى أنت عندنا مثل الاب وشدد الباء فقال لاجرم أنكم تأكلونى وأقول لا يخفى ما فى هذا التنذير من اللطف لان الاب مشدد الباء هو المرعى قال بعضهم هو للدواب بمنزلة الخبز الذى للاناسى ومن يشدد الباء من الأب الذى هو الوالد ما يكون الا دابة (قال) الشيخ بدر الدين الدمامينى رحمه الله تعالى رادا عليه قصد الصفدى بهذا الكلام الرد على من شدد باء الاب المراد به الوالد وفيه دليل على قصوره فان الامام جمال الدين بن مالك نص فى التسهيل على ذلك قال فى أوائله وقد تشدد نون هن وباء أب وخاء أخ وحكى فى الشرح عن الازهرى أن ذلك لغة كوفية ويقال استأبيت فلانا بباءين أى اتخذته أبا واذا كان كذلك فلا وجه

للانكار

للانكار على الرئيس الذى شدد الباء من أب (قلت) ولو قال القوصى فى جوابه لاجرم انكم ترعونى لكان ألطف فى التنذير وأحسن موقعا مما قاله والله أعلم انتهى كلام أقضى القضاة بدر الدين المخزومى (الشيخ جمال الدين الزملكانى) وفى حلبة الخدم من أدهم * خيول تجول ولا تركب

فسبق الكميت بها بين * ولكن تقدمه الاشهب

(وعلى ذكر البغال) ذكرت قول شمس الدين الضفدع الخياط فى وقعة القاضى شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله الاربلى الدمشقى الشافعى الذى مات فيها

بغلة قاضينا اذا زلزلت * كانت له من فوقها الواقعه

تكاثر الهاه من عجبه * حتى غدا ملقى على القارعه

وأظهرت زوجته عندها * ضاربة بالرحمة الواسعه

(أبو الحسين الجزار) وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره

كم من جهول رآنى * أمشى لأطلب رزقا

وقال لى صرت تمشى * وكل ماش ملقى

فقلت مات حمارى * تعيش أنت وتبقى

(المعمار)

ان ابن الاطروش حوى رتبة * باع بها الجنة بالنار

تنصرت بغلته تحته * وأصبحت تمشى بزنار

(ابن دانيال مضمنا)

ولقد ركبت من الحمير مكمدا * مكرابطيا للحران مصاحبا

رجلاى فى جنبيه منذ ركبته * لن يفترا فغدوت أمشى راكبا

(ابن نباتة)

أصبحت ياسيدى ويا سندى * أقص فى أمر بغلتى القصصا

بالامس كانت لفرط سرعتها * طيرا وفى اليوم أصبحت قفصا

(الحلى مضمنا)

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمال

اذا سمع السواس صوت تحمحمى * يقولون لا تهلك أسى وتجمل
أعوّل فى وقت العلوق عليهـــم * وهل عند رسم دارس من معوّل

(حكى) أن العماد الكاتب قال للقاضى الفاضل سر فلا كابك الفرس فقال له دام علا العماد (ولبعض أهل عصره) أعنى الحسين الجزار

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات منه ما فاتا
من مات فى عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ما ماتا

(وقال) شرف الدين البوصيرى ناظم البردة فيه

فلا تيأسن ايهـذا الاديب * عليه فللموت ما يولد
اذا عشت أنت لنا بعـــده * كفانا وجودك ما نفقد

(قال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس كان للشيخ شرف الدين البوصيرى حمارة استعارها منه ناظر الشرقية فاعجبته فأخذها وسير له ثمنها مائتى درهم فكتب على لسانها الى الناظر المذكور المملوكة حمارة البوصيرى

يا أيها المولى الذى أثبتت * أخلاقه بانه الفاضل
ما كان ظنى ان يبيعونى * قط ولكن صاحبى جاهل
لو جرصوه على من سفه * لقلت غيظا عليه يستاهل
أقصى مرادى لو كنت فى بلدى * أرعى بها فى جانب الساحل
وبعد هذا فايحل لكم * لاننى من سيدى حامل

فردها الناظر ولم يأخذ الدراهم منه (لناصر الدين بن النقيب)

نفقت لى رأسا من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله فى المشاعر اخرى * بشقاق لها عن المشى مانع
فاذا قيل كم بقى لك رأس * قلت رأس بغير كوارع

وللشيخ جمال الدين بن نباتة وأفحش فى السرقة فى فرس له تمثل الاربعة

يقول لى صاحب وفىّ * والخيل تحت الورى تسارع
كم لك فى ذا الزمان رأس * فقلت رأس بلا كوارع

(ابن دانيال)

قد كمل الله برذونى بمنقصة * وشانه بعدما أعماه بالعرج
أسير مثل أسير وهو يعرج بى * كأنه ماشيا ينحط من درج

فان

فان رمانى على ما فيه من عرج * فما عليه اذا ما مت من حرج

(صلاح الدين الصفدى) فيمن وعده ببغل

طلبت البغل منك فقلت انى * أسيره وما كذب الكلام
نعم أتعبته ركضا ولما * أتى الاسطبل سيره الغلام

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى أنشدنى لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وردمن العرب منسوب ولا قطعت * أيدى الحوادث من انشائه شجره
اذا امتطى ظهره رامى السهام مضى * والسهم حذوا فلولا سبقه عقره
عجبت كيف يسمى سابحا وله * وثب لو البحر أمسى دونه ظفره
كأنه فى هضاب الحسن صاعدة * أولا فصاعقة فى الحسن منحدره
لما ترفع عن ندّ يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

(قال) صلاح الدين وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبى الحسن الصوفى بدمشق فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وهو

وأدهم اللون فات البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غيبت اثره
فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
شهم تراه يحاكى السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره
يعفر الوحش فى البيداء فارسه * وينثنى وادعا اذ يستتر غبره

(شرف الدين أحمد الحلاوى وأجاد)

جاء غلامى وشكا * أمر كميتى وبكى
وقال لى لاشك بر * ذونك قد تشكى
قد سقته اليوم فما * مشى ولا تحركا
فقلت من غيظى له * مجاوبا للماحكى
ابن الحلاوى أنا * فلا تكن معلكا
لو أنه مسيـــــر * لما غدا مشبكا

ابن نباتة

وأدهم اللون حندسىّ * فى جريه للورى عجائب

يقصر سعى الرياح عنـه * فكلها خلفه جنائب

ابن سعيد المغربى فى فرس أغر أصفر

وعسجدى اللون أعددته * لساعة تظلم أنوارها
كأنه فى رهج شمعة * مصفرة غرته نارها

(وله فى أدهم أغر)

وقد اغتدى والليل قد سل صبحه * بليل بجلباب الصباح ملثما
وأحسبه خال الثريا بجامه * فصيرها ديه الى الافق سلما

(ولابن خفاجة فى أشقر أغر)

وأشقر يضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
وتطلع الغرة فى شقرة * حبابة تضحك عن كاس

(النامى)

ومصغية كأن الحرب تلقى * الى آذانها بشرى الجلود
ترى آذانها ألفات سطر * قياما فى صحائف من بنود

(الارجانى)

وحرف يجوب القاع والوهد والربى * لحرف مديم الرفع والجر والنصب
نجائب يقدحن الحصى كل ليلة * كأن بأيديها مصابيح للركب

(ابن سعد فى فرس لونا نيا أغر أ كحل الحايلة)

وأجود تبرى أثرت به الثرى * وللفجر فى خصر الظلام وشاح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح

(ابن نباتة السعدى فى فرس محجل بغرة)

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه نخاض فى أحشائه

(الشئ بالشئ يذكر قال ابن حجاج فى المجون)

غضبت صباح وقد رأتنى قابضا * ايرى فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا مالطمت جبينه * حتى يصدق فيك قول الشاعر

(أشار الى البيت المتقدم الاديب الفاضل الكامل الرحال ابراهيم الساحلى) المنبوذ بطويجن مولده بعرفة ووفاته بعد سنة تسع وثلاثين وسبعمائة من قصيدة

ذهبوا

ذهبوا الى الهيجا بكل طمرة * من نسل أعوج أو بنات الابجر
من كل مخضوب الشوى عبل القرى * عارى النواهق مستدير المحجر
ألوى بقادمتى جناحى أفتخ * ولوى بسالفتى غزال أعفر
وادار جفنا أشوسيا مبصرا * ظل الفوارس فى الظلام المعكر
من أحمر كالورد أو من أصفر * كالورس أو من أشهب كالعنبر
وبكل صهوة أجرد متقطب * الا اذا ضحك السنان السمهرى

(لسان الدين بن الخطيب)

قال جوادى عندما * همزت همزا أعجزه
الى متى تهمزنى * ويل لكل همزه

(أحمد بن سعيد بن غازى البستى يصف ناقة)

حرف كمثل الصاد الا انها * بعد السرى جاءت كحرف النون
كالبدر قدره الاله منازلا * فى الافق حتى صار كالعرجون

(وما أحسن قول الشريف العقيلى) وان لم يكن مما نحن فيه

وأدهم من خيول الجووانى * فثار من الضباب له غبار
اذا أبدى صهيل الرعد منه * لوحش المحل داخله نفار
أشبهه ولمع البرق فيه * بحراق تمشت فيه نار

(نادرة) ذكرها العلامة شهاب الدين أحمد بن فضل الله فى كتابه مسالك الامصار فى ترجمة موفق الدين عبد الله المعروف بالوزن الواعظ الكحال المتطبب أنه كان بالقاع والى من أهل الادب يعرف بابن درباس واسمه على وكان ينظم الشعر ويتوالى والوزير بدمشق اذ ذاك بدر الدين جعفر بن الآمدى وكان يتوالى أيضا فاتفق أنه ولى عنده بالقاع كاتبا ممن سلم من التسمير من ديوان المطابخ وكان من حديث هؤلاء أنهم سرقوا قندا كثيرا كان قد حمل من غور الكرك ليطبخ بدمشق للسلطان فبلغ ذلك الملك الظاهر بيبرس فأمر بهم فسمروا وطيف بهم على الجمال الا هذا الكاتب فانه شفع فيه فأطلق بعد أن قدم له الجمل ليسمر فلما استخدمه ابن الآمدى بالبقاع ضيق على ابن درباس فأقام يعمل قريحته فيما يكتبه الى ابن الآمدى فلم يأت بشئ فسأل الوزن فى ذلك (فكتب)

شكية يا وزير العصر يرفعها * ما كان يأمل هذا من ولاك على

لم يبق في الارض مختار فتبعثه * الافتي من بقايا وقعة الجمل

فضحك ابن الآمدي وعزله ومن انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وينهي
وصول ما أنعم به من الخيل التي وجد الخير في نواصيها واعتدحصنها حصونا يعتصم
من الوغى بصياصيها (فمن) أشهب غطاه النهار بحلته وأوطاه الليل على أهلته
يموج أديمه ريا ويتأرج رئيا ويقول من استقبله في حلى لجامه هذا الفجر قد
أطلع الثريا ان التفت للضايق انساب انسياب الأيم وان انفجرت المسالك
مر مرور الغيم كم أبصر فارسه يوما أبيض بطلعته وكم عاين طرف السنان مقاتل
العدا في ظلام النقع بنور أشعته لا يسير داحس في مضماره ولا تطلع الغبراء في
شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق يداه مرامي طرفه
ويدرك شوارد البروق ثانيا عطفه ومن أدهم حالك الأديم حالي الشكيم له
مقلة غانية وسالفة ريم قد ألبسه الليل برده وأطلع بين عينيه سعده
يظن من نظر الى سواد طرته وبياض حجوله وغرته انه توهم النهار نهر اتخاضه
والقى بين عينيه من رشاش تلك المخاضه ومن أشقر وشاه البرق بلهبه وغشاه
الاصيل بذهبه يتوجس مالديه برقيقتين وينفض وفرتيه عن عقيقتين
وينزل عذار لجامه من سالفتيه على شقيقتين له من الراح لونها ومن الريح لينها
ان جرى فبرق خفق وان أسرج فهلال على شفق ومن كميت نهد كأن
راكبه في مهد عندمي الاهاب شمالي الذهاب يزل الغلام الخف عن صهواته
وكأن نغم الغريض ومعبد في لهواته فسيح الخطا قصير المطا ان ركب لصيد
قيد الاوابد وأعجل عن الوثوب الوحوش اللوابد ومن حبشي أصفر يروق
العين ويشوق القلب بمشابهة العين كأن الشمس ألقت عليه من أشعتها جلالا
وكأنه نفر من الدجى فاعتنق منه عرفا واعتلق حجالا ذو كفل يزين سرجه
وذيل يسد اذا ادبر تدمنه فرجه قد أطلعته الرياضة على مراد راكبه وفارسه
وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوشيع ملابسه له من البرق
خفه وطية وخطفه ومن النسيم طروقه ولطفه يطير بالغمز ويدرك بالرياضة
مواضع الرمز ويعد كألف الوصل في استغنائها عن الهمز ومن
أخضر حكاه من الروض تفويفه ومن الوشي تقسيمه وتأليفه قد كساه
النهار والليل حلتي وقار وسنا واجتمع فيه من البياض والسواد ضدان لما

استجمعا

استجمعا حسنا ومنحه الباري حلية وشيه ونحلته الرياح ونعماتها قوة
ركضه وخفة مشيه ومن أبلق ظهره حرم وجريه ضرم ان قصد غاية فوجود
القضاء بينه وبينهما عدم وان صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان
وفعله ما يريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدي لونه في
جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها من الاعتراف له
بجادة الانصاف وترقى المملوك الى رتب العز من ظهورها وأعدها الخطبة
الحسان اذ الجياد عليها من أنفس مهورها وكلف بركوبها فلما أكمله عاد وكلما
أمله سره فلو أنه زيد الخيل لما زاد ورأى من آدابها ما دل على انها من أكرم
الاصائل وعلم انها اليوم حربه وسلمه جنة الصائد وجنة الصائل وقابل
احسان مهديها بثنائه ودعائه وأعدها في الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه
والله تعالى يشكر بره الذي أفرده الندى بمذاهبه وجعل الصافنات الجياد
من بعض مواهبه بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى (ومن انشاء) الشيخ محيي الدين
ابن عبد الظاهر وسير من الخيول الرهاوين كلما هو على الحسن مشتمل ومع
سرعته يمشي الهوينا كمشي الشارب الثمل من كل أشقر كأنه النجم السريع
لا البطي وكل أحمر كالشفق وغرته ما يتخلل الشفق من النور المضي وكل
أشهب كالنار وما في هذا من السواد ما بذلك من أواخر الليل وأوائل العشي
وكل أصفر حبشي يحسن أن يكون لراكب المقر خادما وكيف لا وهو الخصي
الحبشي ومن البغال كل فارهة الوثبه كارهة أن لا تكون دون رتبة الجياد
في حلبه كم قاست بذراعها شقة أرض فعلمت طولها من عرضها وكم لحقت
بمشيتها ما تلحقه الجياد بركضها كم حسب راكبها أنه من وطئ ظهرها على فرش
مرفوعه وكم بويع لها بالخلافة عن الجرد المطهمة على انها مخلوعه يشهد
بتمام حسنها العقل ويصدقه على ذلك منها صحة النقل ما ضرتها هجنة أمها
مع أصالة أبيها وأمها هجينه وما شانها ذلك والله تعالى ساوى بينهما بقوله
تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينه تسبق الطرف والطرف
وأمها خالها وما هي حرف (ومن انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة) وأما الخيل
المسيرة فقد وجد المملوك لذة انسها وأوجب على نفسه فروض خمسها
واستنهض لشكر محاسنها براعته فسعت ولكن على رأسها واستنزلت له

الآمال من صياصيها وحلت منه محل الخير المعقود فى نواصيها وأمدّه بالاسعاف مددها وقبلها عوض أنامله الشريفة لانهاء يدها وماهى الازهرات أنبتتها سحب كفه الكريمه وعقود من طوق بها جيد العبد فسبح بدايع نعمها العميمه ومنابر قام عليها خطيبا بمحاسنه التى من كتمها فكأنما كتم من المسك نطيبه فمن أشهب كأنه طلعة نجم أو قطعة صبح أوغرة فما تغرب باشعته أبدا رجح قد تزينت منه الاوضاع وانقطعت دون غايته الاطماع واعتذرت له الريح فصوب أذنيه للسماع وأصبح لصاحبه نعم العون فى يوم السبق والغوث فى يوم القراع وكاد يكون من الملائكة فكم له من غبار السبق أجنحة مثنى وثلاث ورباع ماخفيت مصلحة الاقبضها ولا داهمت سحابة نقع الاأقام بنفسه وبيضها وماحدث عن حسن الارآه ولا امتطاه عازم الاحمد عند صباح لونه مسراه تقرب الطالب سفارة عزائمه المسفره ويختال فى الخيل كالنهار فلاجرم ان آيته مبصره كم ثنى عنانه كبرا عن مسابقة الرياح وأعرض وكم تعب عليه عازم حتى فاز منه بالعيش الاانه الابيض يتلوه أشقر كلمعة برق أوغزالة شرق فسيح اللبان رقيق مجرى العنان يروق الابصار ويدنى الاوطان والاوطار ويسمع بوقع حوافره صم الاحجار يضعف البصر عن اقتفاء ماله من السنن ويعجز عن بلوغ غايته السيل اذاهجم والغيث اذاهتن وتقصر عن شأوه الرياح فمن عذر اذاحثت فى وجهها التراب للحزن فكأنما صعد لاشعة النجوم فكبها أوراه من البرق على حلته فلبسها وسلبها قرنت حركاته بحسن الاتفاق وحكته فى تطلعها الشموس عند الاشراق وامتدت كف الثريا تمسح وجهه من غبار السباق يتبعه كميت يسر الناظر ويشرق الخاطر كأنه جذوة نار أوكأس عقار أحلى من الضرب له من نفسه طرب كم خدمه من النصر اعوان وأسكره اسمه فاختال تحت راكبه كالنشوان وزاد لونه حتى كأنما هو بهرام وأجله عن أن أقول بهرمان أسرع الاشياء شوطه وأضيع مافى عدته سوطه يجمع لراكبه مابين الطرب والجلاله وتحتجب الشمس اذا تصدى لصيد خوفا من تسميتها بالغزاله كم أرعد بصهيله وأبرق وكم لقى منه الموت الاحمر العدوّ الازرق قصرت عن معاناته الهمم واسودّ ذنبه وعرفه فكأنهما الذوب نار جسمه حمم يوسع أهل الحمى برا ويعقد

بخنجر نعله أديم الارض سيرا يقفوه أصفر يسرّ النظار ويسمو على النظار ويشوق البصائر ويسابق سعيه على الابصار ويخفق وراءه حتى قلب البرق اذاذكرهما السبق فى مضمار كم أوسع وقعه فى ليل السرى من سمر وكم نقش نعله ظهر جبل بخفاء كما قيل نقش فى حجر يطلع بسماء الطالب أهلة هو عيدها واذا امتطاه عازم رأى الارض تطوى له ويدنو بعيدها كم حسن خبرا وخبرا وتأثيرا وأثرا وكم عشا الى نار سنابكه طارق فأجزل له من قصده القرى كأنما خلع عليه الدهر حلة ذهب وهبته صفرة لونها الراح حين تجلى بالحبب لوأمكن أول فجر لما سمى فى زمنه بالسرحان ولو كتب اسمه على مقدمة طليعة قرنها اليمن والايمان يصحبه أدهم كأنما التحف سبجا أودخل تحت ذيل الدجى تخضع عواصى الذرى لعزته وينشق الصباح غيظا من تحجيله وغرته كأنما لطمته يد الفجر فخاض فى أحشائه وورد نهر المجرة فطارت بجبهته نقطة من مائه فسيح المنتشق متدرع ملابس حب القلوب والحدق كم عنت شوامخ الجبال لجلاله وقصرت عنه الخيل حتى لم تسابق الاظل ادباره واقباله وخاف سطوته الليل فحياه بمثل أنجمه وأنعله بهلاله يسرّ الموالى ويسوء المناصب ويأتى من صباح تحجيله وليل تكوينه بالعجائب وتكبو الريح دون شأوه فكلاهما من خلفه جنائب ولابرح سيدنا يجيد فى القول ويجود فى العمل ويتطول من خفى كرمه ومفيد كلمه بمالاترقى اليه همة أمل ان شاء الله تعالى تم ذلك (وقال) مجير الدين بن تميم مضمنا

بعثت عندى جواد الاحوال به * يكاد من همزه بالركض ينخرم
فلا يغرنك منه سنه غلطا * ان الجواد على علاته هرم

(ابن النبيه) من قصيدة

فهى مثل القسى شكلا ولكن * هى فى السبق أسهم لا محاله
تركتها الحداة فى الخفض والرفـــع حروفا فى جرّها جماله

(علاء الدين) ابن أيبك من قصيدة

له خطبة الخيل العتاق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب انه * وان جردوه فى ملاءته التفا

وأباق أعطى الليل نصف اهابه * وغارعليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجى * فذحازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقرمج الراح صرف أديمه * وأصفرلم يسمح بها جلده صرفا
وأشهب فضى الانام مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كماخطر الزاهى بمهرق كاتب * فجر عليه ذيله وهوما جفا
تهب على الاعداء منها عواصف * اتنسف أرض المشركين بها نسفا
سرى كل طرف كالغزال فمترى * أطيباترى تحت العجاجة أم طرفا
وقد كان فى البيداء يألف سربه * فربته مهر وتحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * متى ماأردت الجرى اعطاكه ضعفا

(ابن خفاجة)

ولم أر الاغرة فوق شقرة * فقلت حباب يستدير على خمر

(نادرة) وقف اعرابى على أبى عبيدة فقال له ما يعنى الشاعر بقوله

ولقد علوت بمشرف يافوخه * يأتى الجسة ماؤه يتفصد
مزج يسيل من المزاج لعابه * فيكاد جلداهابه يتقدد
حتى علوت به مشق ثنية * طورا أغور به وطورا أنجد

(فقال) يصف فرسا فقال الاعرابى جملك الله عليه (برهان الدين) القيراطى فى حماره

تراه أولا فى الأ كل سبقا * وعند السير يأتى فى الاخير
وكم وضعوا سكرجة بفيه * فامنعته عن صحن الشعير

(عرض) شريح ناقة ليبيعها فجاء اليه رجل من قريش فقال له يا أبا امية كيف لبنها فقال احلب فى أى اناء شئت قال فكيف الوطأ قال افرش ونم قال فكيف قوتها قال احمل على الحائط ماشئت فاشتراها فلم يجد شيأ مما وصف فرجع اليه فقال له لم أر شيأ مما وصفتها به قال ما كذبتك (كتب) الصابى عن بختيار الى أبى تغلب فى وصف فرس أهداه له أما الفرس الذى سأل ايثارك به فقد تقدمنا نقوده اليك والله يبارك لك فيه و يجعل الخير معقودا بناصيته والاقبال غرة وجهه وادراك المطالب تحجيله ونيل الامانى طلق شأوه وفتح الفتوح غاية شده وسلامة العواقب مثنى عنانه (ابن حديس الصقلى)

وكأنها

وكأنها نون تمط وعينها * ميم لطول نحولها بالفدفد
كحلت جفون الليل منها بالسرى * وتكحلت منه بلون الاثمد
فلجسمها والصبح يتبع نوره * من جفن ليلتها انسلال المرود
باليتها كانت سفينة زاجر * فتخوض بى مدّا العباب المزبد
فأرى ابن حمدان ونور جبينه * يجلوسناه قذى جفون الارمد

(وله فيهن)

قلاص حباهن الهزال كأنها * حنيات نبع فى أكف جوادب
اذا وردت من زرقة الماء أعينا * وقفن على أرجائها كالحواجب

(ومما جاء) فى رقية الدابة عن سهيم بن نوفل قال كنا نعرض المصاحف عند عبد الله فجاءت جارية اعرابية الى رجل من القوم فقالت أطلب راقيا فان فلانا قد لفع فرسك بعينه فتركه يدور كأنه فلك فقال عبد الله لا تطلب راقيا اذهب فانفث فى منخره الايمن أربعا وفى الايسر ثلاثا ثم قل بسم الله لا بأس أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافى لا يذهب الضر الا أنت قال فذهب الرجل ثم رجع فقال فعلت الذى أمرتنى فأ كل وبال وراث وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا استعصبت دابة أحدكم أوكانت شموسا فليقرأ هذه الآية فى أذنها أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون (نادرة) قال أبو العنبس دخل اعرابى السوق ليبيع ناقة له فقال له بعض المجان تبيعها يا اعرابى بأير بغل فقال الاعرابى اقعد على عطيتك فان زادونا والا انت أحق بها (الاسعد ابن مماتى)

أصبح بغلى مثلا * يضرب وهو سائر

(ناصر الدين بن النقيب)

لى بغلة من ضعفها * حزامها يثقلها
كأنها رجلى كما * تحملنى أحملها

(بدر الدين) يوسف بن لؤلؤ الذهبى

ترحلت عن ناديك لا عن ملالة * وقد لفعتنى بالهجير الوساوس
على بغلة أمطيتنيها قصيرة * كأنى بلاشك على الأرض جالس
وتحسبنى من فوقها الناس راجلا * ولكننى فيما ترى العين فارس

(البهاز هير في بغلة شهاب الدين القوصى)

لك يا صديق بغلة * ليست تساوى خردله
تمشى فتحسبها العيو ن على الطريق مشكله
وتخال مدبرة اذا * ما أقبلت مستعجله
مقدار خطوتها الطو يلة حين تسرع أنمله
تهتز وهى مكانها * فكأنما هى زلزله
أشبهتها بل أشبهتك كأن بينكما صله
تحكى خصالك فى الثقا * لة والمهانة والبله

(القيراطى)

لى بغلة قد أتعبت راحتى * والرجل من نفذى الى كعبى
طباعها خارجة كلها * وقط لا تمشى على الضرب

(الجزار) يرثى حمارة

ما كل حين تنجح الاسفار * نفق الحمار وبارت الاشعار
خرجى على كتفى وها أنا دائر * بين البيوت كأننى عطار
ماذا على جرى لاجل فراقه * وجرت دموع العين وهى غزار
لم أنس حدة نفسه وكأنه * من أن تسابقه الرياح يغار
وتخاله فى القفر جنا انما * ما كل جن مثله طيار
واذا أتى للحوض لم يخلع له * فى الماء من قبل الورود عذار
وتراه يحرس رجله من زلة * برشاشها يتنجس الحظار
و يلين فى وقت المضيق فيلتوى * فكأنما بيديك منه سوار
و يسير فى وقت الزحام برأسه * حتى يجيد أمامك الحضار
لم أدر عيبا فيه الا أنه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ولقد تحامته الكلاب وأحجمت * عنه وفيه كما تختار
راعت لصاحبه عهودا قد مضت * لما علمن بأنه جزار

(ومن انشاء المقر الفتحى بن الشهيد) تغمده الله برحمته من رسالة كتبها عن حضورا كديش أدهم وينهى وصول الجواد المنعم به على المملوك فأضافه الى ما فى يده من الصدقات العميمة بقدر قدرها ويضاعف بالخدمة والنصيحة

شكرها

شكرها وفرح المملوك أنه ما خص بالفرس الا وقد ثبت عند سيده أنه غلام وما أجراه له من ديوان الخاص الا لتمييز قدره على العوام ووصل هذا الجواد أدهم من الخيل كأنما ألبسه الليل حلة سابغة الكم والذيل وفهم المملوك من بعثه حالك السواد ان الأمر العالى اقتضى ان المملوك يكتم هذا الاحسان فى سواد الفؤاد و يستره عن الحساد كما ستر الليل عن الرقبا اجتماع أهل الوداد فتسلمه المملوك كما تسلمت الجفون طيف الحبيب وأسر السرور به لما علم انه من صدقة السر التى أخفتها اليد الكريمة ولا يعزب عن الله مثقال ذرة فيها ولا يغيب واتخذ المملوك ظهر هذا الجواد حرزا لانه من الحيا كل وتصيد بعنانه غزلان الاعنة فكانت لصيد العز حبائل وجعله ذخيرة وعزا لانه أدهم لا يندم صاحبه ان نابت النوائب أو غالت الغوائل (ومنها) وصل الظهر قد أعوز والسفر قد أحفز وجلت دهمته الغمه وجاءت باليد البيضاء فكذبت القائلين لا خير فى الظلمه فرأيت منه العطايا فى سواد المطالب وركبت من سرجه المحلى بالذهب فما جزت فى ليل اهابه الا اهتديت من تلك الحلى بانوار الكواكب وقرت به عينى كأنما حل من سوادى واستوطأت ظهره فى السرى فنمت لما طرق كأنه بريد رقادى (أدب حسن) قيل لاعرابى له ابل كثيرة لمن هذه الابل فقال لله فى يدى وقيل لاعرابى أنت راعى هذه الابل فقال الله راعيها وأنا مراعيها (فائدة جليلة) قال الامير علاء الدين الدوادارى فى بعض مجاميعه بخط القاضى شمس الدين بن خلكان للبغل يكتب على حافر الفرس الايسر بقلم حديد وكل حرف من هذه الكلمات على حدته وهى النيل والفرات ودجلة أودية وقال لى شخص انه جربه ووجده نافعا والله تعالى أعلم (ذو الوزارتين) لسان الدين بن الخطيب من قصيدة

صبحتهم غرر الجياد كأنما * عقد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجياد به أغر محجل
زجل الجناح اذا أجد لغاية * واذا تغنى بالصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * أذن ممشقة وطرف أكحل
وكأنما هو صورة فى هيكل * من لطفه وكأنما هو هيكل

(ومن كلام سيدى المقر المجدى) حسبما اقترحه السادة المخاديم بالقاهرة المحروسة

البلاغة جعل الله تعالى كف مواليناالمقبل والمؤمل كـكرائم الخيل ظهورها عزا وبطونها كنزا وآيات كرمه اذا تليت تهز أعطاف كل جواد هزا و بتبعه في مجاراتها كزا تعلى الهمم وتغلى القيم و يحوز صاحبها قصب السبق بالقلم غير أنها تلجئه في اقتراح الاخوان الى ركوب الاهوال وتمطيه في اتباع أوامرهم صهوة الخطر اذا كان لاخيل عنده يهديها ولا مال فانهم أبقاهم الله تعالى رموا العبد من اقتراحهم بما لا يطاق ودفعوه من أوصاف الخيل الى حلبة سبق اليها جماعة فكيف للمملوك بعدهم باللحاق نعم كيف له بلحاق تلك الفحول وانى يمكنه مجاراتهم في هذه الليالى العواطل وقد كانت أيامهم لها غرر معلومة وحجول فاستقلت من هذا الامتحان واعتذرت انى است في أمر الخيل من الفرسان فقالوا بل أعطينا الطرف راكبه وأعطينا المال واهبه فانك ربيب متونها ومهذب شامسها وحرونها فجلت في ميدان الفكر وجذبت أعنة الحفظ والذكر الى ان أنتهى الى ما لو أوقفت استرته ولو تركت لتركته فابتدأت بوصف أخضر مليح الشيات كامل الادوات يحمل الراكب ويزين المواكب ويرضى الشهم الشديد و يسبق السهم السديد لايخرج عن طوع فارسه ولا يعدو اختيار ممارسه كأن أديمه قد من نور خلاف أولف من جنات ألفاف وكميت أصم اللون مليح الكون بعيد الصفات سريع الالتفات تثنى على همته الركبان و بطنه تحت العجاجة نار علاها دخان فسيح الخطوه شديد القوه سبط الاديم معظم لدى الكرام ولا عجب اذا عظم الجواد كريم كأنما صبغ بعقار أو ألبس جلنار وقير كاون الحرباه وخيال أزاهر على صفحة الماء ووجنة حب تكالت بعرق ونهر صاف طفا بوجهه علق و بهجة حباب على كؤس مدامه وأشعة شمس تألفت في طوق حمامه لا تنثنت العين معرفته ولا يوفى البليغ وان أطنب صفته ولا يدركه الطير اذا طار ولا يلحقه الريح اذا اشتدت غير الغبار لا يمل السباق ولا يزعج راكبه اذا قام على قدم وساق وأبلق كريم الاصل محمود الخصل مجتمع من ظلمة الهجر وضياء الوصل يرى الناظر من لونه بياض العطايا في سواد المطالب وتحقق لتعجب من تضادهما أن في الليل والنهار عجائب لا يجليه البصر اذا سار ولا ينجو من راكبه عدو وكيف ينجو من خلفه الليل

والنهار

والنهار تفرد في جنسه وكاد يدرك المعقولات بضياء حسه عظم خبره وخبره واشتهر بين الانام قدره وعز على من رامه وطال وكيف لا وهو الابلق الفرد الذى شاع ذكره وأدهم بهى المنظر جميل المخبر تخاله خالا على وجنة الزمان وتظنه بين جفنى السماء والارض انسان أسرع من السهم وأنفذ من الوهم يطوى شقة الفلا بيديه ويجتذب سويدات القلوب الى حبه وشبه الشئ منجذب اليه تنبئك بالظفر مخائله ولا ينشد لونه الا باق الابليل من تواصله وبالجملة فكأنما حلفت على اقتراح الرياضه واختيار الانفس المرتاضه فكلها حسن وكل منها جاء من الصفات الغريبة بفن يأتى من المشى بما لم يكن في حساب ويتلو اسان السرعة على مستعظم أشكالها وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب فالله تعالى يبقى المخدوم ما انتخبت القرايح وسيرت الخيول بين غاد ورايح ويكفيه ما تسعى من أجله ويجعل رايه جنة لاوليائه اذا زحف عليهم الدهر بخيله ورجله بمحمد وآله (المولى الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى

وكميت يلقى الصخور اذا اشتد جريا بأربع من حديد
رق جلدا واحمر حتى حسبنا * انه اختال في رداء الخدود

(وله في فرس أدهم أغر محجل)

وأدهم خص بأوضاحه * اعلاه بالغرة أو أسفله
كالليل في أوله آخر اليوم وفي آخره أوله

(وله)

بكل جواد سر حتى كأنما * له السيف حد والسنان له أذن

(ولبعضهم)

قم بنا نركب طرف اللهو سبقا للمدام
واثن يا صاح عنانى * لكميت ولجام

(ولآخر)

ويوم كسته الشمس غرة مهجة * كما ذهبته بالعشى تخيلى
ركضت به في حلبة اللهو سابقا * فيا لك من يوم أغر محجل

(ابن المعتز) في وصف مطاق الواحدة محجل الثلاث

ومحجل غير اليمين كأنه * متبختر يمشى بكم مسبل

(فخر الدين بن مكانس)

يا عصبة الجود الذى برضيهم * فرسى العتيق ومهرى السباق
أما العتيق فلا نرجوا تملكه * واليكم هذا الحديث بساق

(وضمن) هذا فى الغزل شيخنا عز الدين الموصلى

لحديث نبت العارضين طراوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المردقلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث بساق

(قلت) وفى مقطوع الشيخ فخر الدين زيادة حسنة على الشيخ عز الدين وهو قوله بساق واستعمل الشيخ عز الدين لفظة حديث فى عدة أماكن من مقاطيعه ولعمرى أجاد فى جميعها (فمنها قوله)

حديث عذار الحب باد وساقه * له أوجه تبدى لقلبى اشتياقه
درى اننا نشتاق لطف حديثه * فأبدى لنا ذاك الحديث وساقه

(وقوله)

حديث عذار الحب فى خده جرى * كمسك على الورد الجنى تسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرا

(ولغيره) وليس مما تقدم لكن ذكرناه لموافقة المعنى

ولما اجتمعنا والسلو جليسنا * على اننا نسلوا الهوى ونميل
وخيل غرام قد أتتنا مغيرة * فلم ندر الا والسلو قتيل

(ومنه)

وحياة من أمست لدى حياته * أشهى الى من اتصال حياتى
ماسافرت لحظات طرفى نحوكم * الا على خيل من العبرات

(ومنه قول عز الدين الموصلى) شعرا

يستطرد الشوق خيل الدمع سابقة * ففضل السحب فضل العرب للعجم

(وما ألطف) قول بدر الدين بن الصاحب

بالله يابدر زرنى * وعد محبا سقيما
واكتم محبك واركب * من الظلام بهيما

(وأنشدنى شيخنا زين الدين بن العجمى) لنفسه

لظلمات الليالى * أشكو شجونى الاليمه
وكيف تفهم معنى * شكواى وهى بهيمه

(فخر الدين بن مكانس)

لله أشكو ماجرى * وهو بشكواى عليم
ان بهيما كان لى * فضاع فى الليل البهيم

(ولمؤلف الكتاب)

ولرب ليل طال من تذكارهم * أرعى الدجى فيه وليس ببارح
قرح الجفون السهد فى ظلماته * فلذاك يدعى بالبهيم القارح

(وعلى ذكر البهيم) فما أحسن ما أنشدنى لنفسه مجد الدين بن مكانس

لله عصبة عشق * طيب الكرى حرموه
عذولهم كحمار * لابدع ان صرموه

(وأنشدنى صدر الدين بن الآدمى) لنفسه

قلت وليلى لونه حالك * وجنحه فى ليله كالسقيم

(الصفدى) فى أدهم بغرة

واعجبا للصبح من أشقر * ما آن أن يلحق ليلا بهيم

(غيره)

تردى أديم الليل تيها بنفسه * وأطمع حتى فى منال الكواكب
وأبدى لرائيه بغرة وجهه * بياض العطايا فى سواد المطالب

(وأنشدنى فخر الدين بن مكانس)

لنا فرس نلاقى منه رفقا * كرفق الوالدين اذا تملنا
ترانا حين نركبه سكارى * نميل على جوانبه كأنا

(حدث) أحمد بن أبى خالد قال خرج الفيض بن أبى صالح وأحمد بن الجنيد وجماعة من وجوه الكتاب يوما من دار المأمون منصرفين الى منازلهم وكان يوما مطيرا فتقدم الفيض بن أبى صالح وتلاه أحمد بن الجنيد فنضحت دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجنيد برجلها من ماء المطر فتأفف أحمد بن الجنيد وقال للفيض هذه والله مسايرة بغيضة وما أدرى حقا أوجب لك التقدم علينا فأمسك الفيض حتى صار الى منزله ثم دعا وكيله فأمر باحضار مائة تخت فى كل تخت

قميص وسر وايل ومبطنة وعمامة وطيلسان ففعل ذلك وقال احمل هذه التخوت على مائة جمال وسر بها الى دار أحمد بن الجنيد وقل له أوجب لنا التقدم عليك أن لنا مثل هذا نهديه اليك اذا أفسدنا ثيابك فان أهديت لنا مثلها قدمناك علينا (قال مؤلف الكتاب رحمه الله تعالى) ضمنا مجلس أنس بزريبة قيصون بمنزل المرحوم فخر الدين بن مكانس وكان فيه اذذاك جماعة من أعيان متأدبى الديار المصرية فأطلقنا عنان المذاكره وتجارينا فى ميدان المحاضره الى ان استطردنا الى ذكر الخيول وماقيل فيها من منظوم أزهى من المنثور المطلول فقال المرحوم فخر الدين سدواعنا المقاطيع واطربونا بالمواصيل اشارة الى ذكر ماقيل فيها من الرسائل التى أزرت بزهر الخمائل فذكر بعض الحاضرين رسالة القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر التى أولها وسيرمن الخيول الزهاوين كما هو على الحسن مشتمل وذكر المرحوم فخر الدين رسالة الشيخ شهاب الدين محمود التى أولها وينهى وصول ماأنعم به من الخيل التى وجد الخير فى نواصيها وذكر المملوك رسالة الشيخ جمال الدين بن نباتة التى أولها وأما الخيل المسيرة وذكر الشيخ بدر الدين البشتكى رسالة العلامة لسان الدين بن الخطيب التى أولها   وذكر القاضى مجد الدين بن مكانس حسب سؤال الجماعة رسالته التى أولها البلاغة جعل الله أكف مولانا ككرائم الخيل ظهورها عز وبطونها كنز فما من الجماعة الامن استحسنها وبالغ فى شكرها فقال المرحوم فخر الدين ينبغى أن تجمع هذه المقاطيع والرسائل فى كراريس ويسميها مجرى السوابق انتهى

هكذا بياض بالاصل

(الباب الثالث والاربعون فى مصائد الملوك وماقيل فيها من نظم السلوك)

ولبعضهم فى الفهد

وأهرت الشدق فى فيه وفى يده * مافى الصوارم والعسالة الذبل
تنافس الليل فيه والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل
والشمس مذ لقبوها بالغزالة لم * تطلع على وجهه الاعلى وجل

(ابن المعتز فيه)

وعابس الوجه لا القادحة * تحسبه من قبائل الترك
تخال أثوابه مصندلة * نقطها الغانيات بالمسك

(الارجانى

(الارجانى فيه)

وأهرت أدم بدت كاسمها * به الدهر أدم لنا يؤتدم
من النمر خيط على جسمه * أديم تعين لاعن حلم
به علقت شرر لو حته * من نارحد له يضطرم
ففى كل عضوله أعين * تراصد ان هو بالصيد هم
تراه رديفا وراء الغلام * وبالشمس الوجه منه التثم
شبيه سبية جيش غدت * تذيق الكرى مقلة لم تنم
جرى الدمع بالكحل من عينها * فخط جلابيها اذ سجم
وقد كاد يخرج من جلده * وراء الطريدة لما اقتحم
فقد شمر الجلد خوفا عليه * أول ما الخلق منه استتم

(ابن الاثير الجزرى فى الفهود) نخرجنا والشمس قد نقص مشرقها عن مغربها وأمنت جمرها وان صارت الى برج عقربها بكل فهد قد حبك اهابه من ضدين بياض وسواد وصور على اشكال العيون فتطلعت الى انتزاع الارواح من الاجساد يبلغ الامد الاقصى فى أدنى وثباته ويسبق الفريسة ولا يقصها الاعن التفاته (القول فى طبائعه) زعم ارسطو أنه متولد بين أسد ونمرة أو بين لبوة ونمر وفى طبعه مشابهة لطبع الكلب فى أدوائه وذوائه والنوم الذى يعتريه ويقال ان الفهدة اذا حملت وثقل حملها حنى عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده فاذا أرادت الولادة هربت الى موضع أعدته حتى اذا علمت أولادها الصيد تركتها وبهذا الحيوان يضرب المثل فى شدة النوم فيقال أنوم من فهد (قال الشاعر) وقد عيره بكثرة النوم

رقدت مقلتى وقلبى يقظان * يحس الامور حسا شديدا
يحمد النوم فى الجواد كما لا * يمنع الفهد نومه أن يصيدا

وليس شئ فى جرم الفهد من الحيوان الا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة والاناث أصعب أخلاقا وأكثر جراءة واقداما وفى أخلاقه الحياء وذلك أن الرجل يمر بيده على سائر جسده فيسكن لذلك حتى تصيب يده مكان الثفر فيقلق حينئذ ويغضب ومن خلقه الغضب وذلك أنه اذا وثب على طريدة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك ويمتلئ رئته من الهواء الذى حبسه وسبيله أن يراح ريثما يخرج

النفس وتبرد تلك الغلة و يشق عن قلب الطريدة و يشمم اياه ثم يطعمه منه
ويسقى رى ماء ان كان الزمان قيظا ودون الرى ان كان الزمان بردا وان لم يروح
لم يفلح بعد ذلك واذا أخطأ صيده رجع مغضبا وربما قتل سائسه ومن أخلاقه انه
يأنس لمن يحسن اليه ويقال انه لص من لصوص السباع وهو وان كان وحشيا
فانه يقبل الادب الا أن كبارها أقبل وان تقادمت فى التوحش وأناثها أصيد من
ذكورها ومن طبعه أنه يحب الصوت الحسن و يصغى اليه وربما كان سببا
لصيده ومما ركب فيه ان ما عجز عن التكسب منها الهرم يجتمع على فهد يصيد
لها فى كل يوم شبعها وقال ارسطو والسباع تستنشق رائحة الفهد وتستدل بها
على مكانه وتعجب بلحمه أشد التعجب فهو يتغيب عنها لذلك وربما قرب بعضها
من بعض فيطمع فى نفسه فاذا أحس السبع منه ذلك وثب عليه فأكله وهو
ألطف شما لأرايح السباع القوية من شم السباع لرائحته الشهية ولا يكاد
يكون على علاوة الريح أبدا وهو يستخفى فى الشجر فاذا مر به ايل ففاجأه وثب
عليه وانشب مخالبه فى اكتافه ومص دمه حتى يضعف الايل و يسقط فتجتمع
عليه الفهود فتأكله فان اجتاز به أسد نهض وترك الفريسة له تقربا اليه
والفهد يعتريه داء يسمى خناقة الفهود وقد ألهم انه اذا اعتراه ذلك يأكل العذرة
فيبرأ و ينبغى اذا اصيد أن يغطى رأسه ويدخل فى جوالق ويجعل فى بيت قد وضع
فيه سراج و يلازمه سائسه ليلا ونهارا ولا يدخل عليه غيره فاذا آنس أركبه
ظهر دابة و يطعمه على يده وأول من صاد به كليب بن وائل و يقال همام بن
وبرة وكان صاحب لهو وطرب وأول من حملها على الخيل يزيد بن معاوية
وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراسانى وأول من استحسن الحلقة فى
الصيد وأولع بها كثيرا المعتضد والمواضع التى يوجد فيها هذا الحيوان مما يلى
بلاد الحجاز الى اليمن وما يليها الى بلاد العراق ومما يلى بلاد الهند الى تبت والله
تعالى أعلم (القول فى طبائع الكلب) قال المتكلمون فى طباع الحيوان الكلب
لا سبع تام ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب لانه لو تم له طباع السبعية
ما ألف الناس واستوحش من البرارى وجانب القفار ولو تم له معنى البهيمة فى
الطبع ما أكل لحم الحيوان وكلب على الناس وانما جعلناه تبعا للفهد وهذه
حالته لمشاركته له فى حرفة الصيد واعتناء الناس بتربيته وتعليمه كما اعتنوا

بالفهد فى ذلك وهو نوعان أهلى وسلوقى ومما يختص به الكلب السلوقى من
الطباع وسبب نتاج السلوقى كما حكاه أهل الكلام فى الكلبة أن الكلاب
تسفد الذئاب فى أرض سلوقة من أرض اليمن فيتولد بينهما السلوقى وقال
آخرون الثعالب والكلب السلوقى له نفس متواقعة بتناول ما يرسل عليه
و يطلبه بالاحضار خلفه حتى يدركه فيأخذه لهم لان حرصه على الصيد وغضبه
ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد لان الجوارح تعمل لانفسها الا الكلاب
فانها تكتسب لاصحابها وهى اذا كثرت عليها الآثار واختلطت تتنكب
لذلك وتذهب فى كل جهة حتى تستثبت الاثر وتحقق جهته وذلك من حرصها على
مطاوعة ربها واستعدادها لنكاية أعدائه ومسارعتها لتحصيل غرضه الذى
ارسلها بسببه ومن أعجب الاحوال فيه انه اذا عاين الظباء قريبة منه كانت
أو بعيدة عرف المقبل منها والمدبر وعرف العنز من التيس واذا أبصر القطيع
لم يقصد غير التيس لعلمه انه اذا عدا شوطين لم يستطع البول مع شدة الحصر ورفع
القوائم فينقص مدى خطاه و يعتريه البهر فيلحقه الكلب والعنز اذا اعتراها
البول فى العدو لم تمسكه وقذفت به لسعة السبيل فلاجل ذلك لا يطلبها ومن
عجيب أمره انه يعرف الميت من المتماوت حتى يقال ان الروم لا تدفن ميتا حتى
يعرضونه على الكلاب فتظهر من شمها اياه علامة يستدلون بها على حياته أو موته
و يقال ان هذا الحذق لم يوجد الا فى كلب يسمى القلطى وهو صغير الجرم قصير
القوائم جدا و يسمى الصينى وهو مع هذا لا يبلغ رتبة الذئب فى الشم
والاسترواح واناث الكلاب السلوقية أسرع تعلما من الذكور والفهد بالعكس
وهذا النوع يعيش عشرين سنة على ما زعم ارسطو وربما لم يبلغ الاناث هذا
العمر (دلائل النجابة والفراهة فى الكلاب السلوقية) أما فى الخلقة فطول
ما بين الرجلين واليدين وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق وغضف
الاذنين و بعد ما بينهما وسعة العينين و بعد ما بينهما وزرقة العين ونتوء الجبهة
وعرضها وقصر اليدين وأما الالوان فيقال السود أقل صبرا على الحر والبرد
والبيض أفره اذا كن سود العيون وقد قال قوم ان السود أصبر على البرد
وأقوى وكذلك السود من الحيوان (الفراهة فى الجرو) اذا ولدت الكلبة واحدا
كان افره من أبويه وان ولدت ذكرا وأنثى كان الذكر أفره وان ولدت ثلاثة

فيها انثى فى شبه الام كانت أفره من أبويه الثلاثة وان كان فى الثلاثة ذكر واحد فهو أفرهها (قال ابن خفاجة)

ومورس السربال يخلع قده * عن نجم رجم فى سماء غبار
يستن فى سطر الطريق وقد عفا * قدما فيقرا أحرف الآثار
عطف الضمور سريه فكأنه * والنقع يحجبه هلال سرار
يفتر عن مثل النصاب وانما * يمشى على مثل القنا الخطار

(الارجانى)

وعصف يسابق عصف الريا * ح فيسبقه خصرها ان تسم
رياح مجشمة للعيو * ن مقلدة فى طلا هارم
لهن من البيض مصقولة * تسل وتغمد من كل فم
فمن أبيض مثل لون الدمقـ * ـس ومن أصفر أملس كالزلم
وآخر ذى لمع فى السوا * د حكى لونها نفخة فى فحم
بقرط مخلبـ * ـه اذنه * ويسبق ناظره حيث أم

(القول فى العقاب) وهذا الصنف يؤنث ولا يذكر ويسمى العنقاء على ماذهب اليه أهل اللغة وبهذا القول فسر قول ابى العلاء المعرى

أرى العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

ولا خلاف عند أهل اللغة فى ذلك وهو ينقسم الى صنفين عقاب ورخم فأما العقاب فمنها فى اللون السود والخوخية والصقع والسقع والبيض والشقر ومنها ما يأوى الجبال ومنها ما يأوى الصحارى ومنها ما يأوى البياض ومنها ما يأوى حول المدن ويقال ان ذكورها من طير آخر لطيف الجرم لا يساوى شيأ والعقاب يبيض فى الغالب ثلاث بيضات ويحضنها ثلاثين يوما وما عداها من الجوارح يبيض بيضتين فى كل سنة ويحضن عشرين يوما وفى طبع الذكر انه يمتحن انثاه هل هى محافظة له أو موافية لغيره من جنسه بأن يصوب بصر فرخيه الى شعاع الشمس فان ثبت عليه تحقق أنهما فرخاه وان لم يصبر عليه ونبا عنه ضرب الانثى كما يضرب الرجل المرأة الزانية وطردها من وكره ورمى بالفرخين وهى تربى فراخها الى ان تقوى على الطيران فتخرجها وتنفيها عن جميع مواضعها ومن حقوقها الفراخها انها لا تحمل على نفسها فى الكسب عليها ومتى كان الذكر

والانثى فى مكانين مجتمعين لا يدعان غيرهما من جنسهما يأوى قريبا منه ولا يصيد فيه وهى اذا اصادت شيأ لا تحمله على الفور الى مكانها بل تنقله من موضع الى موضع ولا تجلس الاعلى الاماكن المرتفعة لانها لا تستقل من الارض الا ببطأ وعسر واذا اصادت الارنب تبدأ بصيد الصغار ثم تصيد الكبار وهى أشد جراءة من سائر الجوارح وأقواها حركة الى الغضب وأسرعها اقداما وأيبسها مزاجا ولذلك هى أحدها وهى خفيفة الجناح سريعة الطيران فهى ان شاءت كانت فوق كل شئ وان شاءت كانت بقرب كل شئ تتغذى بالعراق وتتعشى باليمن وريشها الذى عليها فروتها فى الشتاء وحيسها فى الصيف وربما اصادت حمر الوحش وذلك انها اذا نظرت الحمار رمت نفسها فى الماء حتى تبتل جناحاها ثم تتمرغ فى التراب ثم تطير حتى تقع على هامة الحمار ثم تصفق على عينيه بأجنحتها فتملأهما ترابا فلا يبصر حيث يذهب فيؤخذ وهى مولعة بصيد الحيات ولوعها بها كولوع الحيات بالفار وفى طبعها قبل ان تدرب ان لا تراوغ صيدا ولا تعنى فى طلبه ولا تزال موفية على شرف عال فاذا رأت سباع الطير قد صادت شيأ انقضت عليه فيتركه لها وينجو بنفسه ومتى جاعت لم يمتنع عليها الذئب وهى شديدة الخوف من الانسان تنظر اليه بقرب منها ويقال انها اذا شاخت وهرمت ونقل جناحها وأظلم بصرها التمست غديرا فاذا وجدته حلقت طائرة فى الهواء ثم تقع فى ذلك الغدير وتنغمس فيه مرارا فيصح جسمها ويقوى بصرها ويعود ريشها ناشأ الى حالته الاولى ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان الى مكان لطلب الصيد وتعولها الى ان تموت ومن عجيب ما الهمته انها اذا اشتكت كبدها من رفع الارانب والثعالب فى الهواء أكلت أكبادها فتبرأ وهى تأكل الحيات الارؤسها والطير الاقلوبها ويدل على هذا قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنقارها الاعلى يعظم ويتعقف حتى يكون سببا هلاكها لانها لا تنال به الطعم حينئذ وأول من صاد بها أهل المغرب واغتار غبتهم فيها رأوا من شدة شرهها وعظم سلاحها وصفة المحمود منها وثاقة الخلق وثبوت الاركان وحمرة اللون وغؤور الحماليق وان تكون صقعا عجزا وهى التى تكون على علوتها بياض

واجودها ماجلب من سرب وجبال المغرب (ابن نباتة)

أتيت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا نخلى لما دنوت واقلالى
فقلت امرسيه بالاصابع فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

(القول فى طبائع البازى) وتنقسم الى خمسة أصناف البازى والزرق والباشق والعفصى والبيدق والبازى أحرّها مزاجا لانه قليل الصبر على العطش ومأواه مساقط الشجر العادية الملتفة والظل الظليل ومطرد المياه وهو لا يتخذ وكرا الا فى شجرة لها شوك مختلفة الجون يطلب بذلك السكن ولا يقع فى شتاء ولا صيف على أغصانها ولا أطرافها واذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مطر ولا ثلج اشفاقا على نفسه من البرد والحر ولهذا اذا أخطأ صائده وكان فى برية لا شجر فيها طار منعا حتى يلج كهفا من جبل أو جدار من الارض ليسكن فيه ولذلك علق عليه الجرس كيما يدل على موضعه ان خفى وهو لا يطيق البرد ولا الحر لرقة جوانحه فسبيله فى البرد أن تقرب منه النار ليدفأ أو يجعل تحت كفيه فى الشتاء وبر الثعلب واللبود وسبيله فى الحرّ أن يجعل فى كنّ كنين من السموم بارد النسيم ويفرش له الريحان والخلاف وهو خفيف الجناح سريع الطيران يلف طيرانه كالتفاف الفاختة ويسهل عليه ان يزج نفسه صاعدا وهابطا وينقلب على ظهره حتى يلتقم فريسته وسبيله ان يضرا على صيد الدراج والنهج ان كان طويل المنسر واذا كان قصير المنسر فسبيله ان يضرا على طير الماء والحبرج والاناث من هذا الصنف أجرأ على عظام الصيد من ذكورها قال أصحاب البيزرة فى الكلام على الاناث من البزاة اذا كان وقت سفادها وهياجها يغشاها جميع أجناس الحيوان الضوارى كلها الزرق والشاهين والصقر وانما تبيض من كل طير يغشاها ولهذا تجىء مختلفة الاخلاق من الحسن والجراءة والخبث والغدر والذكاء والقوة والضعف والحسن والقبح والشراهة ولهذا البازى لا يترك ما بين العصفور الى الدرّاج والكراكى وصفة الفاخر منه أن يكون قليل الريش أحمر العينين حادّهما وان يكونا مقبلتين على منسره وجؤجؤهما مطلان عليهما لا يكون وضعهما فى جنبى رأسه كوضع عين الحمام والاورق دون الاحمر العين والاصفر دونهما وسعة الاشداق دليل على قوة الافتراس (ومن صفاته المحمودة) ان يكون طويلا

مريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانخراط الى ذنبه وان تكون فخذاه طويلتين ممرولين بريش وذراعاه قصيرتين غليظتين وأشاجع كفيه عارية وأصابعه متفرقة لا تكون مجتمعة ككف الغراب ومخالبه اسود ومنسره اسود رقيقا وأفخر الالوان البيض ثم الشهب وهما لونان يدلان على الفراهة والكرم وأما الاسود الظهر المنقش الصدر بالسواد والبياض فهو يدل على الشدة والصلابة فان اتفق ان يكون أحمر العينين وكثيرا ما يتفق كالنهاية وهذا اللون فى البزاة كالكميت من الخيل لانه يدل على الشدة والاحمر من هذا الصنف أحسن البزاة لانه فيها كالسوسى من الخيل بعيد من الصلاح وأول من صاد بهذا الجارح لزرتق أحد ملوك الروم الاول وذلك انه رأى بازيا اذا علا كنف واذا أسفل أخفق واذا أراد أن يسموذرق فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الدغل فأعجبته صورته فقال هذا طائر له سلاح تتزين بمثله الملوك فأمر بجمع عدة من البزاة فجمعت وحصلت فى مجلسه فعرض لبعضها ثم فوثب عليه فقتله فقال ملك يغضب كما تغضب الملوك ثم أمر به فنصب على كندرة بين يديه وكان هناك ثعلب فر به مجتازا فوثب عليه فما أفلت منه الا جريحا فقال هذا جبار يمنع حماه ثم أمر به فضرى على الصيد واتخذته الملوك بعد (ابن الاثير فى البزاة) وأطلقت لك البزاة بعد أن ذكر اسم الله على اطلاقها وتعلقت بما فوقها من الطيور حتى كأنما هى أطواق فى أعناقها (ومن رسالة لابى اسحق ابراهيم بن خفاجة يصف بازيا طائرا يستدل بظاهر صفاته على كرم ذاته طورا ينظر نظر الخيلاء فى عطفه كأنما يزهى به جبار وتارة يرمى نحو السماء بطرفه كأنما له هناك اعتبار وأخلق به أن ينقض على قنيصة شهابا ويلوى ذهابا ويحرقه مواقد والتهابا جيد العين والاثر حديد السمع والبصر يكاد يحس ما يجرى ببال ويسرى فى خيال قد جمع بين عزة مليك وطاعة مملوك فهو بما يشتمل عليه من علو الهمه ويرجع اليه بمقتضى الخدمه مؤهل لابراز ما تقتضيه شمائله واعجاب ما تعدّيه مخائله وخليق بحكم تأديبه وجودة تركيبه ان لو مثل له النجم قنصا أو جرى للبرق فوصا لاختطفه أسرع من لحظه وأطوع من لفظه وانتشبه أمضى من سهم وأجرى من وهم وقد أقسم بشرف جوهره وكرم عنصره لا يوجهه سفرا الا وعاد قنيصه معفرا وآب الى يد

من أرسله مظفرا مورد المخلب والمنقار كأنما اختضب نجيعا أو كرع في عقار
(وصفاته المحمودة) أن يكون صغيرا في المنظر ثقيلا في الميزان طويل الساقين
قصير الفخذين عظيم السلاح بالنسبة الى جسمه (القول على الصقر) وهو من
الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لانه أصبر على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء
وأحسن الفا وأشد اقداما على جلة الطير من الكراكي والجوارح ومزاجه
أبرد من سائر ما تقدم وأرطب وذلك معروف من ركوده وقلة حركته وعدم
التفات ريشه وبهذا السبب يضرأ على الغزال والارنب ولا يضرأ على الطير
لانها تفوته وفعله في صيده الانقضاض والصرم وهو غير صاف بجناحه ولا
خافق به ومتى خفق بجناحه كانت حركته بطيئة بخلاف البازي وتقول أصحاب
البيزرة انه أهدى نفسا من البازي وأسرع أنسا بالناس وأكثر رضا وقناعة
وهو يغتذي بلحوم ذوات الاربع وابرد مزاجه لا يقرب المياه ويعافها ولو لم
يجدها الدهر ما أرادها ولاجل ذلك يوصف بالبخر ونتن الفم وفي طبعه انه
لا يركب الشجر ولا شوامخ الجبال ولا يأوي الا المغاير والكهوف وصدوع
الجبال وفيه جبن ونفسه دون شدته ولذلك يضرب الغزال والارنب ويهرب
منه ولا يكاد يعلق بفريسة فاذا فارقها عاد اليها منقضا فيضربها ويرقى هاربا
وكلما تقدم ذكره ينقي بالماء ويغتسل وهو ينقي بالتمعك في الرمل (وصفاته
المحمودة) أن يكون أحمر اللون عظيم الهامة واسع العينين تام المنسر طويل
العنق والجناحين رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين
قصير الساقين والذنب قريب الفقرة سبط الكف غليظ الاصابع
فيروزجيها أسود اللسان وأول من صاد به وضراه الحرث بن معاوية بن ثور بن
كنده فانه وقف يوما على صياد قد نصب للعصافير شبكة فانقض صقر على
عصفور قد علق منها فجعل يأكله والحرث يعجب فأمر فأتي به وقد اندق جناحاه
فرمى به في كسر بيت ووكل به من يطعمه فدربه حتى صار اذا أتى اليه باللحم
ودعاه أجاب ثم صار يطعمه على اليد ثم صار يحمله لانسه به فبينما هو يوما
يحمله اذ رأى حمامة فطار عن يده اليها فأخذها وأكلها فأمر الحارث باتخاذها
والتصيد بها فبينما هو يوما يسير اذ لاحت له أرنب فطار الصقر اليها وأخذها
فلما رآه يعاقب بين الطيور وبين الارانب ازداد الحرث فيه محبة واغتباطا
واتخذته

واتخذته العرب بعده (وقال) كشاجم فيه

غدونا وطرف النجم وسنان غائر * وقد نزل الاصباح والليل سائر
بأجدل من حمر الصقور مؤدب * وأكرم ما قربت منه الاحامر
جرئ على قتل الظباء وانني * ليعجبني أن يكسر الوحش طائر
قصير الذنابى والقدامى كأنها * قوادم نسر أو سيوف بواتر
ونقش منه جؤجؤ فكأنه * أعارته أعجام الحروف الدفاتر
فما زلت بالاضمار حتى صبغته * وليس يحوز السبق الا الضوامر
وتحمله منا أكف كريمة * كما زهيت بالخاطبين المنابر
وعن لنا من جانب السفح ربرب * على سنن تستن منه الجآذر
فخلى وحلت عقدة السير فانتحى * لأولها اذ أمكنته الاواخر
يحث جناحيه على حر وجهه * كما فصلت فوق الخدود المعاجر
وما تم رجع الطرف حتى رأيتها * مصرعة تهوي اليها الخناجر

(القول على الشاهين) تقول أصحاب البيزرة الشاهين من جنس الصقر الا انه
أبرد منه وأيبس ولاجل ذلك تكون حركته من العلو الى السفل شديدة وليس
يحلق في طلب الصيد على خط مستقيم وانما يحوم لثقل جناحه حتى اذا سامت
فريسته انقض على فريسته هاويا من علو الى سفل فضربها وقار بها يطلب
الصعود وان سقطت على الارض أخذها وان لم تسقط عاد وضربها لتسقط
وذلك دليل على جبنه وفتور نفسه وبرد مزاج قلبه وعلى كل حال فالشاهين
أسرعها وأخفها وأشدها ضراوة على الصيد الا أنهم عابوه بالاباق وربما يعتريه
من الحرص حتى انه ربما ضرب بنفسه الارض فمات ويقولون ان عظامه
أصلب من عظام سائر الجوارح ولذلك هو يضرب بصدره ويعلق بكفه وقال
بعض حذاق هذا الفن الشاهين كاسمه يعني الميزان لانه يحمل أدنى حال من
الشبع ولا أيسر حال من الجوع (والمحمود من صفاته) أن يكون عظيم الهامة
واسع العينين حادهما تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتلئ الزور
عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب الفقرة من الظهر قليل
الريش لينه تام الخوافي رقيق الذنب اذا صلبت عليه جناحاه لم يفضل عنهما
شئ منه فان كان كذلك فهو يقتل الكراكي ولا يفوته صيد كبير وزعم أهل

الاسكندر أن السود منها هى المحمودة وأن السواد أصل لونها وانما قلبته التربة فخال ويكون فيها المليح ويقال ان أول من صاد بها قسطنطين ملك عمورية حكى انه خرج يوما يتصيد بالبزاة حتى انتهى الى خليج القسطنطينية وهو المسمى بحر بنطش فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فنظر الى شاهين ينكفئ على طير الماء فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته والحاحه على الصيد فأمر له أن ينصب له حتى صيد فأخذه وضرّاه ثم ريضت له بعد ذلك الشواهين وعلمت أن تحوم على رأسه اذا ركب فتظله من الشمس فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فاذا نزل وقفت حوله (الوصف والتشبيه قال صلاح الدين الصفدى ملغزا فى بجع)

ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره كبطنه * والرأس منه فى الذنب

(محيي الدين) بن عبد الظاهر

بى من أمير شكار * هو يذيب الجوانح
لما حكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

(نقلت من كتاب المصائد والمطارد) لابى الفتح كشاجم قيل لمن كان مدمنا للصيد من حكماء الملوك انك قد أدمنت هذا وهو من خير الملاهى وفيه مشغلة عن مهم الامور ومراعاة الملك فقال ان للملك فى مداومة الصيد حظوظا كثيرة أقلها تتبعه فى أصحاره مواقع العمارة من بلاده فى النقصان والزيادة فان رأى من ذلك ما يسره بعثه الاغتباط به على الزيادة فيه وان رأى أمرا ينكره جرّد عنايته له ووفرها على تلافيه فلم يستتر عنه حال ورأس الملك العمارة ولم يخرج ملك للصيد فيرجع بغير فائدة أما حدائه تحمله فيمرّنها ويكفه من غرب جماحها وأما شهوته فينشيها وأما فضول بدنه فيذيبها وأما مراودة ومفاضلة فيسلها وأما ان يكون قد طويت عنه حال مظلوم فيتمكن من لقائه ويرجع اليه ظلامته فيسلم من مأثمه وأما أن ينكفئ بصيد يتفاءل بالظفر به الى خلال كثيرة لا يجهل ما فيها من الربح ومنه من فضل العلم بالصيد والعادة ما حكاه لى أبى من أبى اسحق ابراهيم بن السدى عن عبد الملك بن صالح الهاشمى عن خالد بن برمك أنه كان نظر وهو مع صالح صاحب المعلى وغيره من رجال الدعوة وهو على سطح قريه نازل مع قحطبة حين قفلوا من خراسان و بينهم و بين عدوّهم

مسيرة

مسيرة ليال وأيام الى أقاطيع ظباء مقبلة من البرحتى كادت تخالط العسكر فقال لقحطبة ناد فى الناس بالاسراج والالجام وخذ الاهبة فتشوف قحطبة فلم ير شيأ يروعه فقال لخالد ما هذا الرأى فقال أما ترى هذه الوحوش قد أقبلت ان وراءها لجمعا يكشفها فما تمالك الناس أن تأهبوا حتى رأوا طليعة ولولا علم خالد بالصيد لكان الجيش قد اصطلم * ووقف بعض الملوك بصومعة حكيم من الرهبان فاستجاب له فقال له ما اللذة قال كاثر اللذات أربع فعن ايهنّ تسأل قال صفهنّ لى قال هل تصيدت قط قال لا قال ألك حظ بالسماع والشراب قال لا قال فهل فاخرت ففخرت أو كاثرت فكثرت قط قال لا قال وما بقى من اللذات (الجوارح أربعة) البازى والشاهين والصقر والعقاب وما يضاف اليها فنقتصر على ذكر هذه الاربعة اذا كانت أركان الجوارح ومعتمد الملوك عليها فالمبدء به منها البازى يقال باز وبزاة مثل قاض وقضاة و بيزان كغاز وغيزان وبازى وبوازى (قال لبيد بن ربيعة)

لقيت لنا بوازى صائدات * وطيرك فى مكامنها لبود

وأول من تهدى الى الصيد به تقدم ذكره ولا يعرف لحرصه حرصا ولا لجده جدا وفى أخبار نصر بن سيار أن بعض كبراء الدهاقين غدا عليه بطبرستان ومعه منديل فيه شئ ملفف فكشف عنه بين يديه فاذا فيه هيئة شلو باز ودراجة محترقين فقال نصر ما هذا فقال الرجل خرجت ومعى هذا البازى وثارت دراجة فاضطرب عليها وأحست به وقد كنت مررت بقصباء أفسدت أرضالى فأمرت باحراقها فاضطرمت فتحاملت الدراجة حتى اقتحمت النار هاربة واشتد قربه اليها فلم تثنه النار عنها واقتحم فى أثرها فأسرعت فيهما فأدركتهما النار واحترقا فأحضرتهما للامير ليرى بهما ثمرة افراط الحرص وافراط الجبن وما أحسن صورة اجتمع فيها ثلاث بزاة على ظهر فرس فى كف رجل واختلف رأى الملوك فيما مثلته فى تيجانها ولباسها فكانت أمثلة تاج ملك جيلان ولباسه صورة بزاة فقيل له فى ذلك فقال وجدت الانسان يحمله الفرس ووجدت البازى يحمله الانسان لينال عليه لذته وبغيته وطرده ووجدته أيضا ملك نوعه واذا كنت أجله جميعا فى الحقيقة فلا اعاب به فانا فى تمثيله وحمله مثالا فى لباسى وحلتى أعذر (ومن فضائله) ان الصيد فيه طبع لانه يؤخذ فرخا من وكره من

غير أن يكون حذق ولا تصيد مع أبويه فيصيد ابتداء من غير ضرية ولا استجابة وليس ذلك في الصقر والصقر بعكسه ومن ملح أخباره وأمثاله أن خالد بن برمك قال بينا أبو أيوب الكاتب جالس في أمره ونهيه اذ أتاه رسول المنصور فامتقع لونه فلما رجع تعجبنا من حاله فقال أنا أضرب لكم مثلا زعموا أن البازي قال للديك ما في الارض حيوان أقل وفاء منك قال وكيف ذلك قال أخذك أهلك بيضة فحضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم ونشأت بينهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو اليك أحد الا طرت مرة كذا ومرة كذا وصوّت وحذرت وانا مسوني من الجبال فعلموني وألقوني في الهواء فآخذ صيدي فأجيء به الى صاحبي فقال له الديك انك لو رأيت من البزاة في سفافيدهم مثل الذي رأيت من الديوك لكنت أنفر مني ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم ما تعجبتم من خوفي مع ما ترون من تمكن حالي وأقول ان هذا المثل يتصل به معنى حسن لكفاءة السلطان وأعوانه وهو أنه ينبغي لتابع السلطان أن يجتهد في توفير الحظ واجتلاب المنافع اليه حتى يكون كالبازي الذي دفع عن نفسه ما وقع الديك فيه برغبة صاحبه في كسبه ووده ولم يقنع له بالسلامة حتى أكرمه بالدستبان وأركبه يده وحلاه الجلجل وأطعمه من خاص كسبه ومن غير كسبه وعجز الديك عن هذه الفضائل والمكاسب واقتصر على شهوة السفاد والترفه واللفظ فحل به ما حل (أمارات الجراءة فيه) يمتحن ذلك بان ينصب في بيت مضيء ثم يقطع عنه الضوء ويسد ما يدخل اليه من النور فاذا أظلم البيت دنوت من البازي فلمسته مسرعا فان وثب على يدك وقبضها فهو جريء بصيد عظام الطير وان تقبض وسكن فليس كذلك ومن أمارات القوة أن يشد في زاوية البيت وينظر أين يبلغ بزرقه من الحائط فأرفعها زرقا أشدها قوة وتدل قوته على طيرانه وصيده (ومن ملح ما ورد في التعريض باسمه) ما قاله بعض التميميين لرجل من نمير ما أحسن صيد البازي فقال له النميري لاسيما اذا أرسل على القطا اراد التميمي

أنا البازي المطل على نمير * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد النميري

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(قلت) وما أحسن جواب بعض الشعراء وقد حضر بين يدي أمير يمدحه فقال

فقال له الامير ممن الرجل فقال من بني تميم فقال الذين يقول فيهم القائل * تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * فقال بتلك الهداية جئتك فخجل الامير وسأله كتمانها بعد الاجازة (الاوقات المحمودة للصيد) يوم الغيم الذي لا مطر فيه ويوم المطر للقصف ويوم الصحو للقاء الناس والملوك تغلس للطرد لان الطرائد في ذلك الوقت تكون رابضة فتستثار وفيها أثر النوم وأما يوم الصيد فالسبت (وقد قيل في ذلك)

لنعم اليوم يوم السبت حقا * لصيد ان أردت بلا امتراء

والاختيار في باب النجوم فهو اختيار الحرب والوجه أن يكون صاحب السابع في الطالع فيكون المتبوع مأسورا ويكون القمر ناظر الاحد السعدين أو متصلا به في برج ذات أربع قوائم قال أبو سهل النوبختي وصاحب الطالع فيه الزهرة والمشتري يسعدها بنظره وهذا معدن من معادن علم النجوم (الشيخ جمال الدين بن نباتة) يقرض رسالة بندقية ومن بندقية لها الشرف الرفيع على كل قول والطرف البعيد على كل ذي صوغ من اللفظ وصول وصف فيها الرياض فكأنما وصف كلامه وذكر فيها الواجب فكأنما ذكر بحقوق هذه الصناعة قيامه فما قوس السماء بدا في مصباغات غلائله ورمى ببندق برده الجذب في مقاتله بأبهج من وصفه لتلك القسي المذبحة الجافيه المنعطفة الجانية الاعلى الطير الممتنع الصائبة بعيون أوتارها شمله المجتمع قسي قاسية الجوانح لينة الاعلى الجوارح طالعة أهلتها بفناء السوانح والبوارح مبتذلة مكرمة صامتة الا انها الذوات الجوارح مكلمة قادرة على العطاء والعطب باهرة الفضائل التي لولا بدائع الصنع لما نبتت منها في عصب قد ألفت الرياض فلبست بعض برودها وطلبت شأو السماء فنثرت مثل عقودها تقوم بالواجب وتعين بعين وحاجب وتأخذ على الطير المطار وتذكر قيامها تحته وهي غصن فتطالبه بأوتار كأن كل قوس منها حاجبان وقبضته البلج وكأن بندقها طالب ما فتح باب نجاح وجناح الاوج وجح ومن غزالية غزلية يراعية أسلية تقنص فيها شوارد الحكم وقيد أوابد المعاني بجناح القرطاس ومخلب القلم وتصرف من تقريظ مواطن الصيد في باب المنايا والمنايح وتلطف في الاقوال التي لو شاء لعطفت عليها الظباء السوانح وأنى

بعيون الدرر التى نظمت وفنون الحلل التى رقمت لا بالجزع الذى لم يثقب من عيون الوحش ولا بعناديل أعراف الجياد التى غيرها المس والمش حتى عرف البلغاء أنها أقوى على دفع الخطب وجمع الخطب وأن أقلامهم اذا شاركت قلمه فى المعانى كان منه الصيد ومنها الحطب وان غزالا وصفه قد سرف على الغزاله وزهى بما حشد من التقريظ وغزاله فلو استطاع الشكر منه كرما لسطر مدحه فكان الخط دواة والقرن قلما على أن عدل قلمه لو شاء لم ترع ظبية فى مداها ولم تخف من مناسر البزاة حد مداها ولم تبلغ يد منهم من ريم مراما ولكانت عينه بل كل عين فى جسده من أعين الظباء حراما (وله فيها)

اسعد بها يا قرى بوزة * سعيدة الطالع والغارب

صرعت طيرا وسكنت الحشى * فانها عديت عن الواجب

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة طردية) حاملين قسيا كالأهله لا جرم أنها تقصر لذوات الجناح عمرا متأبطين حرا وآت يقول الطير عن حواملها هذا الذى تسميه العرب تأبط شرا (ومن انشاء القاضى شهاب الدين محمود الحلبى) وبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتسير من الافق الغربى الى موضع رمسها وتغازل عيون النور بمقلة أرمد وتنظر الى صفحات الورد نظر المريض الى وجوه العود فكأنها كئيب أمسى من الفراق على فرق أو عليل تقضى بين صحبه بقايا مدة الرمق وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حلته المموهة بذهب شعاعها

والطل فى أعين النوار تحسبه * دمعا تحير لم يرقى ولم يكف

كلؤلؤ ظل عطف الغصن متشحا * بعقده وتندى منه فى شنف

يضم من سندس الاوراق فى صرر * خضر ويجنى من الازهار فى صدف

والشمس فى طفل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به الهوى فتراءهم على شرف

الى ان نضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها وولائدها فلبثنا بعد اداء الفرض لبث الأهله ومنعنا جفوننا أن ترد النوم الا تحله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع واكليله مجوهر وأديمه معنبر وبدره فى خدر سراره مستكن وفجره فى حشا مطالعه مستجن كأن امتزاج

لونه

لونه بشفق الكواكب خليط مسك وصندل وكأن ثرياه لامتداده معلقة بامراس كتان الى صم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كأنها * عقود على خود من الزنج تنظم

محلقة فى الجو تحسب أنها * طيور على نهر المجرة حوم

اذا لاح بازى الصبح ولت يؤمها * الى الغرب خوفا منه بسر ومرزم

الى حدائق ملتفه وجداول محتفه اذا جش النسيم غصونها اعتنقت عناق الاحباب واذا فرك من المياه متونها انسابت فى الجداول انسياب الحباب ورقصت فى المناهل رقص الحباب وان لثم ثغور نورها حيته بأنفاس المعشوق وان أيقظ نواعس ورقها غنته بألحان المشوق فنسيمها وان وشميمها بعرف الجنان عنوان ووردها من سهر نرجسها غيران وطلها فى خدود الورد مهتد وفى طرز الريحان حيران وطائرها غرد وماؤها مطرد وغصنها تارة يعطفه النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فيظنها قوم همزة على ألف مع ما فى تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح نشر الروض وكلما نم الماء شمخ القضيب

وكأنما تلك الغصون وقد ثنت * أعطافها رسل الصبا أحباب

فلها اذا افترقت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب

وكأنها حول العيون مواسا * شرب وهاتيك المياه شراب

فغديرها كأس وعذب نطاقها * راح وأضواء النجوم حباب

ضبط يلق ماؤه ساصاف وظلال دوحها ضاف وحصباؤها بصفائها فى نفس الامر را كد وفى رأى العين طاف اذا دغدغها النسيم العليل حسبت ماءها بتمايل الظلال فيه يتبرج ويميل واذا اطردت عليه أنفاس نسيم الصبا ظننت أفياء تلك الغصون هوى يمثلها فى قلبه وكأن النسيم أيضا كلف بها غار من دنوها اليه فيلها عن قربه والسرو مثل عرائس لفت عليهن الملاء شمرن فضل الازر عن سوق خلاخلهن ماء والنهر كالمرآة تبصر وجهها فيه السماء وكأن صواف الطير المبيضة بتلك الملق خيام أو قباب على الرقتين قيام وأباريق فضة رؤوسها لها فدام ومناقيرها المحمرة أول ما انسكب من المدام وكأن رقابها رماح أسنتها من ذهب أو شموع أسود رؤوسها ما انطفى وأحمرها ما التهب وكنا

كالطيراز الجليل مده وكطراز العمر الاول جده

من كل أبلج كالنسيم لطافة * صف الضمير مهذب الاخلاق
مثل البدور ملاحة وكعمرها * عددا ومثل الشمس فى الاشراق

ومعهم قسى كالغصون فى لطافتها ولينها والأهلة فى نحافتها وتكوينها والازهار فى ترافتها وتلوينها بطونها مدبجه ومتونها مدرجه كأنها كوكب الشولة فى انعطافها أو أوراق الظباء فى التفافها لأوتارها عند القوم أوتار ولبنادقها فى الحواصل أوكار اذا انتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه واذا انتضت لرمى بدت لها أنه أحق بها أن تصيبه ولعل ذلك الصوت زجر لبندقها ان يبطئ فى سيره أو يخطئ الغرض الى غيره أو وحشة لمفارقة أفلاذ كبدها واسف على خروج بنيها عن يدها على أنها طالما نبذت بنيها بالعراء وشفعت لخصمها التحذير بالاغراء

مثل العقارب أذنابا معقدة * لمن تأملها أو حقق النظرا
ان مدها قرمنهم وعاينه * مسافر الطير فيها وانبرى سفرا
فهو المسىء اختيارا اذ نوى سفرا * وقد رأى طالعا فى العقرب القمرا

ومن البنادق كرات متفقه السرد متحدة العكس والطرد كأنما خرطت من المندل الرطب أو عجنت من العنبر والورد تسرى كالشهب فى الظلام وتسبق الى مقاتل الطير مسددات السهام

مثل النجوم اذا ما سرن فى افق * عن الأهلة لكن نونها راء
من فاتها من نجوم الليل ان رمقت * الاثبات يرى فيها وأضواء
تسرى ولا يشعر الليل البهيم بها * كأنها فى جفون الليل اغفاء
ويسمع الطير اذ تهفو قوادمه * خوافقا فى الدياجى وهى صماء

تصونها جراوه كأنها درج درر أودرج غرر أو كمامة ثمر أو كنانة نبل أو غمامة وبل حالكة الاديم كأنما رقت بالشفق حلة ليلها البهيم

كأنها فى وضعها مشرق * تبدت منه فى الدجا الانجم
أودعة قد أطلعت قوسها * ملونا وانبعثت تسجم

فاتخذ له كل مركزا وتقاضى من الاصابة وعدا منجزا وضمن له السعد أن يصبح لمراده محرزا

كأنهم

كأنهم فى يمن أفعالهم * فى نظر المنصف والجاحد
قد ولدوا فى طالع واحد * وأشرفوا من مطلع واحد

فسرت علينا من الطير عصابه أظلتنا من أجنحتها سحابه من كل طائر أقلع يرتاد مرتعا فوجدوا السكون مصرعا وآنف يبغى ماء جاما فورد ولكن السم منقعا وحلق فى الفضاء يبغى ماء عباقبات هو وأشياعه للقسى سجدا ركعا فتبركا بذلك الوجه الجميل وتداركا أوائل ذلك القبيل فاستقبل أولنا تم بدره وعظم فى نوعه قدره كأنه برق كرع فى غسق أو صبح عطف على بقية الدجى عطف النسق تحسبه فى أسداف المنى غرة تحج وتخاله تحت أذيال الدجى طرة صبح عليه من البياض حلة وقار وله كرة من عنبر فوق منقار من قارله عنق ظاليم والتف تقريم وسرى غيم يصرفه نسيم

كلون المشيب وعصر الشبا * ب ووقت الوصال ويوم الظفر
كأن الدجى غار من لونه * فأمسك منقاره ثم فر

فأرسل اليه عن الهلال نجما فأسقط منهما كبيرا ساقط جما فاستبشر بنجاحه وكبر عند صباحه وحصله من وسط الماء بجناحه وتلاه كى تنقى اللباس مشتعل شيب الراس كأنه فى عرانين يشبه لأوائله كبيرا ناس ان أسف فى طيرانه فغمام وان خفق بجناحه قطع له بيد النسيم زمام ذو عيبة كالجراب ومنقار كالحراب ولون تغرفى الدجى كالنجم ويخدع فى الضحى كالسراب ظاهر الهرم كأنما يخبر عن عاد ويحدث عن أرم

ان عام فى زرق الغدير حسبته * مبيض غيم فى أديم سماء
أوطار فى أفق السماء ظننته * فى الجو شيخا عائما فى ماء

متناقض الاوصاف فيه خفة الجهال تحت رزانة العلماء

فثنى الثانى اليه عنان بندقه وتوخاه فيما بين أصل رأسه وعنقه فخر كمارد انقض عليه نجم من أفقه فتلقاه الكبير بالتكبير واختطفه قبل مصافحته من الماء وجه الغدير وقارنته أوزة حلتها دكنا وحليتها حسنا لها فى الفضاء مجال وعلى طيرانها خفة ذوات التبرج وخفرويات الحجال كأنما عبث فى ذهب أو خاضت فى لهب تختال فى مشيتها كالكاعب وتتأنى فى خطوها كاللاعب وتعطو بجيدها كالطير الهيهر وتتدافع فى سيرها مشى القطاة الى الغدير

اذا أقبلت تمشى بخطرة كاعب * رداح وان صاحت فصولة خادم
وان أقلعت قالت لها الريح ليت لى * خفاذى الخوافى أو قوى ذى القوادم
فأنعم بها فى البعد زاد مسافر * وأكرم بها فى القرب تحفة قادم

فلوى الثالث جيده اليها وعطف بوجه قوسه عليها فلحت فى ترفعها عنه ثم نزلت على حكمه مذعنه فأعجلها عن استكمالها الهبوط ورفعها قبل استقرارها السقوط واستولى عليها بعد استمرارها القنوط وحاذتها الغلغة تحكى لون وشيها وتصف حسن مشيها وترى عليها بغرتها وتنافسها فى المجالس كغرتها كأنها مدامة قطبت بمائها أو غمامة سفت عن بعض نجوم سمائها

بغـــرة بيضاء ميمونة * تشرق فى الليل كبدر التمام
وان تبدت فى الضحى خلتها * فى الحلة الدكنا برق الغمام

فنهض الرابع لاستقبالها ورماها عن فلك سعده بنجم وبالها فجدت فى العلو مده وطارت امام بندقه ولولا اطراد الصيد لم تك لذه وانقض عليها من يده شهاب حتفها وأدركها الاجل لخفة طيرانها من خلفها فوقعت من الافق فى كفه وفرت من ثنايا واصفها عن صفة وأتت فى اثرها أنيسة آنسه كأنها العذراء العانسه أو الارماء الكانسه وعليها خفر الابكار وخفة ذوات الاوكار وحلاوة المعانى التى تجلى على الافكار ولها أنس الربيب واذلال الحبيب وتلفت الزائر المريب من خوف الرقيب ذات عنق كالابريق أو الغصن الوريق قد جمع صفرته النهار الى حمرة الشفق وصدر بهى الملبوس شهى الى النفوس كأنما رقم فيه النهار بالليل أو نقش العاج بالابنوس وجناح يحميها من العطب يحكى لونه المندل الرطب لولا أنه حطب مدبجة الصدر مفوفه أضاف الى الليل ضوء النهار لها عنق خاله من رآه شقائق قد سحت بالبهار فوثب الخامس منها الى الغنيمه ونظم فى سلكه تلك الدرة اليتيمه وحصل بتحصيلها بين الرماة على الرتبة الجسيمه وأتى على صياحها حبرج تسبق همته جناحه ويغلب خفق فؤاده صياحه مدبج المطا كأنه خلع حلة منكبيه على القطا ينظر من ذهب ويخطو على عود من لهب

يزور الرياض ويجفو الحياض * ويشبه فى اللون كدر القطا
ويهوى الزروع ويلهو بها * فلا يرد الماء الاخطا

فبدره

فبدره السادس قبل ارتفاعه وأعان قوسه بامتداد باعه فخر على آلائه كبسطام بن قيس وانقض عليه راميه فحصله بحذق وحمله بكيس وتعذر على السابع مرامه ونبا به عن بلوغ الارب مقامه فصعد هو وترب له الى جبل وثبت فى موقفه من لم يكن له بمرافقته قبل فعن له نسر بقوادم شداد ومناسر حداد وخوافى مداد كأنه من نسور لقمن بن عاد تحسبه فى السماء ثالث أخويه وتخاله فى الفضاء قبته المنسوبة اليه قد حلق كالفقراء راسه وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه واشتمل من الرياش العسلى ازارا واختار العزلة ولا تجد له الا فى قنن الجبال الشواهق مزارا قد شابت نواصى الليالى وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث فى معقل أشب

مليك طيور الارض شرقا ومغربا * وفى الفلك الاعلى له أخوان
له خال فتاك وحلية ناسك * واسراع أقدام وفترة وان

فدنا من مطاره وتوخى ببندقة عنقه فوقع فى منقاره فكأنما قد هدم منه صخرا وتوخى أو هدم به بناء مشمخرا ونظر الى رفيقه مبشرا له بما امتاز به عن فريقه واذا به قد أظلته عقاب كاسر كأنما قد أظلت صيدا قد أفلت من المناسر ان حطت فسحاب انكشف وان أقامت فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا الدى وكرها العناب والحشف بعيدة ما بين المناكب اذا أقلعت لجت فى علو كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب اليها الثامن وثبة ليث وثق من حركاتها بنجاحها ورماها بأول بندقة فما أخطأ قادمة جناحها فأهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب باسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر يخادع الجو عن عقابه ويستنزل الاعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع فى أوج جوها من الحضيض ونزلا الى الرفقه جزاين بربح الصفقه فوجد التاسع قد مر به كركى طويل السفار سريع النفار شهى العراق كثير الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه فى الجو حفيف ولا ديه لون سماء طرأ عليها غيم خفيف تحن الى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح

له شية حمراء فى رأسه كوميض جمر تحت رماد أو بقية جرح تحت ضماد أو فص عقيق سفت عنه بقايا ثماد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كأنما هو نون على عود من أبنوس

اذا بدا فى افق مقلعا * والجو فى الماء تفاويقه
حسبته فى لجة مركبا * رجلاه فى الافق مجاذيفه

فصبر عليه حتى جازه مختلبا وعطف عليه مصلبا فخر مضرجا بدمه وسقط مشرفا على عدمه ولما أنالت لدى الكواسر من أظفار المنون واصابه القدر بجبة من حماء مسنون فكثر التكبير من أجله وحمله راميه من على وجه الارض برجله وحاذاه غرنوق حكاه فى زيه وقدره وامتاز عنه بسواد رأسه وصدره له ريشتان ممدودتان من رأسه الى حلقه معقودتان من اذنه الى مكان سبقه له من الكراكى أوصافه سوى سواد الصدر والرأس ان شال رجلا وانبرى قائما ألفيته هيئة برجاس فأصغى العاشر له منصتا ورماه ملتقما لنقر كأنه صريع الاشجان أو نزيف بنت الجان فأهوى الى رجله بيده وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده وتبعه فى المطار ضوع كأنه من النضار مصبوغ تحسبه عاشقا قد مد صفحته أو بارقا قد بدت لمحته

طويلة رجلاه مسودة * كأنما منقاره خنجر
مثل عجوز رأسها أشمط * جاءت وفى رقبتها معجر

فاستقبله الحادى عشر ووثب ورماه حين حاذاه من كثب فسقط كفارس تقنطر عن جواده أو وامق احتسب حبة فؤاده فحمله بساقه وعدل به الى رفاقه واقترن به مرزم له فى السماء سمى معروف ذو منقار كصدغ معطوف كأن رياشه فاق اتصل بشفق أو ماء صاف علق بأطرافه علق له جسم من الثلج على رجلين من نار اذا أقلع ليلا قلت صبح فى الدجى نار فانتحاه الثانى عشر بسهمه ورماه فصمما فأصابه فى زوره وحصله من فوره وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره والتحق به شبيطر كأن مدته مسطر ينحط كالسيل ويكر على الكواسر كالخيل ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل يتلوى فى منقاره الايم كتلوى التنين فى الغيم

تراه فى الجو ممتدا وفى فمه * من الافاعى شجاع أرقم ذكر
كأنه

كأنه قوس رام عنقه يدها * ورأسه رأسها والحية الوتر

فصوب الثالث عشر اليه بندقه فقطع الحية ودق عنقه فوقع كالصرح الممرد أو الطرف الممتد وأتبعه عنان أصبح فى اللون ضده وفى الشكل ندّه كأنه ليل ضم الصبح الى صدره وانطوى على هالة بدره

تراه فى الجو عند الصبح حين بدا * مسود أجنحة مبيض حيزوم
كأسود حبشى عام فى نهر * وضم فى صدره طفلا من الروم

فنهض تمام القوم الى التتمه وأسفرت عن نجح الجماعة تلك الليلة المدهمه وغدا ذلك الطير الواجب واجبا وكمل العدد به قبل ان تطلع الشمس غيبا أو تبرز حاجبا فيا لها حضرت بابها الصوادح فى الفضاء المتسع ولقيت فيها الطير ما طارت من قبل على كل شمل مجتمع وأصبحت أشلاؤها على وجه الارض كفرائد صانها النظام أو مشرب كأن رقابها من اللين لم يخلق لهن عظام وأصبحنا مثنين على مقامنا منثنين الى مستقرنا ومقامنا * كتب القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى وهو بين يدى السلطان الى نائب الشام المحروسة صحبة طيور أرسلها اليه من رأس قلمه ولازالت مواهبنا تخصه بالمزيد وتتحفه بما يريد وتجعل له من الجوارح ما تعترف له السهام بأنها بغير جناحيه لا تصيب ولا تصيد صدرت هذه المكاتبة الى الجناب العالى بسلام جميل الافتتاح وثناء يطير اليه وكيف لا يطير قادمه بجناح ونعلمه ان مكاتبته المتقدمة الورود تضمنت التذكار من الجوارح بما بقى من رسمه وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تحسب فى قسمه وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يصعد عليها مطار ولا يوقد للقرى فى غير ما يلقها جذوة نار ولا تؤم صيدا الا وترش الارض بدمه فلا يلحق لها بغبار وهى طائر كم لها من فتك أخذ الطير من منامه وسلب ما تحلى به من رياش الريش ثم تزيا بأحسنه ومنها شاهين كم قيل له عن عزيز من الطير فقال شاهين قد أبدعت قوادمه فى وضعها ورسمت فى أجنحتها معانى النصر فبكت عيون الوحش دما على رسمها فالجناب يتسلمها من الواصل بها ويتوصل الى الطيور المحلقة فى السماء بسببها وليشكر نعمنا التى قرت النعم لديه وبسطت فى الارض بالتمكين بين يديه ونوعت له من كرمنا من الخير وخولته فيما تقلدناه من الملك عن سليمان حتى تفقد الطير والله تعالى يجدد سعوده فى شطور الصدور تترا

وجوده بها يقرى وعهوده فى البطش تارة تريش سهما وتارة تجرد صقرا ان شاء الله تعالى * نظر رجل الى رام قصير اليد فى صنعته فقعد فى موضع الهدف فقال له ما هذا فقال له لم أر منك مكانا سالما الا هذا * خرج الحيص بيص الشاعر ليلة من دار الوزير شرف الدين أبى الحسن على بن طراد الزينبى فنبح عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات وكان هبة الله بن الفضل القطان بينه و بين الحيص بيص وقائع فكتب رقعة وعلقها فى عنق كلبة لها جرو ورتب معها من طردها وأولادها الى باب الوزير كالمستغيثة به فأخذت الورقة وقرئت على الوزير فاذا فيها مكتوب

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بفعلة أكسبته الخزى فى البلد
هو الجبان الذى أبدى تشاجعه * على جرو ضعيف البطش والجلد
وليس فى يده مال يديه به * ولم يكن لسواه عنه فى القود
فأنشدت جعدة من بعد ما احتسبت دم الابلق عند الواحد الصمد
تقول للنفس يأسى وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم تكد
كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(قلت) ومن ملح المداعبات ما كتب به الشيخ جمال الدين بن نباتة الى الشيخ بدر الدين حسن الغزى الشهير بالزغارى صورة اجازة أما بعد حمد الله الذى جعلنا من كرم من البشر والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاسئ من فجر وعلى آله وصحبه مانبح الكلب ضوء القمر فقد قرأ على لازال صائدا للحمد من مكمنه صائلا على القرن من مأمنه نازلا منازل العواء فى أحسن افق وأحصنه هذه الفلذة من شعرى قراءة ابتغ بها الاحسان أثرا ودل على جودة القراءة وطالما دل على جود القرى ووجدته قد فاق جرو لا خطابا وافتخر على الكلبى وابنه نسبا وآدابا وبلغت مفاخر قومه على زعم القبائل فلا عمرا بلغت ولا كلابا وعلا ذروة لو سامها ابن كلاب لما قرعها بل ولو نبحها كوكب الكلاب المقدم لما بلغها صوته ولا سمعها والتقى صوت الآداب منه غاد ورائح وامتزج عليها بجوارحه فحبذا ما علم من الجوارح وسعى على ظفر سعيه السريع المديد ونام على المجاراة قرناؤه منام أهل الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وعلمت أن مكاسب آدابه عظام وأكثر فوائده لباب اذا اختلفت فوائد أهل اليسار والنظام

والنظام وان جل ملابسه من جده وكل عزائمه زائدة عن طوقه وجهده وكل رافع طوع طلبه وكل خبير صحبه من عنده لو قارب كلاب بن ربيعة لسلم اليه زمام المكارم ولو حاور جرير الما قال للاخطل هجوت كليبا اذا آل دارم ولو دعى الوحش بلفظه لعطف عليه ذو النفار ولو سابق البرق لما لحق من بديهته الغبار ولو فاخر الدرر وحاكمها الى البحور لا فامته وأقعدها من الفخار ولو ميز حال أضداده لكان الكلب خيرا منها عند ذوى البصائر والابصار تكاد الحمائم تقول أين ضعف سجعنا من قوة هذا النطق الضارى والتبر فى غبار معدنه ينادى أين جواره هذه الطرق من جوار زغارى فأجزت له رواية هذه الابيات وحمايتها وحفظها ورعايتها اتباعا لاشارته واعجابا بما امتاز به على اشباهه من زى النطق واشارته وتمسكا بوفاء نيته الجلية انسابه المغشية أنديته حتى ما نهر كلابه عالما بأنه المفتش على خبايا الفضائل الحامى لمرعى القول حتى ما يذكر الحمى وكليب وائل المتسرع فى تصيد شوارد الآداب الناهض بنصرتها وقد قطع بها الدهر لديه أذناب الكلاب السابق حين يفتر سواه ويلبث المتحمل لاعبائها لا كالقرين الذى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وذلك عند سفره الحافز وبكور عزمه الذى هو عن استيفاء القول حاجز وحركته فى أوقات الشتاء الجامده ورحلته فى ليلة من جمادى لا ينبح الكلب فيها غير واحده والله تعالى يجمع له بين الغنيمة والاياب ويفيض على القلوب ثياب مودته الثابت فضلها على كثير ممن لبث الثياب * ذكر أدهم بن ابراهيم صاحب ادربيجان قال كنت مجتازا على قنطرة الرى فى عسكرى فلما صرت فى وسط القنطرة رأيت امرأة تمشى وقد حملت طفلا لها فى قماطه فصدمها بغل محمل فطرحت نفسها فزعا ووقع الطفل من يدها فى الماء فلما وصل الى الماء غاص زمانا لبعد ما بين القنطرة والماء ثم طفا وسلم من الحجارة والماء يجرى به وأجراف النهر بعيدة عن الماء وفيها أوكار عقبان فحين طفا الطفل رأته عقاب هناك فانقضت عليه ومسكت بمخالبها فى قماطه وخرجت الى الصحراء فأمرت جماعة أن يركضوا خلف العقاب ففعلوا ومشيت أنا فاذا بالعقاب قد وصلت الى الارض واشتغلت بخرق القماط فأدركها القوم وركضوا خلفها حتى شغلوها عن خرق القماط فطارت وتركت الطفل على الارض فاذا هو سالم يبكى فرددناه الى

أتمه * من انشاء المجيد أبى على بن أبى الشخباء العسقلانى رسالة طردية نقلتها
من خط الوداعى من أصبحت نعمه سوارح واستعبدت منته القلوب
والجوارح فأصبح لها المجد مقرا ولغرائب السودد والثناء مقرا مثل حضرة
مولاى أطال الله بقاه تطلبت له الانفس الثار ونعصت له الملاذ والمسار ومما
يظرف به العبد مولاه أسنى الله قدره وأعلاه انه خرج يوما مع أناس قد وصلوا
يومهم بأمس كل منهم يهتز للاكرومه ويأوى الى شرف الارومه على خيل
مسومه مثقفة مقومه من بين جون أدهم أذكى من فارسه وأفهم أغر محجل
وعدة معجل كان اسوداد اهابه اذا ضاهى به ليل رمت البلاد شهبه شبهة
العين والارض نهبه اذا زاغ عن سنان أو عطف اعنان ظننته صد عن
مواصله وانفصل عن مفاصله واشقر كالطراف عبل الاطراف نهد كريم له
سائق قريم كأنما خرط من عقيق أو تردى برداء من شقيق يجرى كهوج
ويعلو كموج وينزل كوابل ان قرعت عرفه سابق طرفه وان أوردته
الطراد أوردك المراد وكميت كالطود ذى وظيف كذراع العود يلطم الارض
بزبر وينزل من السما بخبر وهملاج أشهب ان فجرته الهب أديمه روضة
بهار ينظر من ليل فى نهار ينقلب انسياب الايم ويمر مر الغيم لا ينبه النائم
لو عبر به ولا يحرك الهواء فى مسربه أخف وطأ من طيف واوطى ظهرا من
مهاد ضيف فلم يزل بنا المسير وكل فى طاعة صاحبه أسير الى أن سادفنا واديا
كان لعبوتنا باديا فاقطعناه عرضا حتى أتينا أرضا كأنما فرش قرارها
بزبرجد وصبغت نوارها من لجين وعسجد قد رقرقت فيها السحاب دمعها
وأحسنت قيعانها جمعها نسيمها سقيم وظلها مقيم وماؤها جورى وتربها
شجرى فهى تهدى للناشق أنفاس المعشوق الى العاشق كأن غدرانها
فى اخضرار رياضها وجداولها فى اسوداد بياضها بدور معاكات وبروق
فى متون غمام تسلسلت طائرها كسال وظباؤها ارسال ذات قرون معقفه
كأذناب العقارب وبطون مبيضة كالنهار السارب مضمخة الاجسام
بخليط صندل وجساد قد اكتست أطيارها فأغربت وتغنت بلغاتها
فأطربت كأن الامانى فتحت لها أبوابا والرياض خلعت عليها أثوابا اذا
شغفت للبكاء وأعانت بالحكاه أبت الطباع على نغمات الموصلى فى نغمات

البابلى ومجت الاسماع شدو الفريض بمرقق القريض فعند ذلك يممنا
ظل شجرة هنالك ذات جدول متكسر فى مسلك متيسر وكأن أعلاه بطن جان
وقرارته مساقط در ومرجان فلما وردنا عليها وانضفنا اليها حنت علينا
أغصانها حنو الوالد وألحفتنا أوراقها بظل خالد وأتحفتنا من ثمارها بطارف
وتالد فأصبنا من ثمرها قليلا ونقعنا بماء جدولها غليلا ثم نهضنا نطلب
الاوابد نستثير كوامنها والاوابد وقد يسرنا مقاود الكلاب وشركا فى
البحث والطلاب كل كلب منهما غلوب ولا رواح الطرائد سلوب ذو خطم
مخطوف ومخلب كصدغ معطوف بقوائم كالذوابل ومتن كالغصن الذابل
غائب الخصر حاضر النصر كأنما المت هامته من فهر وخط ما دون عينيه
بجهر له طاعة تهذيب واخلاس ذيب وتلفت مريب وحذاقة تدريب
له من الطرف أوراكه ومن الطرف ادراكه ومن الاسد صوله وعراكه
اذا طاب فهو ممنون واذا انطوى فهو نون واذا استرسل فهو خط على الارض
مظنون فسنح لاحدها غزال والمقود عنه مزال فاسترسل عليها وهرب وجد
فى طلبه فانسرب فأنبرا فى أسلوب ما بين سالب ومسلوب اذا مرق الاول
كالسهم تبعه الثانى كالوهم فللظبى حذ على جناح وحل وللكلاب اندساط
أمل فى سرعة أجل الى أن جمعه وبنفسه فجعه دامى المجروح بادى القروح
مستسلما لسالب الروح فعاجلناه بالذكاة وأيقنا بحلول البركات ثم انتحى
بعضنا بفهد ذى صدر رحب نهد كأن قرار ثمرته فى اختلاط بياضه بسمرته
ثوب مصمت معتق مطاق قد فرشت فوقه أقراص عنبر صففتها يد صانع خبير
فشبه ففح فحيح ثعبان وأطلقه على ظبية تدب دبيب عقربان فلما أدركه ناظر
الصيد ومرت مرور عيبه فاتت أبصارنا بنفرته وسبق أفكارنا بظفرته
وأطمعها عند الادراك من الكتف الى فرجة الاوراك فشقها شق المزاد
ضاقت أفواهها عن خروج المراد وضرعها يضطرب كأن قوائمها تحترب
فبادرناها مهللين وذكيناها محللين ثم ملنا الى الطيور وجوارحنا مطلقة
السيور فقال رجل من أصحابنا أتبعنا عند أصحابنا ذلك الغدير فيه طير يستدير
ينظر من خواتيره ويحتال فى بروز خبره فاستدللنا عليه بالبراهين الى أن
ارتكض قوم من الشواهين أطلقه حامله واقترحت عن شباقته أنامله فر

فى الهواء يتصرف فى الاهواء يذكى جذا واعمالا ويطعن يمينا وشمالا
كأنما أضل فريقا أوجهل طريقا حتى اذا دانى أفق السماء مسامتا الماء
كأنه يمسح الفلك أو يطلب شيأ هلك طرن من خوفه فانحدر وهو سابق
القدر كأنه صخرة منجنيق أوحجر ارسل من رأس نيق له دوى كدوى الرعد
نطق عن الغيث بوعد فانتحى احداهن وقد قرن مداهن فقنعها بيسراه
وقد أضحت من يسراه وشيعها بيمناه وقد بلغ منها مناه ودحاها كأنها كره
طوحت بها ضربة منكره فذكيناها تحليلا وأذقناه منها تعليلا ثم ملنا الى
قسى البنادق من كل ناطقة بالوعد الصادق يعطيك المراد لكرم اعراقها
ويمنعك الفساد من استغراقها ذات بطن كالحاجب المقرون وظهر قد أثرت
فيه الجنادب القرون قد تعصفر أعلاها فرحا باستعلائه واحدد لزدها
أسفا على استيلائه ترن عند الرشق رنين مصابها ويتشكى اليم أوصابها بل
يهجع للنبض سجع الحمامه وينظر عند النقص نظر زرقاء اليمامه ألوان
أوعيتها مختلفه وأكوان تسيرها مؤتلفه كأنها مجارى أنهار بين طرائق
أزهار فسرنا صفوفا فوافينا الطيور رفوفا فلما قطعت فى عراضنا وصارت
منا كاعراضنا قلبت نحوها القسى أبصارا واتخذت من البندق رسلا وأنصارا
فرشقناها مسمعاين واصرع أكثرها مؤملين فخرت تتهافت وأجنحتها
تنقبض وتتكافت كأنما أسبقت الى أقواتها واستنزلتها الفراخ بحسن
أصواتها فبادرناها مكبرين ولنعم الله عليها مكثرين وواجرناها غصص المنايا
بمدى معوجة كالحنايا وأصليناها نارا تلظى تشق بحميمها وتحظى كأنها
عبدة أوثان أو متخذة لها ثان فسبحان من أحل سفك دمائها وأحل للبشر
سبك ذمائها والسلام (السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين
ابن الامدى) فى الفهد

اذا طلب الغزلان فهو منون * وان دار فى طرس الفلاة فنون
وكيف يضل الوحش عنه وجلده * بسودّ ذاك النقط فيه عيون

(وله) فى الصقور

وكأنما فوق الاكف فوارس * فى الخافقين يجلن بين خوافق
أكثرن لبس السابغات أماترى الصدأ الحديد لهن فوق عوائق

(من الكلام الفاضلى) انى رغبت الى مولانا لازالت المرغبات اليه مرفوعه
وثمراتها كثمرات الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعه فى الاحسان بشاهين يجعل
وكيل مطبخى لكثرة ما يجلب اليه من الخير واستنيبه عن صاحب صالح
فهو قدار الطير لا يعتصم منه بغير فجها ولا تلوذ الحمامة بعوسجها قد رقت
يد القدرة على جؤجؤه ديباج أسطره وعرفت أقلامها نون منسره فكأنما
عقد ليحسب ما صاد لمرسله ويوفيه حساب عمله وكأنه منجل أرسل على الطير
بحصاد أجله تأتى بالرزق رغدا وتتخذ عند كل فم يدا ان عاش فأجنحته
للطيور كالقيود وان نوى ورث السهام ريشه فهو ولى عهده فى الصيد وما
أجدر الطير بأن تقول لا تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ومن لا يقنع
برزقه فى الارض حتى يطالب به فى السما * طرديه الشيخ جمال الدين بن نباتة التى
سماها فرائد السلوك فى مصائد الملوك * أثنى شذى الروض على فضل السحب
واشتملت بالوشى أرداف الكثب ما بين نور مسفر اللثام وزهر يضحك فى
الاكمام ان كانت الارض لها ذخائر فهى لعمرى هذه الازاهر قد بسطتها
راحة الغمائم بسط الدنانير على الدراهم احسن بوجه الزمن الوسيم تعرف
فيه نضرة النعيم وحبذا وادى حماة الرحب حيث زهى العيش به والعشب
أرض السنا والبها والمرح والامن واليمن ورايات الفرح ذات النواعير
سقات الترب وأمهات عصفه والاب تعلمت نوح الحمام الهتف أيام كانت
ذات فرع أهيف فكلها من الحنين قلب وكيف لا والماء فيها صب لله ذاك
السفح والوادى الغرد والماء معسول الرضاب مطرد يصبو بها الرائى فكيف
السامع ويحمد العاصى فكيف الطائع اذا نظرت للربى والنهر فار وعن
الربيع أو عن جعفر محاسن تلهى العيون والفكر ربيع روضات
وشحرور وصفر امام كل منزل بستان وبين كل قرية ميدان أما رأيت الورق
فى الاوراق جاذبة القلوب بالاطواق فبادر اللذة يا فلان واغنم متى أمكنك
الزمان ولا تعل مشتى ولا مصيف فكل أوقات الهنا شريف كل زمان ينقضى
بالجدل زمان عيش كيف ما دار اعتدل أحسن ما أذكر من أوقاته وخير
ما أنعت من لذاته مرورنا بالصيد فيه والقنص وحوزنا من مزه أحلى الفرص
وأخذنا الوحش من المسارب وفعلنا فى الطير فوق الواجب لما دنا زمان رمى

البندق سرنا على وجه السرور المشرق فى عصبة عادلة فى الحكم وغلمة مثل بدور التم من كل مبعوث الى الاطيار تظله غمامة الغبار وكل معسول الرضاب أغيد منعطف عطف القضيب الاملد قد حمد القوم به عقبى السفر عند اقتران القوس منه بالقمر لولا حذار القوس من يديه لغنت الورق على كفيه فى كفه محنية الاوصال قاطعة الاعمار كالهلال زهراء خضراء الاهاب معجبه بما نوت بين الرياض المعشبه فاغرة الافواه للاطيار طالبة لهن بالاوتار كأنها حزل المياه نون أو حاجب بما تشاء مقرون لها بنات بالمنى مغدوقه من طينة واحدة مخلوقه سامعة لما تشير الام مع انها مثل الجوارح صم كأنها والطير منها هارب خلف الشياطين شهاب ثاقب وأما الهاشهب كرات تخطف شاهدة بالعزم وهى تقذف حتى نزلنا بمكان مؤنق اخوان صدق أحدقوا بالملق فياله فى الحسن من محل مراد جد ومراد هزل للطير فى أملاقه مواقع كأنها لمائه فواقع فلم تزل فى منزل كريم تروى حديث الرمى عن قديم حتى طوى الافق رداء الورس والتقم المغرب قرص الشمس وابتدر القوم عن المراصد من ساهر ليل التمام شاهد كالليث يسطو كفه بأرقم والبدر يرمى فى الدجى بأنجم بينا الطيور فى مداها سائره اذا هم من عينه بالساهره وأقبلت موا كب الطيور على طروس الجو كالسطور فخبذا السطور فى المهارق مسقوطة الاحرف بالبنادق من كل حق ان يسمى ضياؤه للشرق بدر التم تخاله من تحت عنق قد سما طرة صبح تحت أذيال الدجى وكل تم حسن الوسامه تخاله فى أفقه غمامه كى يتبعه اوزه دكا من دونها الغلغة غرا يقدمها انيسه ملونه تابعة من كل وصف أحسنه وربما مرت لها حبرج كأنه على نضار يدرج وانقض من بعض الجبال نسر له بأبراج النجوم وكر مضبر الخلق شديد الايد يبنى على الكسر حروف الصيد يحث مسراه عقاب كاسبه خافضه لحظ الطيور ناصبه اذا مضت جلتها المعترضه تواصلت خيوطها المفترضه بكل كركى عجيب السير كأنه طيف خيال الطير يحس غرنوقا تهى المجتلا مقدما على الغرانيق العلا وأبيض الغبيم يسمى مرزما كم بات مثل نوء منسجما يحفه شيطر قوى معجزه فى الطير وسوى كم حاش ثعبانا وحم حواه كأنه فى يده عصاه هذا وكم من طائر ممتاز ينعت فى الواجب بالعناز اسود الالمعة فى الصدر كأنها

نور

نور الهدى فى الكفر فلم تزل قسينا الضوارى تصيبها بأعين الاوتار حتى غدت دامية النحور ساقطة منا على الخبير كأنما وهى لدينا وقع لدى محاريب القسى ركع وأصبحت اطيارنا قد حصلت ولم تسئل بأى ذنب قتلت مستبعا وجه العشى وجه السحر وكل وجه منهما وجه أغر يا لك من صيد مقر العين مرضى الصحاب وهو ذو وجهين لم يرض ما وفى من الامان حتى شفعناه بوجه ثان صيد الملوك الصيد بالكواسر والخيل فى وجه الصباح السافر ذلك الذى تصبوله الجوارح فهى الى طلابه طوامح وانفة بالرزق حيث كانا تغدو خماصا وتجئ بطانا سرنا على اسم الله والمسابح نعوم فى الاقطار بالسوابح خيل تحاذى الصيد حيث مالا كأنها أضحت له ظلالا تسعى بها قوائم لا تتبع وكيف لا وهى الرياح الاربع تحفنا من فوقها اغلمان كأنهم من فوقها أغصان ترك تريك فى سماء الملبس كواكبا طالعة فى الاطلس منظومة الاوساط بالسلاح من كل شهم زجل الجناح وكل عضب درب المقاطع يحرف الهام عن المواضع على يد السائر منهم زاده من كل باز قرم فؤاده قد كتبت فى صدره حروف تقرى بما تقرى به الضيوف وكل شاهين شهى المرتمى كبارق طار وصوب قد همى بينا تراه ذاهبا بصيده معتصما بأيده وكيده حتى تراه عائدا من افقه ملتزما طائره فى عنقه أفلح من كان على يسراه حتى غدت حاسدة يمناه وكل صقر مسبل الجناح مواصل الغدو والرواح ذو مقلة لما ضرام واقد تكاد تشوى ما يصيد الصائد كأنما المخلب منه منجل لحصيد أعمار الطيور مرسل يا حبذا طيور جد ولعب تهوى الى الارض وللافق تثب من منقر عالى المدا والشان معظم الاخبار والعيان يصعد خلف الرزق ليس يمهله كأنه من السماء يستعجله ومن عقاب بأسهام وقع كأنها للطير حين تصرع كم جليت لطائر من وهن فكم وكم قد اهلكت من قرن وحبذا كواسر الدواهى عديمة الانظار والاشباه مخصوصة بالطرد القويم حدباء ظهر الذنب الرقيم ذلك لعمرى جذب للرائى تعدل ملك القلعة الحدباء هذا وقد تجهزت اعداد يجمعها الكلاب والفهاد من كل فهد عنترى الحمله اذ رأى شخص مهاة عجله مبارك الاقبال والاعراض مستقبل الحال بناب ماض كأنه من حدة اكتسابه قد أحرق الانجم فى اهابه له على مسائل الجفون خط كخط الالفات الجون

ما أبصر الباصر خطا مثله وكيف لا والخط لابن مقله وكل منسوب الى سلوق أهرت وناب الخطا مشوق طاوى الفؤاد ناشر الاظافر يا عجبا منه لطاو ناشر يعض بالبيض ويخطو بالقنا ويسبق الوهم لادراك المنى كالقوس الا أنه كالسهم والغيم يجلو من شهاب رجم اذا رأى بقر الوحش اندفع كأنه المريخ فى الثور طالع قاصرة عن يده عيناه مشروطة برجله اذناه يشفعه من كل عور عارى مغالب الصيد على الاوكار وأهالها من أكاب طوارد معربة عن مضمر المصائد قد بالغت من طمع فى كسبها فقتشت عن أنفس لم تحبها حتى اذا ائتمت بها الامور حفت بنا الصيد ها الطيور ما بين روضات صعدنا نحوها وحول آفاق ملكنا جوها واستقبلت أطيارها البزاه معلمة كأنها غزاه فلم تزل تطو سطا الحجاج على الكراكى الى الدراج حتى غدت تلك السراة صرعى مجموعة على التراب جمعا على الربى من دمها خلوق كأن كل نبتها شقيق ثم عطفنا للوحوش السانحه فاستقبلت تلك الضوارى الطامحه كلاب صيد بينها سناقر يفعل فى الوحش بها الفواقر يخشى بها العفر على نفوسها فالطير لاشك على رؤسها وللكلاب حولها مغار يكاد أن يقدح منها النار من نحو لسانه لوب يقول هذا كوسج مخضوب يعانق الظبى عناق الوامق ما كان أغنى الطير عن معانق والفهد يشتد على الآجال شذو صى السوء فى الآمال لا يهمل القصد ولا يخون كأن كل جسمه عيون وللزغاريات خلف الارنب حقائق تبطل كيد الثعلب كم مرحت بالهارب الممدود وطوحت بصاحب الاخدود ورب سامرت ظبياء ومهى للنبل أكل فى حشاها مشتهى قد نسجت ملاءة من عنبر تخاط من فروتها بالابر فابتدرت أجنحة السهام صائبة الاعراض والمرامى تجرح كل سانح نفور كأنه بعض شهود الزور كأن أقطار الفلاة بحر بره أو روضة من الدماء مزهره كأن صرعى وحشها كفار الموت عقبى أمرها والنار للمرء فيها منظر أحبه يملأ من شحم ولحم قلبه لله ذاك المنظر المهنا أى معاد عن ذراه عدنا قد ماشت من ظفر أيدينا وقد شكرنا فضل ما حيينا نسير حول الملك المنصور كالشهب حول القمر المنير * من كلام القاضى زين الدين بن الوردى رحمه الله وينهى وصول الصقرين فسر العبد بهذين الجزئين اللذين تحن الجوارح اليهما من وجهين ويعز على ابن المعتز أن

يذكر

يذكرهما فى تشبيهاته شبهين فوقع الصقران من المملوك بموقعه فوق النسر وتأمل نحوهما اذا هما منصوبان ابناء ما ارتفع وانخفض من الصيد على الكسر مثلهما حر كسوفه وأجنحتهما مسبلة كغمائم بره على رعاياه وضيوفه مخالبه كالمناجل لحصاد أعمار أعدائه وأعمار الطير ومناقيرهما كالاهلة المبشرة له ولأوليائه بكل خير فلسان حال كل منهما يقول لمرسليه تفرقوا فبكسبى أجمعكم أجمعكم ويخطف لهم الخطفة ويعود بسرعة فبينما ينظرون بغيته قالوا طائركم معكم فما أحسن ما يعود ويرجع كل واحد منهما من أفقه وقد التزم طائره فى عنقه كم للاقى الطير من حرون وكم أهلكا فى الوحش من قرون فما أحق هذا الخبر بمقابلة الثناء عليه وان تمد المملوك لما بين اليدين كلتا يديه ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرا بكاسرين فرحبا برسوله الذى ان قدم رسول بأيمن طائر فقد قدم هو بأيمن طائرين والسلام * منقول من كتاب الفوائد الجليلة فى الفوائد الناصرية وهو ما جمعه الملك الامجد من شعر والده الملك الناصر صلاح الدين داود بن مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدين أبى المظفر عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر محمد بن الملك الافضل نجم الدين أيوب رحمهم الله تعالى

وظباء كأمثال العذارى سنح * تأوى الى حزن اللوى وسهوبه
فأجابها وهنا وهن روائع * ما بين واديه وبين كثيبه
والروض كهل قد تضوع نبته * فشبابه متلفع بمشيبه
يبكى تداويه الغمائم رحمة * والبرق يضحك رحمة بقشيبه
مستسبق صحب الجلاجل أجدل * يرتاح رائيه الى تقليبه
تغنى شمائله وحسن صفاته * عن نعت مطربه وعن تجريبه
ومخصر الخصر اغتدى فى عدوه * ترفا فخفف ضيائه بوثوبه
عاناه فى تهذيبه ذو فطنة * وبصارة فأجاد فى تهذيبه
فقنصت منها ظبية كانت الى * قلبى الذمن المدام وطيبه
أو قبلة ممن ابرنى صده * خالستها منه برغم رقيبه

(الباب الرابع والاربعون فى خطائر الوحوش الجليلة المقدار المتخذة لنزهة الابصار)

(القول على بقر الوحش) قال ابن أبى الاشعث فى كتابه الذى وضعه فى طبائع الحيوان البقر والاراوى واليحامير والظباء وجميع هذه الانواع ليس بأرضى خالص وينبغى أن يسمى الحيوان الهوائى الارضى لانه خفيف الحركة متمليل شديد العدو على الارض لان حرارة الهواء ليست فيه ذاتية ولا برودة الارض كذلك الا أن برودتها غالبة لحر الهواء لانها فيها اكثر ولما كان كذلك صار بينه و بين الطائر ممازجة ومناسبة وذلك أنه اذا أراد العدو انتصب فى وقفته وطلب مهب الريح ثم استنشقها استنشاق حال طيرانه ثم زج نفسه مستقبلا للريح وربما أصابه مخيف وكانت الريح تجئ من جهته فيحمل نفسه على الجهة التى فيها المخيف وأيضا فانه يؤثر الهواء صيفا وشتاء ولا يستتر منه ميلا اليه ومحبة فيه * وأما المها فيقال ان من طباعها الشبق والشهوة واذا حملت الانثى هربت من الذكر خوفا من عينه بها وهى حامل والذكر افرط شهوته يركب ذكرا آخر واذا ركب واحد منهما شم الباقى روايح المائية فينزى عليه ولا يمنع من يثب عليه بعد والبقر الوحشية أشبه شئ بالمعز الاهلية ولذلك تسمى نعاجا وقرونها صلاب جدا وتمنع بها عن أنفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التى تطيف بها ويقال ان أول من طرد البقر الوحشية ربيعة بن نزار بن معد وانه لما كدها لجأت منه الى حالة فاستترت منه بها فرق لها ورجع عنها (الوصف) كاتب أندلسى يصف بقرة وحشية * عن لنا سرب نعاج يمشين زهوا كمشى العذارى ويتثنين زهوا تثنى السكارى كانما تخلجت بالكافور جلودها وضمخت بالمسك قوائمها وخدودها وكأنما لبسن الدمقس سربالا واتخذن السندس سروالا

من كل مهضمة الحشا وحشية * تحمى مداريها دماء جلودها
وكأنما أقلام حبر كتبت * بمداد عينيها طروس خدودها

(والوصف البديع فى سرعة عدوه قول الطرماح)

يبدو وتضمره البلاد كأنه * سيف على شرف يسل و يغمد

وأما الايل فان أصحاب البحث عن طبائع الحيوان يقولون ان ذكره من عصب لا لحم

لا لحم ولا غضروف ولا عظم وان قرنه مصمت لا تجويف فيه والانثى تقلق للذكر قلقا شديدا ولهذا لا تثبت لنزوه الا فى الفرط مرة واحدة واذا حملت لا تضع الا على السبل والطرق لهرب السباع من الجادة المسلوكة واذا أرضعت أكلت الجعدة لاصلاح لبنها وهى تحب السكينونة فى القمر وتأتى بولدها الى أماكن الماء وتعرفه المواضع التى تهرب اليها اذا احتاجت الى الهرب وهى صخور فيها صدوع وتجويفات ليس لها مدخل الا من مكان واحد وتقف على ذلك المكان وتقابل بجهدها كل حيوان يطلب ضرر ولدها والايل يسمن جدا فاذا سمن اختفى فى موضع لا يعرف خوفا من أن يصاد لسمنه وهو مولع بالحيات وأكلها يطلبها فى كل موضع فاذا انجحرت منه أخذ فى فمه ماء ثم مجها فى الجحر فتخرج له ذنبها فيأكلها حتى ينتهى الى رأسها فيتركها خوفا من السم وربما لسعته فتسيل دموعه الى نقرتين تحت محاجر عينيه يدخل الاصبع فيهما فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع يتخذ درياقا لسم الحيات وهو البازهر الحيوانى واذا لسعه أكل السرطانات فيبرأ وكذلك يأكل التفاح الحامض ان كان زمانه أو ورقه ان لم يكن زمانه فيبرأ ولا ينبت له قرن الا بعد أن يمضى عليه سنتان من عمره واذا نبت قرناه نبتا مستقيمين كالوتدين وفى الثالثة يتشعب ولا تزال الشعب فى زيادة الى تمام سنة وستين وحينئذ يكونان كالشجرتين على رأسه ثم بعد ذلك يلقى قرونه فى كل سنة مرة ثم تنبت واذا نبتا له تعرض للشمس لتصلب فاذا صارا كالشجرتين منعا الاحصار ولا يكاد يفلت اذا طردته الخيل وهو اذا ألقاهما ادخرهما حتى ينبت خلافهما لانهما آلته وليس له سلاح غيرهما يدافع بهما عن نفسه كالترس للجبان لانه لا ينطح بهما الا اذا صلحا لذلك وزعم ارسطو أن هذا النوع يصاد بالصفير والغناء وهو لا ينام ما دام يسمع ذلك والصيادون يشغلونه بالتطريب و يأتون اليه من خلفه واذا رأوه مسترخية أذناه وثبوا عليه وان لم يكن كذلك فليس لهم عليه سبيل واذا اشتد عليه العطش من أكل الحيات أتى غدير الماء فاشتمه وانصرف عنه يفعل ذلك أربعة أيام ثم يشرب الماء فى اليوم الخامس وانما يمتنع من شربه لخوفه على نفسه من سريان السم فى الجسد مع الماء

(قال الشاعر) يصفه بصده عن الماء بحاجز اليه ويذكر محبوبته

هجرتك لاقلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الظاميات الماء لما * تيقنت المنايا فى الورود
تذوب نفوسها ظمأ وتخشى * هلاكا فهى تنظر من بعيد

انتهى من المناهج

(القول) فى الحمار الوحشى ويسمى العير والفراء وهو لا ينزو الا اذا بلغ ثلاثين شهرا ويوصف بشدة الغيرة فهو يحمى غابته الدهر كله ويضرب فيها كضربه لو أصاب أتانا من غيرها ويقال ان الانثى اذا ولدت جحشا كره الذكر الاناث تصيبها فالاناث تعمل الحيلة فى الهرب منه حتى تسلم وهكذا حتى لا يكون فى الغابة غيره ذكر (وحكى) الجاحظ ان أبا الاخضر ذكر عن فحل الغابة انه يستهيم الانثى ويحملها وان الولد لم يجئ منه عن طلب ولكن النطفة البريئة من الاسقام انتجت وذكر أن نزوه على قدر ما يحضره من الشبق لانه لا يلتفت الى دبر من قبل ولا الى ما يلقح مما ينتج فهو لا يريد الولد ولا يعزل ويقال ان الحمار الوحشى يعمر مائتى سنة وأكثر وكلما بلغ مائتى سنة كانت له مبولة ثانية وشوهد منها ماله ثلاث مباول وأربع وهو كشكل الحصير المحشو بين المبولة والمبولة حتى كأن بينهما حاجزا مسدودا ومعادنه بلاد النوبة ويوجد منه ما تكون سنه مغمدة ببياض وسواد يستطيلان فيما استطال من عصبه ويستديران فيما استدار بأصح قسمة وأحسن ترتيب ومن الحمر الوحشية صنف يقال له الاخدرى وهو أطول الحمير عمرا ويقال انه نتاج الاخدرى وهو فرس كان لازدشير بن بابك أفلت من خيله فصار وحشيا فحمى عدة غابات فضرب فيها فكان أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن وخرجت أعمارها من أعمار الخيل وفى هذه الحكاية نظر لذوى الفكر لانه لا يتولد من نوعين مختلفين من الحيوان حيوان يشبه احدهما وانما يكون ممتزجا كالبغل بين الحمار والفرس والضبع والذئب وحكى القولين أبو الحسن على بن رشيق فى كتاب العمدة (ومن رسالة كتبها أبو الفرج الببغا) يصف فيها أتانا مغمدة ببياض وسواد كان لصاحب اليمن كجذار وأما الاتان الناطقة فى كمال الصنعة بأفصح لسان فان الزمان لاطف مولانا أيده الله منها بأنفس مذخور وأحسن منظور وأعجب مرأى وأغرب موسى وأفخر مركوب وأشرف محبوب وأعز موجود وأبهى محدود وكانما وسمها

الكمال

الكمال بنهايته أو لحظها الفلك بعنايته فصاغها من ليله ونهاره وحلاها بنجومه واقماره ونقشها ببدائع آثاره ورمقها بنواظر سعوده وجعلها أجل حدوده ذات اهاب منير وقرى محبر وذنب مشجر وسوى مسوّر ووجه مزج وراس متوج يكتنفه اذنان كأنهما زجان سحيقة الاتصاف بلورية الاطراف جامعة شبها بالربيب بين زمن الشبيبة والمشيب فهى قيد الابصار وأمد الافكار ونهاية الاعتبار غنى عن الحلى عطفها مزرية بالزهر حللها واحدة جنسها وعالم نقشها صنعة المنشئ الحكيم وتقدير العزيز العليم

(القول) فى طباع الظباء من المباهج وهى ألوان تختلف بحسب مواضعها فصنف منها يسمى الاروام وألوانها بيض ومساكنها الرمل وهى أشد حضرا وصنف يسمى العفر وألوانها حمر وصنف يسمى الادم وهى تسكن الجبال وفى هذا اللون من أسرار الطبيعة انه ما رأى ذا روح الا ويعلم ما يريده منه من خير وشر واذا فقد الماء استنشق النسيم فاعتاض به واذا طلب لم يجهد نفسه فى حضره من أول وهلة واذا رأى طالبه قد قرب منه زاد فى الحضر حتى يفوت الطالب وهو يهشم الحنظل حتى يرى ماؤه يسيل من شدقيه ويرد البحر فيشرب من الماء الاجاج كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب تطلب النوى المنقع فيه وهو لا يدخل كناسه الا مستدبرا يستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وله نومتان فى مكنسين مكنس الضحى ومكنس العشاء واذا أسن الظبى وبقيت لقرونه شعب تنح واذا هزل ابيض وهو شنج النساء لا يسمو بالمشى فاذا أراده العدوّ فانما هو النفر والوثب ورفع القوائم معا كما يفعل الغراب فهو أبدا يحجل كما يحجل المقيد وليس له حضر فى الجبال ويصاد بنار توقد له فيذهل لها سيما اذا اضيف الى ذلك تحريك اجراس فانه ينخذل ويرقد ويصاد بالعطش الشديد بأن يحولوا بينه وبين الماء فينخذل ولا يبقى به حراك ألبتة وبين الظباء والحجل الفة ومحبة والحذاق فى الصيد يصيد ونها ببعضها البعض ويوصف بحدة البصر ويسمى باليونانية اسما معناه النظارة والمبصرة ويلحق بهذا النوع غزال المسك وهو أسود ولونه أسود ويشبه ما تقدم فى القد ودقة القوائم وافتراق الاظلاف وانتصاب القرون وانعطافها غير أن لكل واحد منهما نابين خفيفين أبيضين خارجين من فيه فى فكه الاسفل قائمين فى وجهه كنابى الخنزير كل واحد

منهمادون الفتر على هيئة ناب الفيل ويكون بالتبت والهند ويقال ان الغزال يسافر من التبت الى الهند بعد أن يرعى من حشيش التبت وهو غير طيب فيلقى ذلك المسك بالهند فيكون رديئا ثم يرعى حشيش الهند الطيب ويعقد منه مسكا ويأتى بلاد التبت فيلقيه فيكون جيدا والمسك فضل دموى يجتمع من جسدها الى سرها فى وقت من السنة معروف بمنزلة المواد التى تنصب الى الاعضاء وهذه السرر جعلها الله معدنا للمسك فهى تثمره بمنزلة الشجرة التى تؤتى أكلها كل حين فاذا حصل هذا الدم فى السرر ورمت وعظمت فتمرض لها الظباء وتألم حتى تتكامل فاذا بلغ وتناهى حكته بأظلافها وتمرغت فى التراب فتسقطه فى تلك المفاوز والبرارى فيخرج الجلابون ويأخذونه ويقال ان أهل التبت يضربون لها أوتادا فى البرية تحتك بها اذا ألمها السرر فتنقطع وتسقط فاذا سقطت عن الظبى كان فى ذلك افاقته وصحته فانتشر حينئذ فى المرعى وورد الماء

(الوصف) قد ينبغى ان يعلم أن هذا قليل جدا لان الشعراء نقلوا محاسن الغزال الى الغزل وشرحوا بها حال من جذبه الحب وهزل والصفة التى يصفون بها الظبى وصفوا بها الجارية والغلام وصرفوا الحقيقة الى المجاز فيما أرادوه من الكلام (قال بعضهم)

فما مغزل تعطو بجيد كأنه * يمان بأيدى الناظرين صقيل
هضيم الحشا مغضوضة الطرف عالها * بذات الاراك مربع ومقيل
اذا نظرت من نحوه أو تفرست * دعاها احم المقلتين كحيل
بأحسن منها حين قالت صرمتنا * وأنت صروم للخيال وصول

وقال آخر

وسالبة بالحسن والجيد عاطل * ومكحولة العينين لم يكتحل قط
على رأسها من قرنها الجعد وفرة * وفى خدها من صدغها شاهد بسط
يخللها من غيرة الجلد وفرة * ويجمعها من بيض آباطها مرط
وقد أدمجت بالشحم حتى كأنما * ملأتها من فرط ما اندمجت خط

(خواص الايل ومنافعه) من المصائد والمطارد فنه ان ذكره من عصب لا لحم فيه وأن دم كل حيوان يجمد الا دمه ولحمه غليظ مائل الى كموسة السواد وليس

للانثى قرن واذا بخر بقرنه مع كبريت أحمر ذهبت الحيات وكذلك دمه بطحين الكرسنة وقرنه تبخر به الحامل فتتيسر ولادتها

(خواص حمار الوحش) الجحش البرى أجودها لحما ولحم الهرم يولد دما رديئا ومن داوم على أكله لم يكد يبرأ وسرته أطيب ما فيه وكثير من الناس يأكلون الحمار مسموطا ويستطيبون جلده مشويا ويجدون فيه طعم لحم الدراج وشحمه نافع من الكلف فى الوجه اذا طلى به ومن وجع الظهر والكلى العارض من البلغم واذا أحرق حافره وسحق فى الكحل نفع من الغشاوة ودفع وجع العين وزبله اذا خلط بمخ وطلى به الجبين قطع الرعاف ويقال ان الخاتم اذا خرط من حافره وعلق على من يعتريه الصرع نفع منه ودماغه يضاف بماء الكرفس والعسل ويغلى ويسقى من به السل فى الحمام بماء حار على الريق فيبرأ

(خواص بقر الوحش) لحمها غليظ يولد دما رديئا قريبا من السواد وبطنها أطيب ما فيها ودمها أسرع الى الجمود من دم سائر الحيوان ويطبخ لحمها بخل فاذا غلى جدد خل آخر واناثها المها والعين والنعاج وأولادها البراغز والواحد برغز والجآذر جمع جؤذر والذرعان جمع ذرع والبحازج جمع بحزج والفرافر جمع فرفر والفرائر جمع فرير وهو ساعة يولد طلاء وأقاطيعها الاجل والربرب والسرب والصوار

(خواص الظبى) والظبى أول ما يولد طلاء ثم خشف ثم شادن اذا طلع قرنه فاذا تمت قوته فهو شصر ثم جذع ثم ثنى ولا يزال كذلك الى ان يموت لا يزيد على هذا وسأل جعفر بن محمد النعمان بن ثابت أبا حنيفة فقال له ما على محرم كسر رباعية ظبى فقال يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه فقال له أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبى لا يكون له رباعية هو ثنى أبدا ولحمه يولد دما قريبا الى السواد وهو أقل ضررا من لحم البقر وطبخه بالماء والملح أجود والقديد منه أكثر ضررا وأكثر لتحريك السوداء لانه يزداد يبسا ويجود فعله ويقوى وأطيب ما يؤكل فيه كبده مشوية وشحوم الظباء تغذو غذاء كثير وزعمت الحكماء ان دم التيس منها عن شكل ماعز من السموم وانه اذا صب حارا على الحجر الذى يضرب عليه النحاس فتته واذا خلط مع الزنجفر صبغ الياقوت ويخلط معه وهو يابس قرطاس محرق ويعجن بشيرج ويضمد به البواسير فتنفع ومرارته تنفع من الغشاء فى العين

وكبده اذا شويت واكتحل بها او كبد جميع الماعز نفعت واذا دهن الرجل مذاكيره بشحم خصى التيس مع شئ من عسل عند الجماع وجد له لذة ويعجن بعر التيس بخل ودقيق شعير ويضمد به الطحال فينفع واذا احرق وسحق بالخل نفع داء الثعلب وان شرب مع الخل نفع من لدغ الهوام ويخلط دمه يابسا بلاذن ويدهن به الشعر فيغلظه ويطوله

(القول على طبائع الارنب من المباهج) تقول أصحاب الكلام ان قضيب الذكر من هذا النوع كذكر الثعلب أحد شطريه عظم والآخر عصب وربما ركبت الانثى الذكر حين السفاد لما فيها من الشبق وتسفد وهي حبلى وهي قليلة الدرور على ولدها ويزعمون انه يكون شهرين ذكرا وشهرين أنثى وكنت استبعد هذا وأقول انه من الخرافات حتى وقفت عند مطالعتي للكتاب الذي وضعه ابن الاثير في التاريخ وسماه الكامل على حكاية أوقفتني على الاعتراف بعد الانكار * ذكر في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة فقال وفيها اصطاد صديق لنا أرنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج أنثى ولما شقوا بطنه رأوا فيه حريفين فان كان كما زعموا من أن يكون تارة ذكرا وتارة أنثى فيكون كذلك والا فيكون في الارانب كالخنثى في بني آدم يكون لاحدهما فرج الرجل وفرج الانثى ثم أعقب هذه بما هو أعجب منه فقال كنت بالجزيرة ولنا جار له بنت اسمها صفية فبقيت لذلك نحو خمس عشرة سنة فاذا قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لها لحية فكان لها فرج امرأة وذكر رجل والارنب تنام مفتوحة العين وربما جاءها القناص فيأخذها من جهة وجهها وهي لا تبصر وسبب ذلك ان حاجبي عينيها لا يلتقيان فهما مفتوحتان في النوم واليقظة (قلت) ما أحسن ما أنشدني الشيخ بدر الدين البشتكي أحد شعراء العصر بالديار المصرية للشيخ العلامة شهاب الدين بن أبي حجلة مضمنا قول المتنبي

وقوم بالحشيشة ذاب منهم * فؤاد ما يسليه الملام
أرانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

(قلت) هذا التضمين ما سمع مثله لشاعر فانه ضمن عجز البيت الاول والبيت الثاني بكماله ولم يكن للشيخ شهاب الدين فيها غير صدر البيت الاول فتأمله ويقال ان الارانب اذا رأت البحر ماتت ولذلك لا توجد بالساحل وتزعم العرب

ان الجن تهرب منها لموضع حيضها قالوا وهي كالمرأة وتأكل اللحم وغيره وتجتر وتبعر وفي باطن أشداقها شعر وكذلك تحت رجليها وليس شئ قصير اليدين أسرع منها حضرا ولقصرهما يخف عليها الصعود والرقل وهي تطأ في الارض على زمعاتها وهي مؤخرة وائمها مغالطة للطالب حتى لا يعرف أثرها الا أن الكلاب الفارهة والقانص الحاذق لا يخفى عليهما ذلك لانها لا تفعل ذلك الا في السهل الذي يثبت فيه الاثر وربما مشت في الثلج فيقتفى أثرها بكثرة الترداد فيه واذا قربت الى الموضع الذي تريد أن تجثم فيه وثبت اليه

(خواصه) من المصائد لحمها أطيب ما يؤكل بنار لان النار يضعفها هواء الزمان ولحمها من أخف اللحوم وله خاصية في الماليخوليا والصرع وان طلي بدمها الكلف أذهبه وان طبخ أو شوي في جوف قرن نفع من القرحة في الامعاء ويحرق رأسها فيكون سنونا جيدا للجلاء ووبرها يشد به الشريان اذا انقطع وتعلق الاعراب كعبها على الصبيان للعين وأنفحتها تدفع السم اذا شربت بماء السلق وسداب واذا أخذتها المرأة حملت ومخها ودماغها يمنع الشعر المنتوف من النبات وبعرها يدق بالخل للقوباء ومرارتها تطرح في الشراب فتنوم (الوصف) لبعض الاندلسيين من المباهج افراد حوان كأنهن أولاد غزلان بين رواع ينعطف انعطاف البره ووثاب يجتمع اجتماع الكره حال العصب ازاره وصاغ التبر طوقه وسواره قد غلل بالعنبر بطنه وحلل بالكافور متنه كأنما نضح بعبير وتلفع في حرير ينام بعيني ساهر ويفوت بجناحي طائر قصير اليدين طويل الساقين هامان في الصعود تجده وبابك عند الوثوب تؤيده

(القول في النعامة) من المباهج وانما ذكرناه مع ذوات الاربع من الوحوش وان كان ذا جناح لانه عند المتكلمين في طباع الحيوان ليس بطائر وان كان يقنص وله جناح وريش ويعدون الخفاش طائرا وان كان يحبل ويلد وله اذنان بارزان وليس له ريش لوجود الطيران فيه ومراعاة لقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وهم يسمون الدجاجة طيرا وان كانت لا تطير والنعامة تسمى بالفارسية اشترموك وتأويل اشتر جمل وموك طائر فكأنهم قالوا جمل طائر ولما وجد هذا الاسم ظن

الناس أنها نتاج ما بين الابل والطير وبهذا أجرى عليها المثل فى قولهم قيل للظليم احمل قال أنا طائر قيل فطر فقال أنا جمل وربما أكد عندهم القول بالتوليد أنهم رأوا فيه من الجمل الميسم والوظيف والعنق والكرش والخف والجرامة ومن الطير الريش والجناح والمنقار والبيضة ويشبه النعام بالابل فتسمى الانثى منها قلوصا وفى طبعها انها تحضن أربعين بيضة وثلاثين ومن أعاجيبها انها تضع بيضها طولا حتى لو مد عليها خيط لما وجد لشئ منها خروج عن الآخر ثم تعطى كل بيضة منها نصيبها من الحضن اذا كان بدنها لا يشتمل على عدد بيضها وهى تخرج لطلب الطعم فتمر ببيض نعامة أخرى فتحضنه وتنسى بيضها ولعلها تصاد ولا ترجع اليه فتهلك ولهذا توصف بالمرق والحمق ويضرب بها المثل فى ذلك وعلى هذا ينشد قول ابن هرمة

فانى وتركى ندى الاكرمين وقدحا بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعرا * وملحفة بيض أخرى جناحا

ويقال انها تقسم بيضها أثلاثا فمنه ما تحضنه ومنه ما تجعل صفاره غذاء ومنه ما تفتحه وتتركه للهواء حتى يعفن ويتولد من عفنه دواب فتغذى بها فراخها اذا خرجت وهو من الحيوان الذى يزاوج ويعاقب الذكر فى الحضن وهو لا يأنس بالابل ولا بالطير مع مشاركته لهما وكل ذى رجلين اذا انكسرت له احداهما استعان بالاخرى ما خلا النعامة فانها تبقى فى مكانها جاثمة حتى تهلك جوعا ويقال ان الحيوان الوحشى ما لم يعرف الانسان لا ينفر منه اذا رآه ما خلا النعام فانه شارد أبدا وبه يضرب المثل فى الشرود وعظامه وان كانت عظيمة وشديد العدو بها لا مخ فيها ولا مجرى لها وتزعم العرب ان الظليم أصلخ وانه لما كان كذلك عوض عن السمع بالشم فانه يعرف بأنفه ما لا يحتاج معه الى السمع فربما كان على بعد فشم رائحة القناص على اكثر من غلوه والعرب تضرب به المثل فى حاسة الشم وفسر بعض المعتنين بتفسير أمثال العرب (قوله أحمق من نعامه) أن من حمقها اذا أدركها القناص أدخلت رأسها فى الرمل تقدر أنها قد استخفت منه وهو قوى الصبر عن الماء شديد العدو وأشد ما يكون عدوا اذا استقبل الريح وكلما كان أشد لغضوفها كان أشد حضرا وهو فى عدوه يضع عنقه على ظهره ثم يخرق الريح وهو يبتلع العظم الصلب والحجر والدر والحديد فيميعه بحر

قانصته حتى يصير كالماء ويبتلع الجمر حتى ينفذه الى جوفه فيكون جوفه هو العامل على اطفائه ويكون الجمر هو العامل على احراقه وفى ذلك أعجوبتان احداهما التغذى بما لا يغذو والاخرى الاستمراء والهضم وهذا غير منكر لان السمندل وهو كما زعم بعضهم دابة توجد ببلاد الهند وبلاد السند دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل اذا اتسخت ألقيت فى النار المتأججة فيزول منها الزهم ولا تحترق وببلاد الترك جرذان تسلخ جلودها ويتخذ من وبرها مناديل اذا اتسخت غسلت بالنار بان تلقى فيها ولا تحترق وزعم آخرون أن السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ وفيه من الخاصية أنه يدخل النار ويخرج منها ولا يحترق ريشه ويعمل من جلده مناديل الغمر فكما ان خاصية هذا الحيوان فى ظاهره كانت خاصية النعام فى باطنه والباطن فى الحيوان كله أنعم من الظاهر وقد حكى أبو عبيد البكرى فى كتاب المسالك والممالك لما ذكر قابس أن بعض البادية دخل على أميرها بطائر على قدر الحمامة ذكر أصحابه أنهم لم يروه قبل وما عهدوه وكان فيه من كل لون وهو أحمر المنقار فأمر بقص جناحيه وأن يرسل فى قصره فلما كان الليل أوقد بين يدى الامير مشعل فلما رآه الطائر قصده وأراد الصعود اليه فلم يستطع النهوض فلم يزل يجهد نفسه حتى صعد اليه وجلس فى وسطه وجعل يتفلى فيه كما يتفلى الطائر فى الشمس فلما قضى وطره منه نزل والنعام تصاد بالنار كما تصاد سائر الوحوش فانه اذا رآها دهش لها واعتراه فكر فيها فيقف وقوف حيرة فيتمكن منه الصائد (خواصه) من المصائد لم يذكر منها شيأ (الوصف) أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ولرب طيار خفيف قد جرى * مثل الاعصار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة * مشى الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كرعت على ظمأ بكأس عقار
لا يستقربها الاداحى خشية * من ليل وبل أو نهار بوار

(قال الزمخشرى)

يا سائلى اننى أصبحت فى بلد * لا عطله ترتجى لى ولا عمل
ولا غريب ولا لى فيه من أحد * مثل النعامة لا طير ولا جمل

(الطاوس) قال أصحاب البحث عن طبائع الحيوان ان الطاوس فى الطير

كالفرس فى الدواب عزا وحسنا غير أن الناس لا يتبركون به و يكرهون كونه فى دورهم وفى طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق لاسيما اذا كانت الانثى ناظرة اليه والانثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين وكذلك لا يحصل التلوين فى ريش الذكر الا بعد هذه المدة وهى نهاية البلوغ والانثى تبيض مرة واحدة فى السنة اثنتى عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متتابعا و يسفد فى زمن الربيع و يلقى ريشه فى زمن الخريف كما تلقى الشجر ورقها وهى كثيرة العبث بالانثى اذا حضنت وربما كسر البيض ولهذا يحضن بيضه تحت الدجاج والدجاجة لا تقوى على حضن أكثر من بيضتين منها و ينبغى أن يتعاهد الدجاجة بجميع ما تحتاج اليه مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء والفرخ يخرج من البيضة كاسيا كما يخرج الفروخ والطاوس من الطير الذى يبيض بيض الريح و يقال ان عبث الطاوس بأنثاه وان حضنها غيرة منه أن يخرج من البيض ما يشبهه فى حسن ريشه وبهاء خلقه وزعم ارسطو أن الطاوس يعيش خمسا وعشرين سنة وهذا منه حكم لا يعينه الاستقراء (الوصف) أبو الصلت أمية بن العزيز الاندلسى

أهلا به لما بدى فى مشيه * يختال فى حلل من الخيلاء
فالروضة الغناء أشرق فوقه * ذنب له كالروضة الغناء
ناديته لو كان يفهم منطقى * أو يستطيع اجابة لندائى
يا رافعا فوق السماء ولابسا * للحسن روض الحزن غب سماء
أيقنت أنك فى الطيور مماكا * لما رأيتك منه تحت لواء

(وله)

أبدى لنا الطاوس عن منظر * لم ترعينى مثله منظرا
متوج المفرق ان لا يكن * كسرى بن ساسان يكن قيصرا
فى كل عضو ذهب مفرغ * فى سندس من ريشه أخضرا
نزهة من أبصرفى طيها * عبرة من فكر واستبصرا
تبارك الخالق فى كلما * أبدعه منه وماصورا

*(الباب

(الباب الخامس والاربعون فى الاسد الشبل والزرافة والفيل)

وانما بدأنا به أولا لانه أشرف فى هذا النوع لان منزلته فيه منزلة الملك المهيب لقوته وشجاعته وقساوته وجهامة خلقه وشراسة خلقه قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ان اللبوة لا تضع الاجروا واحدا وتضعه بضعة لحم ليس فيها حس ولا حركة فتحرسه من غير حضان ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فى تلك البضعة المرة بعد المرة حتى يتحرك و يتنفس و يتفرج الاعضاء و يتشكل الصورة ثم تأتى أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة أيام من تخليقه وهى مادامت ترضع لا يقربها الذكر ألبتة فاذا مضت على الجرو ستة أشهر كاف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب وطارد الذكر الانثى فان كانت صارفة أمكنته من نفسها وان لم تكن دفعته ومنعته ونفته مع شبلها بقية الحول وستة أشهر من الثانى وحينئذ تألف الذكر وتمكنه من نفسها وللاسد من بعد الوثبة واللصوق بالارض والاسراع فى الحضر اذا هرب والصبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ما ليس لغيره من السباع وربما سار فى طلب القوت ثلاثين فرسخا ولا يأكل فريسة غيره من السباع وهو اذا شبع من فريسة تركها ولم يعد اليها ولو جهده الجوع ولا يأكلها واذا أكل يقيم يومين وليلتين بلا طعام لكثرة امتلائه و يلقى بعد ذلك شيأ يابسا مثل جعر الكلب واذا بال رفع احدى رجليه كالكلب واذا فقد أكله صعب خلقه واذا امتلأ بالطعام فهو وادع وأكل الخفيف أحب اليه من اللحم العريض الغض وهو لا يثب على الانسان للعداوة ولكن للطعم فانه لو مر به وهو شبعان لم يتعرض له وهو مع ذلك حريص بهم واسع النحر ينهش ولا يمضغ قليل الريق ولهذا يوصف بالبخر ولحم الكلب أحب اللحوم اليه و يقال انما ذلك لحنقه عليه فانه اذا أراد التطواف فى جنبات الحى ألح الكلب بالنباح عليه والانذار به فيرجع خائبا النهوض الناس عليه فاذا أراد ذلك بدأ بالكلب حتى يأمن انذاره ومن شأنه اذا أكثر من حسو الدم وأكل اللحم وحلت نفسه منها طلب الملح و يجعله كالحمضة بعد الحلة فيطلبه ولو كان بينه وبينه خمسون فرسخا وهو يوصف بالجبن والجراءة فمن جبنه أنه يذعر لصوت الديك ومن نقر الطست وضرب الطنبور والحبل الاسود والديك

الابيض والسنور والفأرة وقد تكون النار من أسباب اغتراره واغتياله لانه يعتريه ما يعتري الظباء والوحوش عند رؤية النار من الحيرة والعجب بها وادمان النظر اليها والفكر فيها حتى يشغله عن التحفظ والتيقظ ومن حرارته انه يقدم على المعتب الكبير والجمع الكثير ويقابل ولا يرجع من الضرب والجراح ولا يذله ما يصيبه من ذلك بل يقابل بعضه حتى يموت وهو اذا كر لا يفر الا فرا خفيفا مخالسا والاسود أكثر جراءة وجهالة ويقال ان الانثى أجرأ من الذكر والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول انما هي أشرف ومن عاداته انه اذا عاين أحدا لا يفزع ولا ينهزم فان ألجأ الى ذلك وأحس بالصيادين تولى وهو يمشي رفيقا وهو مع ذلك يتلفت ويضمر الخوف ويظهر عدم الاكتراث وان تمكن منه الخوف هرب عجلا حتى يبلغ مكانا يأمن فيه فاذا علم انه أمن مشى مارا وان كان في سهل وألجأ الى الهرب جرى جريا شديدا كالكلب وان رماه أحد ولم يصبه شد عليه فان أخذه لم يضره وانما يخدشه ثم يخليه كأنه من عليه بعد الظفر به واذا شم رائحة الصيادين عفى أثره بذنبه وفيه من شدة البطش ما انه يأتي الجمل الهائج البازل فيضربه بيده فيثني الجمل عنقه اليه كأنه يريد عضه فيضرب بيساره الى مشفره فيجذبه جذبة يفصل بها بين ذوات عنقه وان ألفاه قائما وثب عليه فاذا هو في ذروة سنامه فعند ذلك يضربه كيف شاء ويتلعب به كيف أحب ومن عجيب أمره أنه لا يألف شيأ من السباع لانه لا يرى فيها ما هو كفؤ له فيصحبه ولا يطأ على أثر شئ منها ومتى وضع جلده مع سائر جلودها تساقطت شعورها ولا يدنو من المرأة الطامث ومتى مس قوائمه لحا شجر البلوط حذر ولم يتحرك من مكانه واذا غمره الماء جاء الصبي حتى يركب على ظهره ويقبض على أذنه ولا تفارقه الحمى ولذلك الاطباء يسمون الحمى داء الاسد وعظامه عاسية جدا واذا طلب نار دلك عظامه بعضها ببعض فيخرج منها كما يخرج من الحجارة ولذلك في جلده من القوة والصلابة ما لا يعمل فيه السلاح الا من مراق بطنه وقد يطول مثوى الواحد منها مع الناس حتى يهرم وهو في جميع حالاته صعب شديد الغرام لا يؤمن شروده اذا انفرد من سواسه وأبصر غيضة بين يديها صحراء ويبلغ من العمر كثيرا وعلامة ذلك انه يصاد فيوجد مهتوم الاسنان وليس ذلك الا من الكبر

(خواصه) يقال ان خصيته اذا ملحت بنورق أحمر ومصطكى وجففت وقليت بزئبق نفعت من البواسير والزحير ووجع الارحام ويقال ان من مسح بشحم كليته يؤمن من أكل السباع ومرارته بعسل تنفع الخنازير ودمه يطلى به السرطان وصيده بأنواع من الحيل فمنها ان تصنع له العرب الزباء وهي حفائر في نشز من الارض وتغطى وفي وسطها جرو كلب فيأتي الاسد ليأخذ الجرو فيسقط فيها وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه بلغ الماء الزباء أي أعظمها

(الوصف والتشبيه) وصفه أبو زبيد الطائي في حكاية حكاها لعثمان بن عفان رضي الله عنه وقد لعنه فقال أقبل يتضالع من بغيه ولصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولأرساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما ذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كأنهما سراجان وقصره رمله وهرمه وهله وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنه البراثن ومخالب كالمحاجن فم أشدق كالغار الاحرق يفتر عن معاول مصقوله غير مغلوله فهجهجنا به فرفر وبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فخلت البرق يتطاير من جفونه عن شماله ويمينه فأرعشت الايدي واصطكت الارجل وجحظت العيون وساءت الظنون ولصقت الظهور بالبطون وأنشد عبوس شموس مثل جذ مكابر جرئ على الاقدام للقرن قاهر

براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضا في وجهه الشر طائر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(وقال أبو الطيب يصفه من أبيات)

ورد اذا ورد البحيرة وارد * ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس * في غيله من لبدتيه غيلا
في وحدة الرهبان الا انه * لا يعرف التحريم والتحليلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا * تحت الدجى نار الفريق حلولا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه * فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسه اكليلا
ويظنه مما يزمجر نفسه * عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما * ركب الكمي جواده مشكولا

ثم خرج الى ذكر الممدوح الحسين بن عبد الله بن طغج أمير مصر كان قد خرج متصيدا فرأى أسدا على فريسته فهاجه فوثب الاسد على كفل فرسه فأعجله عن استلال السيف فضربه بالسوط فألقاه عن كفل الفرس فقال المتنبي القصيدة التي أولها

في الخدان عزم الخليط رحيلا * مطر يزيد به الخدود محولا

(وجاء منها)

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المسلولا

(وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي)

وليث مقيم في غياض منيعة * أمير على الوحش المقيمة في القفر
يوسد شبليه لحوم فوارس * ويقطع كاللص السبيل على السفر
هزبر له في فيه نار وشفرة * فما يستوي لحم القتيل على الجمر
سراجاه عيناه اذا أظلم الدجى * فان بات يسري باتت الوحش لا تسري
له جبهة مثل المجن ومعطس * كأن على أرجائه صبغة الحبر
يصلصل رعدا من عظيم زئيره * ويلمع برق من جماليقه الحمر
له ذنب مستنبط منه سوطه * ترى الارض منه وهي مضروبة الظهر
ويضرب جنبيه به فكأنما * له فيهما طبل يحيص على الكر
ويضحك في التعبيس فكيه عن مدى * بنوب صلاب ليس يهتم بالفهر
يصول بكف عرض شبرين عرضها * خناجرها أمضى من القضب البتر
يجرد منها كل ظفر كأنه * هلال بدا للعين في أول الشهر

(وأحسن ما ورد في قتل الاسد) قول بشر بن عوانة العقعسي يصف ملاقاته للاسد وما اتفق له معه وحكايته انه تزوج ابنة عمه فخرج يبغي مهرها فلما كان ببعض الطرق عارضه أسد فكر بمهره عليه فتقاعس ولم يقدم عليه فنزل عنه وأقبل نحو الاسد مصلتا سيفه فقتله وقال

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
اذا لرأيت ليثا رام ليثا * هزبرا أغلبا يبغي هزبرا
تهس اذ تقاعس عنه مهري * محاذرة فقلت عقرت مهرا
أنل قدمي ظهر الارض اني * وجدت الارض أثبت منك ظهرا

وقلت

وقلت له وقد أبدى نصالا * محددة ووجها مكفهرا
يدل بمخلب وبحد ناب * وباللحظات تحسبهن جمرا
وفي يمناي ماضي الحد أبقى * لمضربه غداة الروع أثرا
ألم يبلغك ما فعلت ظباه * بكاظمة غداة لقيت عمرا
وقلبي مثل قلبك لست أخشى * محاذرة ولست أخاف ذعرا
وأنت تروم للاشبال قوتا * وأبغي لابنة الاعمام مهرا
ففيم تروم مثلي ان يولي * ويترك في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس يا ليث غيري * طعاما ان لحمي كان مرا
ولما ظن ان الغش نصحي * وخالفني كأني قلت هجرا
دنا ودنوت من أسدين راما * مراما كان اذ طلباه ذعرا
يكفكف غيله احدى يديه * ويبسطه الوثوب على أخرى
هززت له الحسام فخلت أني * هززت له لدى الظلماء فجرا
حساما لو رميت به المنايا * لجاءت نحوه تعطيه عذرا
وجدت له بخافقة رآها * لمن لدنيه ما منه قدرا
بضربة فيصل تركته شفعا * وكان كأنه الجلمود وترا
فخر مضرجا بدم كأني * هدمت به بناء مشمخرا
وقلت له يعز علي أني * قتلت مناسبي جلدا وقهرا
ولكن رمت شيئا لم يرمه * سواك فلم أطق يا ليث صبرا
تحاول ان تعلمني فرارا * لعمر أبي لقد حاولت نكرا
فلا تبعد فقد لاقاك حر * يحاذر ان يعاب فمت حرا

(نادرة) قيل تعرض أسد لقافلة وصال على رجل منها فبادر واحتى حالوا بينهما وقالوا للرجل كيف حالك قال صالحة ولكن الاسد قد نوى في سراويلي

(ولمؤلفه رحمه الله)

سألتك يا جميل الستر سترا * أغيب به عن الخصم الظلوم
وذاك الستر ستر معنوي * يراني منه كالاسد العظيم

(القول في طبائع الفيل) زعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان ان الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها وبعضها يسكن الماء وبعضها لا يسكنه

وزعم آخرون ان الفيلة ضربان فيل وزندفيل وهما كالبخت والغراب والبقر والجواميس والبراذين والخيل والفأر والجرذان والنمل والذر وبعضهم يقول الفيل الذكر والزندفيل الانثى وهذا النوع لا يتلاقح الا فى بلاده ومعادنه ومغارس أعراقه وان صار أهليا وهى تتوالد بأرض السند والهند وهى أعظمها خلقا وبجزيرة سرنديب وينتهى فى عظم الخلق الى أن يبلغ فى الارتفاع عشرة أذرع وفى ألوانها الاسود والابيض والازرق والابلق وهو اذا اغتلم أشبه الجمل فى ترك الماء والعلف حتى ينضم أبطاه ويتورم رأسه ولم يكن لسواسه غير الهرب منه وربما صار وحشيا وجهل جهلا شديدا والفيل ينزو اذا مضى له من العمر خمس سنين واذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسها ولا ينزو الذكر عليها اذا وضعت الا بعد ثلاث سنين ولا ينزو الا على فيلة واحدة وله عليها غيرة شديدة واذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها فى الماء لانها تلد قائمة اذ لا فواصل لقوائمها فتبرك والذكر بعد ذلك يحرسها وولدها من الحيات وذلك لعداوة أصلية بينهما ووضع ذكر الفيل شبيه بالفرس لكنه صغير عنه جثة وهو فى الفرس العتيق صغير أيضا وأنثيا الفيل داخل ذنبه قريب من كليتيه ولذلك يسفد سريعا كالطيرلان كونهما داخلا قريبا من القلب ينضج المنى بسرعة ويقال ان الفيل يحقد كما يحقد الجمل ويحفظ الشئ الذى يكرهه القيم عليه حتى يقابله عند تمكنه منه وربما قتله وزعم أهل الهند ان لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم وهو صغير جدا ويجعلون أن قرنيه هما نا باه يخرجان مشتطين حتى يخرقا الحنك وعلم ذلك من تسريحه ويوجد فيه الاعقف والمستقيم قال المسعودى وربما بلغ الناب منه مائة وخمسين منا وأكثر من ذلك والفيل يحمل بهما على الجدار الوثيق البنيان فيقلبه على الارض وقد فتح به محمود بن سبكتكين مدينة الطاق وهى من أعظم الحصون التى ببلاد سجستان فانه جعل نابيه تحت بابها فاقلعه وهو من أسرع الحيوان الوحشى أنسا بالناس وسرعة الانس دليل على حسن الطباع ودماثة الاخلاق وخرطومه من غضروف أنفه وهو يده التى يوصل بها الطعام الى فيه ويقاتل بها وبها يصيح وليس صياحه على مقدار جثته لانه كصياح الديك ويتنزل منه منزلة عنقه وله فيه من القوة بحيث يقلع به

الشجرة

الشجرة من منابتها وفى طبعه انه اذا سمع صوت الخنزير ارتاع ونفر واعتراه الفزع والجزع واذا ورد الغدران والانهار للشرب وكان الماء صافيا فهو أبدا يثيره ويكدره كالخيل لانها ترى صورها على سطح الماء فتتوهم انه غيرها فتنفر منه وهو قليل الاحتمال للشتاء والبرد ويعوم ويسير فى الماء منغمسا ماعدا خرطومه لانه منه يتنفس ولا يقدر على السباحة لثقل جثته وفيه من الفهم ما به يقبل التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر فى حالتى السلم والحرب وفيه من الاخلاق أنه يقاتل بعضه بعضا قتالا شديدا والمقهور منها يخضع ويتعبد للقاهر ويخاف سطوته ويقال انه يصاد باللهو والطرب واللعب والزينة وريح الطيب والنساء يصيدونه بذلك وربما احتيل على صيده بأن يترقب حال سكونه وهدوه وذلك أنه لا ينام الا معتمدا على ساق شجرة اذ لا يمكنه الاضطجاع لكون قوائمه لا فواصل لها لكنها كالاساطين المصمتة والسوارى الوثيقة والصيادون يأتون الشجرة التى غالب أوقاته يعتمد عليها فيضعفون أصلها فاذا أتى على عادته اليها يعتمد عليها انكسرت فسقط وبقى عاجزا لا يقدر انفه بشئ فيصيدونه كيف شاؤا والهند تعظم الفيل وتشرفه لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنه وطول عمره وثقل حمله وخفة وطئه فانه ربما مر بالانسان وهو لا يشعر به لحسن خطوته واستقامته وللهند طيب يجمعونه من جباه الفيلة ورؤسها فانه اذا اغتلمت عرقت هذه الاماكن عرقا كأنه المسك ويستعملونه لظهور الشبق فى الرجال والنساء ويزعمون أنه يشجع القلب ويقوى النفس ويبعثها على الاقدام والفيل يشب الى تمام ستين سنة ويعمر مائتى سنة وأكثر (وحكى ارسطو) أن فيلا ظهر عمره أربعمائة سنة (وحكى) بعض المؤرخين ان فيلا سجد لابرويز ثم سجد للمعتضد وبينهما زمان ذكره ارسطو واعتبر ذلك بالوسم وهذا الحيوان يعتريه من الامراض وجع المفاصل لطول قيامه وثقل جثته لانه لا يضطجع

(الوصف والتشبيه قال عبد الكريم النهشلى)

وأضخم هندى النجاد تعده * ملوك بنى ساسان ان نابها دهر
يجىء كطود جائل فوق أربع * مصيره باب كما باب الصخر

له فخذان كالشثين لبد * وصدر كما أوفى من الهضبة الصدر
ووجه به أنف كراوورق خمرة * ينال به ما يدرك الانمل العشر
وجنبان لا يروى القليب صداهما * ولو أنه بالباع منهرب حفر
وأذن كنصف الردّ يسمعه الندا * خفيا وطرف ينقص الغب مزورّ
ونابان شقا لا يريدسواهما * قيامين سمراوين لمعهما تبر
له لون ما بين الصباح وليله * اذا نطق العصفور أو صوّت الصقر

(صلاح الدين الصفدى رحمه الله ملغزا)

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون فى ثلثاه

قد جعل الله فى طبع الفيل الهرب والوحشة من السنور واذا احتملت المرأة من نجوها مع العسل لم تحبل أبدا وكذلك اذا علق على شجرة لم تحمل تلك السنة

(القول على طبائع الكركدن) وتسميه الهند النوسان ويسمى أيضا الحمار الهندى وهو عدوّ الزبرقان والفيل ومعادنه ببلاد الهند والنوبة والبجا وهو دون الجاموس ويقال انه متولد بين الفرس والفيلة وله ظلف واحد غير مشقوق وقرن واحد عظيم على أنفه بارز ولا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه وهذا القرن مصمت قوى الاصل حادّ الرأس مرهفه يقاتل به الفيل فلا يفيده معه ناباه ويقال انه اذا انشر رؤى فى داخله صورة بياض فى سواد صفة انسان ودابة وسمكة وما يشا كل ذلك وأهل الصين يتخذون منه المناطق ويغالون فى ثمنه ويقال ان حمل الانثى من هذا النوع كأيام حمل الانثى من الفيلة والانثى تأكل ولدها ولا يسلم منها الا القليل والولد يخرج قويا نابت الاسنان والقرن قوى الحافر وقد زعم أنه اذا كان فى بطن أمه وقارب الوضع يخرج رأسه من فرجها ويرعى من أطراف الاشجار ما يقوته ثم يرجع به وقد أنكر الجاحظ هذا القول وقد جعله ضربا من الخرافات وتزعم الهند أنه اذا كان فى ناحية من البلاد لا يقربها حيوان أصلا ويكون بينها وبينه من البعد مائة فرسخ من أربع جهاته هيبة له وهربا منه وليس كذى القرن مشقوق الظلف وهو

يجتر

يجتر كما يجتر البقر والغنم والابل ويأكل الحشيش والهند تأكل لحمه وكذلك فى بلادها من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس ويقال انه شديد العداوة للانسان حتى أنه اذا شم رائحته أو سمع صوته جدّ فى طلبه فاذا أدركه قتله وان لم ينتفع به لانه لا يأكل اللحم وهذا الحيوان لا يبرك ولا ينام اذ ليس له مفصل فى ركبتيه ولا فى يديه بل هو من ظلفه الى ابطه قطعة واحدة

(القول فى الزرافة) والزرافة فى كلام العرب الجماعة لانها اجتمع فيها صفات كثيرة من الحيوان وهى عنق الجمل وجلد النمر وقرن الظبى وأسنان البقر ورأس الابل ولهذا زعم بعض المتكلمين فى طبائع الحيوان أنها متولدة من حيوانات وقال ان السبب فى ذلك اجتماع الوحوش فى جماوة القيظ على شرائع المياه فتتسافد فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فربما سفد الانثى من الحيوان ذكور كثيرة فتختلط مياهها فيجىء منها خلق مختلف الصور والالوان والاشكال والفرس تسمى الزرافة اشتركاو يليك فتأويل اشتر بعير وكاو بقرة ويليك الضبع وهذا كما رأيت موافق لكلام العرب من كونها مركبة الخلق من حيوانات شتى والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول انه جهل شديد لا يصدر عمن لديه تحصيل لان الله يخلق ما يشاء وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير ومما يحقق ذلك أنه يلد مثله وقد شوهد وهى طويلة اليدين والعنق جدا حتى يكون فى مجموعها عشرة أذرع وأكثر قصيرة الرجلين جدا وليس لها ركب وانما الركب ليديها كسائر البهائم واذا أكلت مما على الارض تفجحت لقصر عنقها عن بدنها ومن عادتها أن تقدم عند المشى اليد اليمنى والرجل اليسرى بخلاف ذوات الاربع فانها كلها تقدم اليد اليمنى والرجل اليمنى وفى طبعها التألف والتودد والتأنس وهى تجتر وتبعر

(الوصف) ابن حمديس

ونوبية فى الخلق منها خلائق * متى مارق العين فيها تسهل
اذا ما اسمها ألقاه فى السمع زاجر * رأى الطرف ما عنى عناه بمقول
لها نخذا قرم وأظلاف قرهب * وناظرتا ريم وهامة أيل
كان الخطوط البيض والصفر أشبهت * على جسمها ترصيع عاج مصندل
ودائمة الاقعاء فى أصل خلقها * اذا قابلت ادبارها غير مقبل

تلفت أحيانا بعين كحيلة * وجيد على طول اللواء المطلل
وتنفض رأسا فى الزمام كأنما * تريك له هادعلى السحب مقتل
وعرف رقيق الشعر تحسب نبته * اذا الريح هزته ذوائب سنبل
وتحسبها من نفسها ان تبخترت * تزف الى بعل عروسا وتنجلى
فكم منشد قول امرئ القيس عندها * أفاطم مهلا بعض هذا التذلل

(ومن أبيات الفقيه عمارة اليمنى)

وبها زرافات كأن رقابها * فى الطول ألوية تؤم العسكرا
نوبية المنشا تريك من المها * زرقا ومن بزل المهارى مشفرا
جبلت على الاقعاء من اعجابها * فتخالها للتيه تمشى القهقرا

(الباب السادس والاربعون فى الحمام وما فى وصفها من بديع النظام)

قد جرت عادة الكبراء والعظماء باتخاذ الحمام فى منازلهم ولا سيما فى أيام الخلفاء فأكثر ذلك فى أيام الناصر لدين الله أحمد بن الامام المستضئ فانه اهتم بأمرها وبأمر انشائها وما زالت الخلفاء والملوك يطيرون الحمام ويسابقون به ولا يختص بذلك بنو العباس قال صاحب روض الاذهان كان الوزير أبو الفرج يعقوب وزير المعز أجل الخلفاء المصريين وأفخمهم وكان له حمام يسابق به فاتفق انه سابق بها طيور الخليفة العزيز فسبق حمامه فعظم ذلك على الخليفة ووجد أعداء الوزير الطعن عليه من أن هذا الوزير يختار الجيد لنفسه من كل شئ ويختار للخليفة الادنى فبلغ ذلك الوزير فكتب الى الخليفة

قل لامير المؤمنين الذى * له العلا والكوكب الثاقب
طائرك السابق لكنه * جاء وفى خدمته حاجب

فسكن غيظ الخليفة عنه ولما مات هذا الوزير خلف أربعة آلاف مملوك وحارة الوزيرية فى القاهرة وتعرف به وبساتين الوزير بالقرب من بركة الجيش ولما مات نزل الخليفة وألحده فى قبره وبلغ كفنه وما يدخل فيه عشرة آلاف دينار (قال الجاحظ) وقد تباع الحمامة بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك شئ من الطير ومن دخل بغداد والبصرة عرف ذلك وتباع البيضة بخمسة دنانير والفرخ بعشرين دينارا روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه اشتكى الى

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلوة بتغريدها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمام فانها تلهى الجن عن صبيانكم روى جابر أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى الحمام والابراج وكان فى منزله صلى الله عليه وسلم حمام أحمر اسمه وردان وكان ابراهيم بن بشار معجبا بالحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن النظر وكريم الخبر تكفيك مؤنتها فهى للطارق عدة وللمستوطن لذه تطعم فى الصحراء وتعود اليك فى السراء يأنس الوحيد بحركاتها وتغنيه عن الاوتار بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهى ناطقه وتنفر عنك وهى داجنه وفى طبعها السكون الى الناس والاستئناس بهم وهى طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى منفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طار اطارا معا وان وقعا وقعا معا لها سرعة طيران لا تكاد سباع الطير تصيدها الا بحيلة ولم تزل العرب تستحسن سجع الحمام وتغريد البلبل والورشان واعراب وادى القرى اذا ظفروا بشراب الطائف أتوا حوائط من النخل عند استواء الظهيرة اذا صارت الوراش والفواخت الى ذلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقيمون أصواتهن مقام المزامير والاوتار وفى ذلك يقول بعضهم

أحن الى حوائط ذات عرق * لتغريد الفواخت والحمام
ألم بها وكل فتى كريم * من الفتيان مخلوع الزمام

(وقد ألف) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر كتابا سماه تمائم الحمائم وذكر فيه أنسابها وأنواعها وغير ذلك ومنه قول القاضى الفاضل لا زالت أجنحتها تحمل من البطائق أجنحه وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحه وتحمل من الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح الطائر وكادت تكون ملائكة لانها رسل اذا نيطت بالرقاع طارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وقرها وجعلها طيف اليقظة الذى صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود اداء الامانة فى رقابها أطواقا وأذنها من أذنابها أوراقا فصارت خوافى وراء الخوافى وغطت سرها بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الصوافى ترغم النوى بتقريب العهود وتكاد

العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود وهى أنبياء الطير لكثرة ماتأتى به من الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان قيام الخطباء وسماها القاضى الفاضل فى مكان آخر ملائكة الملوك فرحمه الله ما كان أقدره على الكلام وما أحسن ماوصف الحمام وتسميته اياها أنبياء الطير قال الشيخ تاج الدين بن الاثير من فصل طالما جارتها الرياح فأصبحت مخلفة وراءها تبكى على العجب وصدق من سماها أنبياء الطير لانها مرسلة بالكتب وقال الشيخ السديد علم الرؤساء من رسالة فى تقدمته بالبشائر يكون المعنى بقولهم أيمن طائر ولا غرو أن فارق رسل الارض وفاتهم وهو مرسل والعيان عيانه والجو ميدانه والجناح مركبه والرياح موكبه وابتداء الغاية شوطه والتشوق الى أهله (وقال الاسعد بن مماتى) من صدر رسالة

أعوامل بالفلات مما يدلنا * على ان معنى القلب من عادة القلب

ومن لم يجد شخصا من الانس كاملا * يثبت له الشكوى تشاغل باللعب

بلغنى أن الحضرة قد أطاعت سلطان نفسها واسترجعت شيطان أمسها وعزمت على انفاق كيس الايام بالاشتغال بالحمام (وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة) وفرضنا أعزك الله ان ذلك الواشى فى كلامه مصيب فالمملوك أولى بالتقاط فوائد مولانا لانى ابن أبى حجلة وللطير فى دار الكرام نصيب (صلاح الدين الصفدى) وكتبها الى بعض أصحابه

هذى بطاقة قادم * قد جاء يلهج بالمدح

حملتها قلبى الذى * قد طار نحوك بالفرح

(قلت) ما ألطف قول الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة

شكرت اقتراحى فى المديح فلمتنى * وقبلى أناس كان يشكر مااقترح

ولو كان من شعرى المجلى ريشة * لكل بنى الآداب طارت من الفرح

القاضى الفاضل

ليهنك طائر الفتح المبين * وما أدى من الخبر اليقين

وأشرق فى الحمام على رياض * وحط من الرماح على الغصون

وأطرب بالكتاب وزاد حتى * ظننا ه يغنى باللحون

وسرك باليقين بغير وعد * ترجيه الظنون بقدوين

بما أسهرت جفن السيف حتى * جعلت السيف غمدا للجفون

(وله تغمده الله برحمته)

وقد ألف التخليق ريش جناحها * فجاءت الينا فى رداء العرائس

وما خلقت بالزعفران وانما * تضمخن دما من أكل قتلى الفوارس

ملائكة الرحمن ترجى كتابها * اليهم بشراهم بقتلى الابالس

(وله رحمه الله)

بشائر يأتى الطير حامل كتبها * فيأتى سرور لم يدعه ونفسه

غدوت ولا سيف يقر بغمده * وبت ولا طير يقر بعشه

(ذكر ابن مسدى فى معجمه) قال سمعت أبا الحسن محمد بن نصر الله بن عنين يقول كنت بخراسان بمجلس الفخر الرازى اذ أقبلت حمامة يتبعها جارح فسقطت فى حجر الفخر الرازى وعاذت به على منبره فقمت وأنشدت بديها

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا * فى كل مسغبة وثلج خاسف

والعاصمين اذا النفوس تطايرت * بين الصوارم والوشيج الراجف

من نبأ الورقاء أن محلكم * حرم وأنك ملجأ للخائف

وافت اليك وقد تدانى حتفها * فحبرتها ببقائها المستأنف

ولو انها تحبى بمال لانثنت * من راحتيك بنائل متضاعف

جاءت سليمان الزمان حمامة * والموت يلمع من جناحى خاطف

فخلع عليه جبة كانت عليه وكان هذا سببا لاقبال السعود عليه (من انشاء الشيخ زين الدين بن الوردى) فبينما البازسكران بما بان من البان واذا بحمامة قد وقعت أمامه وقالت كم تفتخر وأنت عظم نخر أنت من آلة اللعب والصيد وأنا من آلة الجد والكيد أنا مع الطوق والخضاب من جملة حملة الكتاب ومع خوفى من شرك الشرك وحذرى من فخ الافك حملت الامانة التى أبت الجبال عن حملها وامتثلت مرسوم ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فلما أوصلت الحقوق أمنت العقوق وتزينت بالبشائر والخلوق وما أعجب العالمين أننى مخضوبة البنان ولى عين أقول للملك دع الاهتمام ولا تحزن فانى أنا الحمام مهما حدث عليك من البعد من أحد امك أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك كتمت عن الناس سرى وأبهمت فى الغناء والنوح أمرى

ر وى خضابى وماوقى * فاستنكفوا من بكائى
ثم ادّعوا أن نوحى * مناسب لغنائى
فقلت كفوا فدمعى * باد بغير اختفاء
الخضب من فيض دمعى * والصبر عقد ولائى

(قال القاضى علاء الدين الوداعى) كان القاضى الفاضل يسمى الحمام ملائكة الملوك فسميت انا البريدية شياطين السلاطين

(الباب السابع والاربعون فى الحصون والقصور والآثار)
(وماقيل فيها من رائق الاشعار)

ما أحسن قول القاضى الفاضل ووردنا حصين كوكب وهو نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامه وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه (وقال الشيخ شهاب الدين محمود) حصن قد تقرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسى أصله الى التخوم تخال الشمس اذا علت أنها تتنقل فى أبراجه ويظن من سها الى السها أنها ذبالة فى سراجه لا يعلوه من سمى الطير غير نسر السما وزمامه ولا يرمق متبرجات بروجه غير عين الشمس والمقل التى تطرف من أنجمه وحوله كل شامخ تهيب عقاب الجو قطع عقابه وتقف الريح حسرى اذا توقلت فى هضابه تخفق العيون اذا رمقته سلوك مادونه من المحاجر ويخيل الفكر صورة الترقى اليه لا يبلغها حتى تبلغ القلوب الحناجر وحوله من الاودية خنادق لا تعلم منها الشهور الا بأنصافها ولا تعرف فيها الاهلة الا بأوصافها (وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة) من باب محرم الخاطر واذا هى سماء يتقاعس الفكر عن محاولة شهبها وحسناء كلما رمت أن تنظر وجهها الحسن فكان قرص الشمس مرآة وجهها تزاحم بروجها السماء بالمناكب وتضىء اضاءة نجومها الثواقب وتلقى اذا عطشت كوكب الدلو بأرشية البروق فى قليب السحائب لا تسامى ولا تسام ولا يحصل منها قادم سفر الا على معانقة العوالى ومصافحة السهام (وقال علاء الدين بن غانم) ذات أودية ومحاجر لا تراها العيون لبعد مرامها الا شزرا ولا ينظر ساكنها العدد الكثير الا نزرا ولا يظن ناظرها الا أنها

طالعة بين النجوم ممالها من الابراج ولها من الفرات خندق يحفها كالبحر الا ان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ولها واد لا يقى لفحة الرمضاء ولا حر الهواجر وقد توعرت مسالكه فلا يداس فيه الا على المحاجر وتفاوت ما بين مرات العلا وقراره العميق ويقتحم راكبه الهول فى هبوطه فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (وقال سيدى الاخ العزيز الفاضل تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى) سلمه الله تعالى فى وصف قلعة دمشق عندما حوصرت فى الوقعة المشهورة ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفة الآزفه وقد ستروا بروجها من الطارق وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفه واستجليت عروس الطارمة عند زفتها وقد تجهزت للحرب ولم ترض بغير الارواح مهر وقد أعقدت على رأسها اكليل العصائب وقد توشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها ورمت القلوب من عيون مرامها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وشمخ وهو على فرسه بنفسه الغاليه وراموا كشفها وهم فى رقعة الارض كأنهم لم يعلموا بأن الطارمة عاليه وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس فى الاسحار وقد استيقظوا لحمل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فأعيذ رواسيها التى كالجبال الشامخة من أسس المجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج (قلت) ويحسن ذكر المنجنيق فى هذا الموطن نقلت من خط القاضى صلاح الدين الصفدى قال نقلت من خط السراج الوراق لنفسه يصف حجارة المنجنيق

ترقى بكر المنجنيق الى السها * وتعود تطلب مركزا رباها
وجنت بها الاسوار ثم تكلمت * لم لا وقد فتحت بها أفواها
وتولت السمر الطوال سواكها * وثغورها لا تنجلى بسواها

(وقال ابن النبيه) من قصيدة يمدح بها الاشرف ويصف دارا بناها بقلعة أخلاط

سقى الله من أعلام أخلاط قلعة * يحوم بها نسر السما على وكر
ودار على خير الطوالع أسست * فمن حل فيها فى أمان من الدهر
تجلى مدى الابصار لمع بياضها * فأحسبها قد ألبست بهجة الدر

وقد أثبتت أركانها من نقوشها * تماثيل روض لم يزل يانع الزهر
تكاد تشم المسك من نسماتها * و يقطر من أرجائها ورق التبر
تمرّ وتلهى ساكنيها بحسنها * فان شئت أغنت عن غناء وعن خمر
اذا فتحت أبواب مستبشر بها * جاءت لك نور البحر والوحش فى البرّ
فان شئت للأخرى فمحراب ناسك * وان شئت للدنيا فريحانة العمر
وان جمعا فلله مازال جامعا * شتيت العلا للأشرف بن أبى بكر

(وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة) فى مدرسة القاضى بدر الدين بن الجزولى بمصر

تأمّل ففضلى سار فى البرّ والبحر * ولى خبر فى مصر يغنى عن الخبر
يقابلنى المقياس يوم وفائه * بوجه فتاة لاح من خلل الستر
فشبابكه بزوالىّ باعين * جلبن الهوا من حيث أدرى وما أدرى
أهيم بها فى مصر حتى كأنها * عيون المها بين الرصافة والجسر
فلا عذرى عندى للنسيم اذا سرى * وكم فى الهوى العذرى للصب من عذر
تداوى بشرب الماء عندى جماعة * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
بماتى من عين الحيوة لانه * من الروض يأتينى على قدم الخضر
و بسطى روضى والقناديل زهرها * وثغر حباب الماء يبسم عن درّ
فلا تعجبا من زائرى ان توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
تشاهد منى العين فى مصر روضة * ترى زهرها فى الماء كالانجم الزهر
وكم وردة أبدى دهانى حسنها * يبيت بها قلب الحسود على الجمر

(وله فيها)

دار يصان الجار فى أرجائها * ويذل فيها صون الاموال
نسيت بها الاهرام لما ان غدت * بضيائها هولا من الاهوال

(الشيخ شمس الدين بن القريه السكندرى) فيمن له غلام اسمه ريحان

ان الامير حباه رب العرش احسانا ومنه
هو والغلام وداره * روح وريحان وجنه

(حكى) عن سنمار أنه كان رجلا حاذقا بالبنيان فأمره النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس اللخمى ان يبنى له حصنا بظاهر الجزيرة وهو الذى يقال له الخورنق فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه واتقان عمله فقال

له

له لو وفيتمونى أجرى لبنيته بناء يدور مع الشمس كيفما دارت فقال النعمان أقدرت على أحسن منه ولم تفعل فأمر بقذفه من أعلاه وقيل انما قتله لانه لما فرغ من بنائه خلا به وقال له ان هذا البنيان كله مردود الى هذا الحجر فاحتفظ به فانه ان نزع سقط البناء كله فقتله لئلا يطلع على ذلك غيره فضربت به العرب المثل وأكثرت فيه فقالوا جزاه الله جزاء سنمار (وقال الشاعر) أنشده ابن مالك

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

(وقال عبد العزيز ابن امرئ القيس)

جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

(قال ابن الشجرى) يقال رجل سنمار اذا كان حسن الوجه أبيضه و يقال للقمر سنمار (ولما أراد المنصور) أن يبنى بغداد فى سنة أربعين ومائة سأل راهبا كان فى صومعة فى مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد أن أبنى هنا مدينة فقال له الراهب انما يبنيها ملك يقال له الدوانى فضحك المنصور وقال أنا هو وشرع فى بنائها سنة أربعين ومائة ونزلها سنة ست وأربعين وفى سنة ست وأربعين تم بناؤها وهى بغداد القديمة التى بالجانب الغربى على دجلة وهى بين الفرات ودجلة كما جاء فى الحديث لا بغداد الثانية وهى الجديدة التى فى الجانب الشرقى وفيها دور الخلفاء و بغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر منها محلة الى غيرها على شاطئ دجلة فالذى فى الجانب الشرقى الرصافة بناها المهدى بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة (قلت) احدى وخمسين وهى مدينة مسورة والثانية مشهد أبى حنيفة مسورة والثالثة جامع السلطان غير مسورة والرابعة مدينة المنصور فى الجانب الغربى وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسورة والسادسة الكرخ مسورة والسابعة دار القز مسورة (قلت) مكتوبا على ظاهر المدرسة التى أنشأها الشيخ الامام العالم أوحد القراء أبو عبد الله شمس الدين محمد بن الجزرى تغمده الله برحمته بعقبة الكتاب عمرها الله ببركته وأظن أنها من نظمه

يا دار علم للمآثر تقصد * و بصدرها تروى العلوم وتسند

خلعت عليك الكائنات جمالها * فلذاك سعدك دائما يتجدد
أضحيت للراجين قبلة قاصد * لكمالها تعنو الوجوه وتسجد
نظرتك شمس للعلوم منيرة * منها الطلاب الفضائل منجد
يا باذلا للمال غير مذمم * حاشاك من ذم وأنت محمد
كم قلد الناس اجتهادك مية * فحمدت مجتهدا وأنت مقلد
طربت بذا المعنى العقول فياله * من دار قرآن وفيه معبد
بالامس كان على الطريق قمامة * واليوم فهو على الحقيقة مسجد
ما ان تراه مشاهدا لجماله * الا وتعجب من سناه فتنشد
واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

(وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب) فى عمارة السلطان الملك الظاهر برقوق التى بناها بين القصرين عمرها بحياته عمارة الظاهر قد أصبحت أركانها شاهقة كالعلم وبشرت أحجارها بالبقاء وأنه يبلغ سن الهرم (وله) فى رباط المعشوق الذى بمصر المحروسة المشرف بالآثار الشريفة

لنا رباط وبالمعشوق شهرته * آثار خير الورى فيه بتحقيق
يصبو فؤادى لمرآه ولا عجب * ان هام قلبى فى آثار معشوق

(غيره)

أتيت الى المعشوق من بعد فرقة * وهجر وقلبى بالنوى يتضرم
فقابلنى والثغر بالزهر باسم * وما أحسن المعشوق للصب يبسم

(قلت) وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الفاضل اللغوى جلال الدين أبو المعالى بن خطيب داريا

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد حظيت من الزمان لطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

(صلاح الدين الصفدى رحمه الله)

أكرم بآثار النبى محمد * من زارها استوفى السعود مزاره
ياعين ويحك فانظرى وتمتعى * ان لم تريه فهذه آثار

(وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى) موريا به وبغيره من منارة مصر المحروسة

وايلة مرت بنا حلوة * ان رمت تشبيها الهاعبتها
لا يبلغ الواصف فى وصفه * حدا ولا يلقى لها منتهى
بت مع المعشوق فى خلوة * ونلت من خرطومه المشتهى

(وقرأت) فى شرح قصيدة بنى الافطس التى شرحها الكاتب أبو القاسم عبد الملك ابن عبد الله بن بدرون الحضرمى السلمى رحمه الله عند ذكر كسرى هو كسرى أنوشروان بن ساسان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وهو الذى بنى سور الباب والابواب وجعل هذا السور من جوف البحر مقدار ميل وبناه على الزقاق بلبن الحديد والرصاص وكلما ارتفع البناء نزلت الى ان استقرت فى قرار البحر وارتفع السور على الماء فغاصت الرجال بالخناجر والسكاكين الى ذلك الزقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الارض فى قاع البحر وذكر المسعودى أن هذا السور كان باقيا سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا السور الذى فى البحر القيد وصعد هذا السور فى أكر على جبل الفتح أربعين فرسخا حتى انتهى الى طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور بابا من الحديد وأسكن من داخله أمة من الناس تراعى ذلك الباب وما يليها من السور وذلك لدفع الامم المتصلة بذلك الجبل وهم أنواع من الامم منهم اللان والجرز والترك والبرغز وغيرهم وذكر فى كتابه هذا عند ذكر المأمون ومن تسمى باسمه فنهم يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة يحكى أنه بنى قصر طليطلة وتأنق فى بنائه وأنفق فيه أموالا كثيرة وصنع فيه بحيرة وبنى فى وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء تسكب ولا تفتر والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه فيها شئ ولوشاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو نائم فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لوعقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كان يوما يقتضيه رحيل

فما لبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه (أنشدنى الشيخ شمس الدين الجرائحى) من لفظه لنفسه وقد أمره القاضى فتح الدين بن الشهيد أن ينظم شيأ يكتبه على طراز فى صدر ايوانه

أيامن بطرز الدرأ كامهم سمت * قفوا وانظر وادار الطراز على خصرى
وصدرى لاسرار الممالك حائط * من الفضة البيضاء والذهب المصرى
فمن ذا يضاهى افتخارا وقد غدت * خزائن اسرار الممالك فى صدرى

(نقلت) من خط الشيخ بهاء الدين الموصلى والد شيخنا العلامة عز الدين أبى الخير الموصلى من مقامة وسماها بسلوة الغريب وخلوة الحبيب منها فى وصف القصر الابلق بدمشق وقصرها الابلق ليس بالعقوق من شاهد بديع معانيه لنهى عن العاشق والمعشوق قد شام فى غمده مشهور غمدان وأسبل على ايوان كسرى ستر النسيان يبهر الناظر حسن معناه ولا يقدر على وصف محاسنه من براه الماء مرفوع فى أقطاره ونواحيه منتصب فى فوار بركه لتمييز ناظريه يتكسر جمعه على شاذروانا ته مجرورا باضافته الى مجاريه فقد اجتمع لقاطنه اضافة المعنى والحسن الباهر ولم يكمل ذلك البهاء الا بكمال جمال الظاهر أعين شبابيكه الى ميدانه الاخضر ناظرة قد جمع الصادح والباغم واللاقط والطاغم به الظباء الاوانس والمها الكوانس أقطاره عريضة طويله لا ترجع الابصار من السفر فى زمنه الا كليله أخجلت خمائله الايك والغصون ولاذ القائف بالسلوان عن اقتفاء أثر السلوك فى معانيه التى كلها عيون وقف الابلق حين جرى الى منتهاه وأدركه الاعياء فسكن بأقصاه وشاهد الشقراء تمرح فى ميدان واديها فأراد الوصول اليه فعاوده الاضطراب فقطعت عليه الانهار الطريق وضرب بينهما بسور له باب (الايوان) من بعد هدمه بناه كسرى أبرويز فى نيف وعشرين سنة ومائة ذراع فى عرض خمسين فى سمك مائة من الآجر الكبار والجص وثخن الجدار الازج خمس أجرات وطول الشرف خمسة عشر ذراعا ولما بنى المنصور بغداد حب ان ينقضه ويبنى به فاستشار خالد ابن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن علم أن هذا بناؤه لا يزيل أمره الا نبى وهو مصلى على بن أبى طالب رضى الله عنه والمؤنة فى نقضه أكثر من الارتفاق به فقال أبيت الا ميلا من العجم فهدمت ثلمة منه فبلغت النفقة عليها مالا كثيرا فأمسك فقال خالد أنا الآن أشير بهدمه لئلا يتحدث بعجزك عنه فلم يفعل وعلى ذكر الايوان فما أحسن ما أنشدنى من لفظه لنفسه أجازة شيخنا العلامة عز الدين أبو الخير الموصلى محاجيا

يامن

يامن له الطول فى المعالى * وبالمعانى لنا يبصر
انى كما قلت فى سؤالى * ما مثل قولى نعم مقصر

(القاضى فتح الدين بن الشهيد) على لسان مجلس داره وقد بنى لبعض الاجلاء فى داره مجلس عال

يامن يتنزه فى حسنى نواظره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالى
انى مقام مقر عز جانبه * ودون قدر جناب المجلس العالى

(أنشدنى من لفظه لنفسه الاديب الفاضل الكامل شمس الدين أبو عبد الله الجراثحى) فى مجلس بناه سيدنا ومولانا قاضى القضاة وشيخ الشيوخ خطيب الخطباء أبو الحسن علاء الدين بن أبى البقاء السبكى الشافعى تغمده الله برحمته

ومجلس قد قال لى منشى * ما مثله فى الفضل قاضى القضاه
قد أسس البنيان منى على * تقوى من الله وأرضى الاله
فصرت كالكعبة من أجله * تسعى الى نحوى الحفاة العراه
فاسعى نحوى أخو شدة * الا ومن ربى لاقى رضاه
فالاسم منى فى الهجا معرب * وانما للمدح قصدا بناه
خص بخفض العيش من أمنى * ورفعه يبقى بقصد الغداه
قاض قضى بالحق لكنه * جار على ما ملكته يداه
فما اشتكى الفقر اليه امرئ * الا ونادى المال كن فى رضاه

(وأنشدنى لنفسه) فسح الله فى أجله فى منزل القاضى (فتح الدين بن الشهيد)

يا منزلا بالبهاء والحسن ناظر من * طرز الملوك طرازى لست من طرزى
والناس دون محل الغير تقصدنى * من القبول لان السر فى حرزى

(ومن المبانى العظيمة المذكورة فى القرآن العظيم ارم ذات العماد) قال أصحاب الآثار ورواة الاخبار لما سمع شداد بن عاد بن أرم وصف الجنة سولت له نفسه أن يبنى مثلها فبنى مدينة بين حضرموت وصنعاء طولها اثنى عشر فرسخا وعرضها مثل ذلك وأحاط بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشى خارجها فضة مموهة بالذهب وبنى داخلها مائة مائة ألف قصر بعدد رؤساء أهل مملكته بلبن الذهب والفضة وكذلك جذوع سقوفها وأساطينها وأجرى فى وسطها نهرا

صفح أرضه بالذهب وجعل على حافتيه أنواع الجواهر واليواقيت بدلا من
الحصباء وألقى فيه المسك والعنبر عوضا عن الحمأة وفرّع منه جداول الى تلك
القصور والمنازل وغرس على شطوطها من الاشجار ما كان لزهره عرف ورائحته
ذكية وزعموا أنه أقام فى بنائها ثلاثمائة سنة فلما تم بناؤها زاد فى طغيانه ولم
يعبأ بربه فبعث الله هودا عليه السلام يدعوه الى الله تعالى ويحذره سطوته
ويخوفه نقمته فلم يجبه الى ما دعاه اليه وخرج من حضرموت الى ذات العماد
ليبلغ نفسه مناها بسكناها فلما أشرف عليها جاءته صيحة من السماء فأهلكته
وجنوده وأفاتته أمله ومقصوده (ويروى) أن عبد الله بن قلابة خرج فى طلب
ابل ندت له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم فبلغ خبره معاوية فاستحضره
فقص عليه خبره فبعث الى كعب فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من
المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وفى عنقه خال يخرج فى طلب
ابل ندت له ثم التفت فرأى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وزعم
الاخباريون أنه كان بها أربعمائة ألف وأربعون ألف عمود ولهذا سميت ذات
العماد (ومن المبانى العظيمة سد ذى القرنين) الذى بناه على يأجوج ومأجوج
وصفته على ما حكاه ابن حردأدبه أن مكانه جبل أملس مقطوع بواد عرضه مائة
وخمسون ذراعا وفى جانبى الوادى عضادتان مبنيتان عرض كل عضادة خمسة
وعشرون ذراعا كل ذلك مبنى بلبن الحديد مغيب فى نحاس فى سمك خمسين ذراعا
وعلى العضادتين دروند حديد طرفاه فى العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا
وفوق الدروند بناء بتلك اللبن الحديد المغيبة فى النحاس الى رأس الجبل
وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرافات من حديد فى طرف كل شرافة قرنان
ينثنى كل واحد منهما الى صاحبه وبين العضادتين باب من حديد بمصراعين
وبين كل مصراع خمسون ذراعا فى خمسة أذرع وعلى الباب قفل طوله سبعة
أذرع فى غلظ باع فى الاستدارة وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون
ذراعا وعتبة الباب عشرة أذرع ببسط مائة ذراع سوى ما كان تحت العضادتين
ويقال ان آلة البناء التى بنى بها هذا السد موجودة بحصون بناها ذو القرنين
ورتب فيها حراسا يحرسون هذا السد وهى مغارف وبقية لبن كل ذلك من حديد
وان كل لبنة ذراع ونصف فى مثل ذلك فى سمك شبر قد ألصق الصداء بعضها

ببعض

ببعض (ومن المبانى المشهورة قصر غمدان وكان بصنعاء) قال الجاحظ أحبت
العرب أن تشارك الفرس فى البناء وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران
وحصن مارد والابلق ويزعم بعض الاخباريين ان بانيه حام بن نوح ويزعم
آخرون أن بيوراسف بناه على اسم الزهرة (وذكر ابن هشام) ان الذى أسسه
قحطان بن يعرب وأكمله بعده واصله وائل بن حمير بن سبأ بن يعرب وخربه
عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت صفته على ما نقلته من الكتب المدوّنة فى
العجائب مربعا أحد أركانه مبنى بالرخام الابيض والثانى بالرخام الاصفر
والثالث بالرخام الاخضر والرابع بالرخام الاحمر فيه سبع سقوف طباقا ما بين
السقف والآخر خمسون ذراعا وجعل على كل ركن تمثال أسد من النحاس اذا
هبت الريح دخلت من دبره وخرجت من فيه فيسمع له صوت كزئير الاسد وقال
ابن الكلبى كان على ركن من أركان غمدان مكتوب بالحميرية اسلم غمدان
معاديك مقتول بسيف العدوان وذكر الجاحظ فى كتاب الامصار أن قصر
غمدان كان أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض ويروى أن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال لا يستقيم أمر العرب ما دام فيها غمدانها وهذا القول الذى
حض عثمان على هدمه وأثره باق على تل عال مطل على البلد قريب الجامع
(ومن المبانى) التى تبلى الزمان ولا تبلى وتندرس معالمه وأخبارها لا تندرس
ولا تبلى الاهرام التى بأعمال مصر وهى أهرام كثيرة أعظمها الهرمان اللذان
بجزيرة مصر غربى النيل يقال ان بانيها شوندير بن سهلوب بن شرناق قبل
الطوفان ويقال ان هرمس المثلث بالحكمة وهو الذى تسميه العبرانيون أخنخ
وهو ادريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان
فأمر ببناء الاهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من
الذهاب والدثور وكل هرم منها مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده
سبعة عشر ذراعا يحيط به أربع سطوح متساويات الاضلاع كل ضلع منها
أربعمائة ذراع وستون ذراعا ويرتفع الى أن يكون سطحه ستة أذرع فى مثلها
ويقال انه كان على أعلاه حجر يشبه المكبة فرمته الرياح العواصف وهو مع هذا
العظم من الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى الآن
بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذا البناء ليس بين حجارته

ملاط ولا يتخلل بينهما الشعر وطول الحجر منه خمسة أذرع فى سمك ذراعين
ويقال ان بانيها جعل لها أبوابا على ازاج مبنية بالحجارة فى الارض طول كل أزج
عشرون ذراعا كل باب من حجر واحد يدور بلولب اذا طبق لم يعلم انه باب
والازج الشرقى فى ناحية الجنوب والازج الغربى فى ناحية المغرب يدخل من
كل باب منها الى سبعة بيوت كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب
السبعة وكلها مقفلة بأقفال وحذاء كل بيت صنم من ذهب مجوف احدى يديه
على فيه وفى جبهته كتابة بالقلم المسند اذا قرئت انفتح فوه فيوجد فيه مفتاح ذلك
القفل فيفتح به والقبط تزعم أنها والهرم الصغير الملون قبور فالهرم الشرقى
فيه سوندير الملك والهرم الغربى فيه أخوه هرجيب والهرم الملون قبر صاب
ابن هرمس واليه ينسبون على قول من زعم ذلك وهم يحجون اليها ويذبحون
عندها الديكة ويزعمون أنهم يعرفون عند اضطرابها عند الذبح ما يريدون به من
الامور المغيبة ولم تزل همم الملوك قاصرة عن أن تعرف ما هذين الهرمين الى أن
ولى المأمون وورد مصر أمر بفتح واحد منها ففتح بعد عناء طويل وأنفق بسعادته
المعينة له على تحصيل غرضه الى أن فتح مكانا يسلك منه الى الغرض المطلوب
وهو زلاقة ضيقة من الحجارة الصوان المانع الذى لا يعمل فيه الحديد بين حاجزين
ملتصقين فى الحائط قد نقرا فى الزلاقة لئلا تزلق وأسفل الزلاقة بئر عظيمة بعيدة
القعر ويقال ان أسفل البئر ابوابا يدخل منه الى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع
وعجائب وانتهى بهم الطريق الى مواضع مربع فى وسطه حوض من رخام
مغطى فلما أزيل عنه غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية قد أتت عليه العصور
الخاليه فأمر المأمون بالكف عما سواه (رأى بعض الفضلاء) هذه الاهرام
فقال كل بناء أخاف عليه من الدهر الا هذا البناء فانى أخاف على الدهر منه
(ومما قيل فيه من الشعر) قول الفقيه عمارة اليمنى

خليلى ما تحت السماء أبنية * تماثل فى اتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وبالقرب من الاهرام صنم على صورة وجه انسان تسميه العامة أبو الهول لعظمه
ويقال ان اسمه بالقبطية بلهونه ويقال بلهيب وتزعم القبط أنه طلسم للرمل
لئلا يغلب على أرض الجزيرة وعنده أحقاف من الرمال كأنها الجبال مما يلى

الطين

الطين الابليز (ومن العجائب منارة اسكندرية) وهى مبنية بحجارة مهندسة
مضببة بالرصاص على قناطر من زجاج والقناطر على ظهر سرطان من نحاس فيها
نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى سائر البيوت من داخلها وللبيوت
طاقات ينظر منها الى البحر وبين أهل التاريخ خلاف فيمن بناها فزعم قوم أنها
من بناء الاسكندر بن فيلبس المقدونى وزعم آخرون أنها من بناء دلوكاء ملكة
مصر ويقال انه كان على جانبه الشرقى كتابة وأنها نقلت فوجدت بنت هذه
المنظرة قرتباء بنت مرسوس اليونانية لترصد الكواكب ويقال ان طولها
كان ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد أشار بسبابته
اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك يدور معها حيثما دارت ومنها تمثال
وجهه الى البحر متى صار العدو منهم على نحو من ليلة سمع له صوت هائل
تعلم به أهل المدينة طروق العدو ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة
صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة يرى منها قسطنطينية
وبينهما عرض البحر وكلما جهز الروم جيشا رؤى فيها (وحكى المسعودى) ان
هذه المنارة كانت فى وسط الاسكندرية وانها تعد من بنيان العالم العجيب
بناها بعض البطالمة من ملوك اليونان بعد الاسكندر بقلما كان بينهم وبين
الروم من الحروب فى البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا فى أعاليها مرآة
من الاحجار المشفة فيكشف بها مراكب العدو اذا أقبلت من رومية على مسافة
تعجز الابصار عن ادراكها فاحتال ملك الروم لما انتفع به المسلمون فى مثل ذلك
على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ خواصه ومعه جماعة الى بعض ثغور الشام على
أنه راغب فى الاسلام وأخرج كنوزا ودفائن كانت فى الشام مما جله على أن
صدقه أن تحت المنارة أموالا وأسلحة دفنها الاسكندر فجهز معه جماعة الى
الاسكندرية فهدم ثلث المنارة وأزال المرآة ثم فطن الناس انها مكيدة منه
واستشعر ذلك فهرب فى مركب كانت له معدة ثم بنى ما هدم بالجص والآجر ثم
قال المسعودى وطول هذه المنارة اليوم فى هذا الوقت الذى وضع فيه هذا
الكتاب وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحو
من أربعمائة ذراع وبناؤها فى عصرنا ثلاثة أشكال فقريب من الثلث مربع
مبنى بحجارة بيض ثم بعد ذلك مثمن الشكل مبنى بالآجر والجص نحو نيف وستين

ذراعا وأعلاها مدوّر الشكل وكان أحمد بن طولون قد بنى فى أعلاها قبة من الخشب ثم هدمت وبنى مكانها مسجدا فى أيام الملك الكامل صاحب مصر ثم ان وجهها البحرى تداعى وكاد أن ينقض فرمم وأصلح وكذلك الرصيف وذلك فى أيام الملك الظاهر بيبرس رحمه الله (قلت) ذكرت هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ومن خطه نقلت المرحوم الوزير فخر الدين بن مكانس فى صاحبه الشيخ سراج الدين القوصى السكندرى يداعبه

يا ذا السراج اشترى ابرى فأنت به * أولى وذلك للأمر الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام منتصبا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا المقر الجدى فضل الله ولد المرحوم المشار اليه أولا أدام الله نعمته محاجيا وكتب بها الى سيدنا ومولانا أوحد المتكلمين نادرة الدهر المقر الاشرف الامينى كاتب الاسرار الشريفة بدمشق المحروسة أسبغ الله ظلاله

يا من سمى قدره نحو النجوم علا * فأوقع الضد قسرا فى مهالكه
ما بلدة ان تحاجى فى اسمها فطنا * مصحفا قلت يشكو مكر مالكه

(فكتب) اليه الجواب الجناب المشار اليه

أحجية بديعة أن صحفوا * خمسة أجزاء لها على قدر
وعكسوا باقيها وقدموا * فانما هى طفلة كقمر

(قلت) هذه الطريقة غريبة جدا ووجه الحل فيها أن يأتى بالمرادف ثم يصحفه فيكون المقصود ومثاله فى قول المقر الجدى يشكو مكر مالكه فان مرادف يشكو يبث ومرادف مكر كيد ومرادف مالكه ربه فيصير مجموع ذلك يبث كيد ربه فاذا صحفت هذه الكلمات تجدها اسكندرية وهى البلدة المعمى بها فافهمه وأما الثانية فقوله فانما هى طفلة كقمر فالمراد أن مرادف طفلة بنت ومرادف كقمر كبدر فيحصل من ذلك بنت كبدر ثم تضيف الى ذلك معكوس هى وهو يه فاذا صحفت ذلك جميعه وجدته سكندريه وهذا من المعمى الغريب ولم يحلها أحد من متأدبى دمشق والقاهرة غير سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى أعز الله أحكامه وذلك بتاريخ سنة ست وتسعين وسبعمائة وأنا بالقاهرة المحروسة (رجعنا) الى ما كنا بصدده ومما قيل فى المنارة

من

من الشعر قول الوجيه الدروى

وشامية الارجاء تهدى أخا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الأنس صافيا * فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد طلبتنى من ذراها بقية * ألاحظ فيها من صحابى أنجما
تخيلت أن البحر تحت غمامة * وانى قد خيمت فى كبد السما

(وللقاضى الفاضل) لوصفه لبناء بيت المقدس من الرخام الذى يطرد ماؤه ولا ينطرد لألاؤه قد لطف الحديد فى تجريعه وتفنن فى توسيعه الى أن صار الحديد الذى فيه بأس شديد كالذهب الذى فيه نعيم عتيد فما ترى الا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمد كالاشجار لها من النبت أوراق (وقال أبو عبادة البحترى) يصف قصرا بناه المتوكل بسر من رأى وسماه الكامل

غرف من مبادن فيه دنيا * يوجب الله فيه أجر الامام
شوقنا الى الجنان فزدنا * فى اجتناب الذنوب والآثام

(وله) يصف قصرا آخر بناه المتوكل وسماه الجعفرى

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن * ليتم الا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار أسست * فى خير مبدو للامام ومحضر
فى خير مشرفة حصاها لؤلؤ * مبيضة والليل ليس بمقمر
رفعت بمخترق الرياح وجاوزت * ظل الغمام الصيب المستعبر

وهذان القصران من جملة قصور بناها المتوكل وهى بركوانا والعروس والبركة والجوسق والمختار والغريب والبديع والصبيح والمليح والقصر والبرج والمتوكلية والقلايا (حكى المؤرخون) أنه أنفق فى بنائها مائتى ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم ومنها ذهب بصرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وعشرون ألف دينار وكان البرج من أحسنها وكانت فيه صور عظيمة من الذهب والفضة وبركة عظيمة غشى ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصفر سماه طوبى وبلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وستمائة ألف دينار (ومن المبانى العظيمة) جامع دمشق ذكر الشيخ عماد الدين بن

كثير في تاريخه البداية والنهاية وفي سنة ست وتسعين من الهجرة تكامل
بناء الجامع الاموي بدمشق المحروسة على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد
الملك بن مروان جزاه الله عن المسلمين خيرا وكان أصل موضع الجامع قديما
معبدا بنته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق وهم وضعوها
أول مابنيت وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وكانت أبواب دمشق
سبعة وهي القمر الذي في سماء الدنيا وعطارد في السماء الثانية والزهرة في
الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في
السابعة وكانوا قد صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلا لكوكب من
هذه الكواكب السبعة وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصدا لذلك
وكان لهم عند كل باب عيد في السنة وهؤلاء هم الذين وضعوا الارصاد
وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارناتها وبنوا دمشق
واختاروا لها هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين وصرفوه
أنهارا تجري الى الاماكن المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء اليها في أفنية
الدور وبنوا هذا المعبد وكانوا يصلون الى القطب الشمالي فكانت محاريبه
تجاه الشمال وبابه يفتح الى جهة القبلة خلف المحراب اليوم كما شاهدنا ذلك عيانا
وهو باب حسن من الحجارة المنحوتة وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة اليه
وكان غربي المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الاعمدة التي بباب البريد وشرقيه
قصر جيرون داران يكونان لمن تملك دمشق قديما ويقال انه كان مع المعبد ثلاث
دور عظيمة يحيط بالجميع سور واحد وهي دار المطبخ ودار الخيل ودار كانت
تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية (قال الحافظ بن عساكر) فيما حكاه عن
كتب بعض الاوائل انهم مكثوا يأخذون الطالع لبناء هذه الاماكن ثماني
عشرة سنة وقد حفروا أساس الجدران حتى أتاهم الوقت الذي طلع فيه
الكوكبان اللذان أرادوا وأن المسجد لا يخرب أبدا ولا يخلو من العبادة (قال
كعب الاحبار) وان هذه الدار اذا بنيت لا تخلو من أن تكون دارا التملك
والسلطنة قال الشيخ أما المعبد فلم يخل من العبادة قال كعب الاحبار
ولا يخلو حتى تقوم الساعة والمقصود ان اليونان استمروا على هذه الصفة التي
ذكرنا بدمشق مددا طويلة تزيد على أربعة آلاف سنة حتى أنه يقال ان أول من

بنى

بنى جدران هذا الجامع الاربعة هود عليه السلام وقد كان هود قبل ابراهيم
الخليل بمدة طويلة وقد ورد ابراهيم عليه السلام شمالي دمشق عند برزة وقاتل
قوما من أعدائه فظفر بهم وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة وهذا المكان المنسوب
اليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة وكانت دمشق اذ ذاك عامرة أهله
بمن فيها من اليونان وهم خصماء الخليل وقد ناظرهم الخليل في غير موضع في
عبادتهم الكواكب كما قررنا ذلك في التفسير وفي قصة ابراهيم الخليل عليه
السلام والمقصود ان اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق ويبنون فيها وفي
معاملاتها من حوران وغيرها البنايات الغريبة العجيبة حتى كان بعد المسيح
عليه السلام بمدة نحو من ثلثمائة سنة فتنصرت أهل الشام على يد قسطنطين بن
قسطنطين الذي بنى المدينة المشهورة في بلاد الروم وهو الذي وضع لهم القرابين
ووضعت بتاركة النصارى له دينا مخترعا مركبا من أصل دين النصرانية ممزوجا
بشيء من عبدة الاوثان وصلوا الى المشرق وزادوا في الصيام وأحلوا الخنزير
وعلموا أولادهم الامانة الكبيرة فيما يزعمون وهي في الحقيقة خيانة كبيرة
وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيناه وبنى لهم هذا الملك الذي تنسب اليه
الطائفة الملكية منهم كنائس كثيرة بدمشق وغيرها حتى يقال انه بنى في زمانه اثنى
عشر ألف كنيسة من ذلك كنيسة بنت نجم ومن ذلك قمامه بنتها أمه هيلانة
الفندقانية والمقصود أنهم حولوا بناء هذا المعبد الذي هو بدمشق معظما عند
اليونان فجعلوه كنيسة وبنوا له المذابح في شرقيه وسموها كنيسة مرتحيا ومنهم
من يقول كنيسة يوحنا وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة واستمروا
النصارى على دينهم هذا بدمشق وغيرها نحو من ثلثمائة حتى بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم وكان من شأنه صلوات الله عليه ماذكرنا بعضه في كتاب السيرة
وقد بعث صلوات الله عليه الى ملك الروم في زمانه وهو قيصر ذلك الوقت واسمه
هرقل يدعوه الى الله عز وجل فكان من مراجعته ومخاطبته لابي سفيان صخر
ابن حرب ما تقدم ثم بعث عليه السلام أمراءه الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي
طالب وعبد الله بن رواحة الى البلقاء نحو الشام فبعث الروم اليهم جيشا كثيرا
فقتلوا هؤلاء الثلاثة وجماعة ممن معهم فعزم عليه الصلاة والسلام على قتال
الروم ودخول الشام عام تبوك ثم رجع عليه الصلاة والسلام عامه ذلك لشدة الحر

وضعف الحال وضيقه على الناس ثم لما توفى صلى الله عليه وسلم بعث الصديق الجيوش قبل الشام والى العراق كما تقدم فى كتابنا هذا ولله الحمد والمنة ففتح الله على المسلمين الشام بكمالها ومن ذلك مدينة دمشق باعمالها * كتب أمير الجيوش اذذاك وهو أبو عبيدة وقيل خالد بن الوليد لهم كتاب أمان وأقروا أيدى النصارى على أربع عشرة كنيسة كما ذكرنا وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التى كانوا يسمونها كنيسة مرتحيا بحكم ان البلد فتحه خالد من الباب الشرقى بالسيف وأخذت النصارى الامان من أبو عبيدة وهو على باب الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف المسجد صلحا ونصفه الآخر عنوة فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقى فجعله أبو عبيدة مسجدا وكان قد صارت له امرة الشام فكان أول من صلى فى هذا المسجد أبو عبيدة رضى الله عنه ثم الصحابة بعده فى البقعة التى يقال لها محراب الصحابة ولكن لم يكن الجدار مفتوقا بمحراب محنى وانما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة والظاهر ان الوليد هو الذى فتق المحاريب فى الجدار القبلى وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاعلى الذى كان من جهة القبلة مكان المحراب الكبير اليوم فتنصرف النصارى الى جهة المغرب الى كنيستهم ويأخذون المسلمون يمنة الى مسجدهم ولا يستطيع النصارى ان يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربوا بناقوسهم اجلالا للصحابة ومهابة وخوفا وقد بنى معاوية رضى الله عنه فى أيامه على الشام دارا للامارة قبلى المسجد الذى كان للصحابة وبنى فيها قبة خضراء فعرفت الدار بكمالها بها فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا ثم لم يزل الامر كما ذكرنا من سنة أربع عشرة الى سنة ست وثمانين فى ذى القعدة منها وقد صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك فى شوال منها فعزم على أخذ بقية الكنيسة واضافتها الى ما بأيدى المسلمين منها وجعل الجميع مسجدا واحدا وذلك لتأذى بعض المسلمين بسماع قراءة النصارى الانجيل ورفع أصواتهم فى صلواتهم فأحب ان يبعدهم عن المسلمين ويضيف ذلك المكان الى هذا المسجد الجامع فطلب النصارى وسأل منهم ان يخرجوا له عن هذا المكان ويعوضهم منه اقطاعات كثيرة عرضها عليهم وان يقرلهم أربع كنائس لم تدخل فى العهدة وهى كنيسة مريم وكنيسة المصلبة داخل باب شرقى وكنيسة تل الجبن وكنيسة

حميد بن درة التى بدرب الصيقل فأبوا ذلك أشد الاباء فقال ائتونا بعهدكم الذى بأيديكم فأتوا بعهدهم الذى بأيديهم فى زمن الصحابة فقرئ بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التى خارج باب توما عند النهر لم تدخل فى العهدة وكانت فيما يقال اكبر من كنيسة مرتحيا فقال أنا أهدمها وأجعلها مسجدا فقالوا بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى بأخذ بقية هذه الكنيسة فأقرهم على تلك الكنائس وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة ويقال غير ذلك والله أعلم ثم أمر أمير المؤمنين باحضار الآلات للهدم واجتمع اليه الامراء والكبراء من رؤس الناس وجاءت أساقفة النصارى وقساقسهم فقالوا يا أمير المؤمنين انا نجد فى كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن فقال أنا أحب أن أجن فى الله والله لا يهدم فيها أحد قبلى ثم صعد المنارة الشرقية ذات الاضالع المعروفة بالساعات وكانت صومعة فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فاكبر الراهب ذلك قال فأخذ الوليد بقفاه ولم يزل يدفعه حتى أحدره منها ثم صعد الوليد على أعلا مكان فى الكنيسة فوق المذبح الاكبر منها الشاهد وأخذ أذيال قبائه وكان لونه أصفر سفرجليا فغرزها فى المنطقة ثم أخذ فأسا فى يده فضرب فى أعلاه حجرا فألقاه وتبادر الامراء الى الهدم وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون وقد اجتمعوا هنالك فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح الغسانى أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ففعل ذلك وأمر ناتبه على الخراج يزيد بن تميم بن حجر السلمى باحضار اليهود ليساعدوا فى هدم الكنيسة فجاؤا فكانوا كالفعلة ذكره الحافظ بن عساكر فى ترجمة يزيد بن تميم هذا فهدم المسلمون واليهود والوليد جميع ما جددته النصارى فى تربيع هذا المكان من المذابح والابنية والحنايا حتى بقى صرحة مربعة ثم شرع فى بنائه بفكرة جيدة على الصفة الحسنة الانيقة التى لم يشهر مثلها قبلها على ما نذكره ونشير اليه وقد استعمل الوليد فى بناء هذا المسجد خلقا كثيرا من الصناع والمهندسين والفعلة وكان المستحث على عمارته أخوه بعده وولى عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ويقال ان الوليد بعث الى ملك الروم يطلب منه صناعا فى الرخام وغير ذلك ليعمروا هذا المسجد على ما يريد وأرسل يتوعده لئن لم يفعل ليغزون بلاده بالجيوش وليخربن كل كنيسة فى بلاده حتى كنيسة

القدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم فبعث الملك صناعا كثيرة جدا وكتب اليه يقول له ان كان أبوه فهم هذا الذى تصنعه وتتركه فانه لوصمة عليك وان لم يكن فهمه وفهمته أنت فانه لوصمة عليك فلما وصل ذلك الى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك واجتمع الناس عنده وكان فيهم الفرزدق الشاعر فقال أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله قال وما هو ويحك قال قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جوابا لملك الروم ولما أراد الوليد بناء القبة التى فى وسط الرواقات عن يمينها وشمالها كالاجنحة لها حفروا لاركانها حتى وصلوا الى الماء وشربوا منه عذبا زلالا ثم انهم وضعوا فيه جوار الكرم وبنوا فوقه بالحجارة فلما ارتفعت الاركان بنوا عليها القبة فسقطت فقال الوليد لبعض المهندسين آمرك أن تبنى لى هذه القبة فقال على ان تعطينى عهد الله وميثاقه أن لا يبنيها أحد غيرى ففعل فبنى الاركان ثم غلفها بالبوارى وغاب سنة كاملة لا يدرى الوليد أين ذهب فلما كان بعد السنة حضر فهم الوليد به فأخذه ومعه رؤس الناس فكشف البوارى عن الاركان فاذا هى قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الارض فقال له من هذا أتيت ثم بناها فانعقدت وقال بعضهم أراد الوليد ان يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له المعمار انك لا تقدر على ذلك فضربه خمسين صوتا وقال ويلك أنا أعجز عن ذلك قال نعم قال فبين ذلك فأمر فأحضر من الذهب ما سبك منه لبنة فاذا هى قد دخلها ألوف من الذهب فقال يا أمير المؤمنين أنا أريد من هذا كذا وكذا ألف لبنة فان كان عندك ما يكفى ذلك عملناه فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق له خمسين دينارا ولما سقف الوليد الجامع جعل لسقفه جملونات وباطنها مسطح مقرنص بالذهب فقال له بعض أهله أتعبت الناس بعدك فى تطيين هذا المسجد كل عام فأمر الوليد أن يجمع ما فى بلاده من الرصاص ليجعل عوض الطين ويكون أخف على السقف فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الاقاليم فعازوا فاذا عند امرأة منه قناطير مقنطرة فساوموها فيه فأبت ان تبيعه الا بوزنه فضة فكتبوا الى أمير المؤمنين بذلك فقال اشتروه منها ولو بزنته فلما بدا لها ذلك قالت أما اذ قلتم ذلك فهو صدقة لله تعالى يكون فى سقف هذا المسجد فكتبوا على ألواحها بطابع لله ويقال انها كانت

اسرائيلية

اسرائيلية وانه كتب على الالواح التى أخذت منها الذى أعطتهم الاسرائيلية وقال محمد بن عائذ سمعت المشايخ يقولون ما تم المسجد بدمشق الا بأداء الامانة لقد كان يفضل عند الرجل من القرمة يعنون العملة الفلس ورأس المسمار فيجيء حتى يضعه فى الخزانة وقال بعض المشايخ بدمشق ليس بالجامع من الرخام شئ الا الرخامتان اللتان فى المقام من عرش بلقيس والباقى مرمر وقال بعضهم اشترى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين العامودين الاخضرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار وقال دحيم عن الوليد ابن مسلم حدثنا مروان بن جناح عن أبيه قال كان فى مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن مهاجر الانصارى أنهم حسبوا ما أنفق على الكرمة التى فى قبلة المسجد فاذا هو سبعون ألف دينار وقال أبو قصى أنفق فى مسجد دمشق أربعمائة صندوق فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار قلت وذلك خمسة آلاف ألف دينار وستمائة ألف دينار وفى رواية فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار (قلت) فعلى هذا يكون المصروف فى عمارة الجامع الاموى أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار والله أعلم قال أبو قصى وأتى الحرس الى الوليد بن عبد الملك فقالوا يا أمير المؤمنين ان الناس يقولون أنفق الوليد أموال بيت المال فى غير حقها فنودى فى الناس الصلاة جامعة فصعد المنبر وقال انه بلغنى عنكم كذا وكذا ثم قال عمرو بن مهاجر قم فأحضر أموال بيت المال فحملت على البغال وبسطت على الانطاع تحت القبة وفرغ عليها المال ذهبا وفضة حتى كان الرجل لا يرى الآخر من الجانب الآخر وجىء بالقبانيين وقبنت فاذا هى تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة وفى رواية ستة عشر سنة مستقبلة لو لم يدخل للناس فيه شئ بالكلية ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ثم قال الخليفة يا أهل دمشق انكم تفتخرون على الناس بأربع بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحببت ان أزيدكم خامسة وهى هذا الجامع فحمدوا الله وانصرفوا شاكرين وذكروا أن أرضه كانت مفصصة كلها والرخام فى جدرانه الى قامات وفوق ذلك كرمة عظيمة من ذهب وفوقها الفصوص المذهبة والخضر والحمر والزرق والبيض قد صوربها

منابر البلدان المشهورة الكعبة فوق المحراب وسائر الاقاليم يمنة و يسرة وما فى
البلدان من الاشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك وسقفه مقرنص بالذهب
والسلاسل المعلقة فيه من ذهب وفضة وأنوار الشمع فى أماكنه متفرقة قالوا
وكان فى محراب الصحابة منه حجر من بلور و يقال حجر من جوهر وهى الدرة
وكانت تسمى القليلة وكان اذا اطفئت القناديل تضىء لمن هنالك بنورها فلما كان
زمن الامين بن الرشيد وكان يحب البلور بعث الى سليمان والى شرطة دمشق ان
يبعث بها اليه فسرقها وسيرها الى الامين فلما ولى المأمون أرسل بها الى دمشق
ليشنع بذلك على الامين قال الحافظ بن عساكر ثم ذهبت بعد ذلك فجعل
مكانها برنية من زجاج وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل
مكانها شىء وكانت الابواب الشارعة من الداخل الى الصحن ليس عليها أغلاق
وانما عليها الستور مرخاة وكذلك الستور على سائر جدرانه الى حد الكرمة التى
فوقها الفصوص المذهبة ورؤس الاعمدة مطلية بالذهب الكثير وعملوا له
شرافات تحيط به وبنى الوليد المنارة الشمالية فيه التى يقال لها مأذنة العروس
فأما الشرقية والغربية فكانتا قبل ذلك بدهور متطاولة وقد كان فى كل
زاوية من هذا المعبد صومعة شاهقة جدا بنتها اليونان للرصد فسقطت وبقيت
القبليتان الى الآن وقد احترق بعض الشرقية بعد الاربعين وسبعمائة
ونقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى حيث اتهموا بحريقها فقامت على
أحسن الاشكال بيضاء بذاتها والله أعلم الشرقية التى ينزل عليها عيسى بن مريم
فى آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان
والمقصود أن الجامع الاموى لما اكتمل بناؤه لم يكن على وجه الارض أحسن
بناء منه ولا أبهى ولا أجل منه بحيث اذا نظر الناظر فى أى جهة منه أو الى بقعة
أو الى مكان منه تحير فيما ينظر اليه لحسنه جميعه وكانت فيه طلسمات من
أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شىء من الحشرات بالكلية لا من الحيات
ولا من العقارب ولا الخنافس ولا العناكب و يقال ولا العصافير أيضا تعشش
فيه ولا الحمام ولا شىء مما يتأذى به الناس واكثر هذه الطلسمات أوكلها
كانت مودعة فى سقف الجامع مما يلى السبع فاحترقت لما وقع فيه الحريق
وكان ذلك ليلة النصف من شعبان بعد العصر من سنة احدى وستين

وأربعمائة

وأربعمائة ومازال سليمان بن عبد الملك فى تكميله وزيادته مدة ولايته وجددت
له فيه المقصورة رحمه الله فلما ولى عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرد ما فيه
من الذهب و يقلع السلاسل والرخام والسقوف و يرد ذلك كله الى بيت
المال و يطين ذلك كله فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرافهم اليه وقال
خالد بن عبد الله القشيرى أنا أكلمه لكم فلما اجتمعوا قال خالد يا أمير المؤمنين
بلغنا أنك تريد أن تصنع كذا وكذا قال نعم قال خالد ليس ذلك لك يا أمير
المؤمنين قال ولم يا ابن الكافرة وكانت أمه نصرانية رومية فقال يا أمير المؤمنين
ان كانت كافرة فقد ولدت رجلا مؤمنا قال صدقت واستحيى عمر قال فلم قلت
ذلك قال يا أمير المؤمنين لان غالب ما فيه من الرخام انما حمله المسلمون من
أموالهم من سائر الاقاليم وليس هو من بيت المال فأطرق عمر رحمه الله قالوا
واتفق فى ذلك الزمان قدوم جماعة من الروم رسلا من عند ملكهم فلما دخلوا من
باب البريد وانتهوا الى الباب الكبير الذى تحت النسر فلما رأوا ذلك النور الباهر
والزخرفة التى لم يسمع بمثلها صعق كبيرهم مغشيا عليه فحملوه الى منزلهم فبقى
أياما مدنفا فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال ما كنت أظن ان تبنى
المسلمون مثل هذا البناء وكنت أعتقد ان مدتهم تكون أقصر من هذا فلما بلغ
ذلك عمر بن عبد العزيز قال وان هذا ليغيظ الكفار دعوه والمقصود أن
الجامع الاموى كان حين تكامل بناؤه ليس له فى الدنيا نظير فى حسنه وبهجته
قال الفرزدق أهل دمشق فى بلدهم قصر من قصور الجنة يعنى به الجامع الاموى
وقال أحمد بن أبى الحوارى عن الوليد بن أبى مسلم عن أبى ثوبان ما ينبغى أن يكون
أحد أشد تشوقا الى الجنة من أهل دمشق لما يرون من حسن مسجدها ولما
دخل المهدى أمير المؤمنين العباسى دمشق يريد زيارة بيت المقدس فنظر الى جامع
دمشق قال لكاتبه أبى عبد الله الاشعرى سبقنا بنو أمية بثلاثة بهذا المسجد
لا أعلم على ظهر الارض مثله وبنبل الموالى و بعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا
والله مثله أبدا ثم لما أتى بيت المقدس فنظر الى الصخرة وكان الوليد بن عبد
الملك بناها فقال لكاتبه وهذه أربعة أيضا ولما دخل المأمون دمشق نظر الى
جامعها وكان معه أخوه المعتصم وقاضيه يحيى بن أكثم قال ما أعجب ما فيه فقال
أخوه هذه الادهان التى فيه وقال بن أكثم الرخام وهذه العقد فقال المأمون

انما أعجب من بنيانه على غير مثال متقدم وقال المأمون لقاسم التمار أخبرني اسما حسنا أسمي به جاريتي هذه فقال سمها مسجد دمشق فانه أحسن من كل شئ وقال عبد الرحمن بن الحكيم عن الشافعي عجائب الدنيا خمسة أحدها منارتكم هذه يعني منارة ذي القرنين التي باسكندرية والثانية أصحاب الرقيم وهي بالروم اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا والثالثة مرآة بباب الاندلس على باب مدينتها يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الاتقان عليه والخامس من الرخام والفسيفسا فانه لا يدرى له موضع ويقال ان الرخام معجون والدليل على ذلك أنه مذوب على النار قال الحافظ بن عساكر وذكر ابراهيم بن أبي الليث الكاتب وكان قدم دمشق سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة في رسالة قال أمرنا بالانتقال الى البلد فانتقلت منه الى بلد تمت محاسنه ووافق ظاهره باطنه أزقته أرجه وشوارعه فرجه فحيثما مشيت شممت طيبا وأين سعيت رأيت منظرا عجيبا وأفضيت الى جامعه فشاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ولا الرائي أن يعرفه وجملته انه بكر الدهر ونادرة الوقت وأعجوبة الزمان وغريب الاوقات ولقد أيقنت بذكر لا يدرس وجليت به أمرا لا يخفى ولا يدرس

(ومما قيل في الساعات) قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر انما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لانه كان عمل هناك بلكار الساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست (قلت) هذا الكلام يدل على أحد شيئين أما ان الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع وهو باب يسمى بباب الزيادة اليوم ولكن قد قيل انه محدث بعد الجامع وهو لا ينفي ان الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زبر واما انه قد كان في الجانب الشرقي من الجامع في حائطه القبلي في باب آخر في محاذاة باب الزيادة وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله الى باب الوراقين اليوم وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم * وأما القبة التي في وسط الجامع التي فيها الماء الجاري ويقال لها قبة أبي نواس فكان بناؤها في سنة

تسع وستين وثلثمائة أرخه الحافظ بن عساكر عن خط بعض الدماشقة * وأما القبة الغربية التي في وسط الجامع التي يقال لها قبة عائشة فسمعت شيخنا أبا عبد الله الذهبي يقول انها بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن المنصور العباسي وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه * وأما القبة الشرقية التي على باب مشهد فقال بنيت على زمن الحاكم العبيدي في حدود سنة أربعمائة * وأما الفوارة التي تحت درج جيرون عملها الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسين العباسي الحسيني وكأنه كان ناظر الجامع وجر اليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع خلون من ربيع الاول سنة سبعة عشر وأربعمائة وعمل حولها قناطر وعقد عليها قبة ثم سقطت القبة بسبب جمال احتكت فيها وذلك في صفر من سنة سبع وخمسين وأربعمائة فأعيدت ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين ودار الحجارة في شوال سنة اثنين وستين وذكر ذلك كله الحافظ بن عساكر (قلت) وأما القصعة التي كانت في الفوارة فما زالت في وسطها وقد أدركتها كذلك ثم رفعت بعد ذلك وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها فلم تزل بها ثم لما انهدمت اللبادين بسبب حريق النصارى في سنة احدى وأربعين وسبعمائة استوثق بناء الطهارة على أحسن مما كانت وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر وعمل الشاذروان الذي هو شرقي الفوارة بعد الخمسمائة أظنه سنة أربع عشرة وخمسمائة

(فصل) وكان ابتداء عمارته في أواخر عام سنة ست وثمانين وهدمت الكنيسة في ذي القعدة منها فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء وتكامل في عشر سنين فكان في هذه السنة أعني سنة ست وتسعين ووضع العمودان اللذان في صحن الجامع لاجل التنوير في ليالي الجمع في شهر رمضان سنة احدى وأربعين وأربعمائة بأمر قاضي البلد أبي محمد فيما ذكره بنو عساكر في بعض تواريخهم نقلت هذه الترجمة في بناء جامع دمشق من تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير الذي سماه البداية والنهاية (ومن المستحسن مما قيل فيه) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

يا حسن ترخيم بجامع جلق * متناسب التركيب والتقسيم
بزيادة التحسين خالف قول من * قد قال ان النقص في الترخيم

(غيره)

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى فى الزيادة معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

(وقال بعضهم)

دمشق لها منظر رائق * وكل الى حسنها تائق
وكيف يقاس بها بلدة * أبى الله والمسجد الفارق

(قلت) أحسن منه قول من قال

انى أدل على دمشق وطيبها * من حسن وصفى بالدليل القاطع
جمعت جميع محاسن فى غيرها * والفرق بينهما بنفس الجامع

(وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطى)

دمشق فى الحسن لها منصب * عال وقدر فى الورى شائع
فحد من قاس بها غيرها * وقل له ذا الجامع المانع

(ذكر أبو الفرج الاصفهانى) قال حدثنى بذلك جماعة منهم أبو عثمان يحيى بن عمر قال قرأت فى بعض الدواوين ان المتوكل أنفق على أبنيته وقصوره والمسجد الجامع ومنتزهاته فى خلافته بسر من رأى وأعمالها من الاموال ما لا يعلم أن أحدا أنفق على بناء مثله ومبلغ ذلك من العين مائة ألف وخمسين ألف دينار ومن الدراهم مائتى ألف ألف وثلاثة وتسعون ألف ألف وخمسين ألف درهم من ذلك القلايا مائة ألف وخمسون ألف دينار العروس ثلاثون ألف درهم الشاة عشرون ألف درهم البرج ثلاثون ألف ألف درهم البركة ألفا ألف درهم الجوسق الابراهيمى ألفا ألف المختار خمسة آلاف ألف الجعفرى ثلاثة وعشرون ألف ألف البديع عشرة آلاف ألف المليح خمسة آلاف ألف الصبيح خمسة آلاف ألف التل خمسة آلاف ألف الجوسق فى الميدان خمسمائة ألف بركوازاء عشرون ألف ألف المسجد الجامع خمسة عشر ألف ألف الغراء بدجلة ألف ألف القصر بالمتوكلية خمسة عشر ألف ألف اؤلؤة خمسة آلاف ألف النهر بالمتوكلية خمسون ألف ألف وبنى المعتز بعد ذلك البيت المعروف بالكامل ولم أعرف مبلغ النفقة عليه وبنى المعتمد المعشوق والبيتين المعروفين بالغنج والبهيج (كتب الشيخ جمال الدين

ابن

ابن نباتة) الى الجناب القطبى بن شيخ السلامية يصف * يقبل الارض ويسال الله تعالى أن يديم أيام مولانا التى غفرت ذنوب الايام والليالى وعمرت الوجود بما سمع عن أهل العصور الخوالى وينهى أنه سطر هذه الخدمة وقد ترادفت عليه معانى الشكر فلم يدر ما يذكره ولا ما يحصيه ويحصره الى أن ألقى السلاح وغض الجناح وأنشد

تعالى عن المداح قدرك رتبة * فاقصارهم عن مدحه غاية المدح

هذا على أنه الآن فى نشوة سكره وذهول فكره باستجلاء هذه المنازل كل شمال فيها شمول لا بل الرياح الاربع على أرجائها قبول فهى الجنة وثناء مولانا مسكها الارج والهالة وأوصافه بدرها المبتلج والدنيا الا أنها المحسوبة من العيش النضر ومحله موسى وكل غصن من أغصانها الخضر ماشئت من صدحات مسجوعه وبيوت معمزره وسقف مرفوعه وثمرات كثمرات الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعه وعقود على أجياد القضب من الازاهير وسوق أشجار على نهر كأنه صرح ممرد من قوارير وكل دوحة تتخفر كما تتخفر العذراء ومرجة هى نفس اللذة بدليل أن النفس خضراء وجداول تتلوى فى الروض تلوى الاراقم فى الصعيد وأبكار وورد كما أشارت شفاه الملاح بالقبل من بعيد رواوين كأنما طارت الى الافق بأجنحتها وشبابيك كأنما أصابت القلوب من فتكات الهم بحديد أسلحتها وشرافات دلت على همة الامين ببانيها وعلت حتى كأن الثريا عقدت على تراقيها وتجرى ماء ترق بجهواتها القلوب الجافيه ولا عيب فيها الا النسيم الواشى والعين الصافيه قد مرج الله تعالى بهما البحرين يلتقيان وأخرج منهما فى أعطاف الغصون اللؤلؤ والمرجان ولو أخذ المملوك فى وصف المحاسن المبدعه والاصول المتفرعه لكاثر غصونها بأقلامه وأزهارها بنثاره ونظامه ولا بلغ معشارها ولا حدث بأخبارها ولكن ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا لجعلها الله أول منازل نعيم مولانا المستمر وعمر بيقائه أرجاها التى ينعم الامل ويعتمر بمنه وكرمه

(صلاح الدين الصفدى) مضمنا

يقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهى البديع المشيد
جرى للتهانى حسنه كل جامع * وما قصبات السبق الا لمعبد

ابن سناء الملك من قصيدة صلاحية

كل القلاع تروم السحب فى صعد * الا العواصم تبغى السحب فى صبب
لو رامها النجم لم يظفر ببغيته * ولو رماها بقوس الافق لم يصب
ملقى اذا عطشت والبرق أرسية * كواكب الدلو فى بئر من السحب
جليسة النجم فى أعلا مراتبه * وطالما غاب عنها وهى لم تغب

(شهاب الدين بن حجر)

أهوى الجلوس بمقعد الصدق الذى * فرشت به بسط الزهور وزخرفا
حفت به أيدى السعود وابصرت * عينى به طير المسرة رفرفا

ذكر أبو عبد الله بكر بن عياش كاتب المنصور أبي يوسف يعقوب قال كان لابى بكر محمد بن مجبر وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف المنصور فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوها اياه فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجرئته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشد قصيدته التى أولها

أعلمتنى ألقى عصا التسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكأنها سور من الاسوار
وتكون طورا عنهم مخبية * فكأنها ستر من الاستار
وكأنها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * فى قومة قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات بالاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها والتفت الى الجراوى وكان يعلم قلة تسليمه لابى بكر وكثرة غضبه منه فقال سلم له الحجر ثم أنشده اذا لم تستطع شيئا فدعه قال أبو عبد الله بن عياش فخرج أبو بكر بن مجبر والشعراء يومئذ يلومونه ان لم تكن أول منشد حتى لا تخفى أشعارهم وتستر أعوارهم (السيد الفاضل

الفاضل شمس الدين) ابن الصاحب موفق الدين على الآمدى

وحصين قد أناف برأس هضب * منيف ذاهب فى الجو سامى
تنفس فى مرآة الافق حتى * كساه ولادها صدأ الغمام

(محيي الدين بن عبد الظاهر) يصف الجامع الاموى فى ليلة نصف شعبان وايقاده حيث لا تلمع الاعين مصباحا وتود أنها لا ترى لتلك الليالى صباحا اذ تمنطقت أركانه من اللهب بمناطق الذهب وبدت أشعتها فى صفائه كما يبدوا فى الكأس وحاشاه الحبب لاسيما فى ليلة النصف التى كم رفرف عليها النعيم وكم خدمها الامن النسيم

كم للناس فيها لاح بدر * يروق العين منظره الوسيم
بداو بدا الوقود فقلت بدر * تخدمته ترجلت النجوم

كم أضاء بوجهه ديجور وكم انعكست أشعة تلك الاضواء على وجهه المنير فكانت نورا على نور

فى خده للورى ربيع * ونصف شعبان فى فؤادى

أو كما قال الآخر

وحلت مناطق خصره فكأنه * شعبان كل حلاوة فى نصفه

من كلام الاخ الحبيب أبي بكر بن حجة وأومت بعد ذلك الى الجامع الاموى فاذا هو لأشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت باذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات الشحريه وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت تلك الشذور الذهبيه وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زهى بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك فاز من وقف فى خدمته خاشعا وشقى من لم يدس بساطه ويأتيه طائعا ومن الكلام الفاضلى قلعة تحسر العيون ان تنقضاها ويتوعر الامل أن يترقاها قد ضربت فوق الخيل جرانها وابست لقبة النجوم ويحق فانها ما برحت جيرانها وتطلعت للناظرين سحابة الا أنها عزت أن تكون السماء عنانها

(الباب الثامن والاربعون فى الحنين الى الاوطان وتذكر من بها من القطان)

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع صوتا فارتاع فقيل له فى ذلك فقال ظننت ان ساكنا أزعج من منزله وجاء أيضا حب الوطن من الايمان وقال ابن عباس رضى الله عنهما لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم مااشتكى أحد الرزق وكانت العرب اذا سافرت أخذت معها من تربة بلادها تستنشق ريحها وتطرحه فى الماء اذا شربته وهكذا كان المتفلسف من البرامكة اذا سافر أخذ معه من تربة مولده فى جراب يتداوى به ولما غزا اسفنديار بلاد الخزر اعتل بها فقيل له ما تشتهى قال شربة من دجلة وشميما من تراب اصطخر فأتى بعد أيام بماء وقبضة من تراب وقيل له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنقه من علته (القاضى الفاضل)

بالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا

(قال الاصمعى)

ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك أن تكون جميلا

دخلت البادية فنزلت على بعض الاعراب فقلت أفدنى فقال اذا شئت ان تعرف وفاء الرجل وحسن عهده وكرم أخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه (ولما أشرف الاسكندر على الموت) أوصى أن يحمل فى تابوت ذهب الى بلد الروم حبا فى وطنه ولما أدركت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى أن يحمل الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك فرعون حمله الى مقابرهم فقبره عليه السلام بأرض المقدس وروى ان أبان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال له يا أبان كيف تركت مكة قال تركتهم وقد حيدوا وتركت الاذخر وقد أغدق وتركت الثمام وقد خاص فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لاعرابى أتشتاق الى وطنك قال كيف لا أشتاق الى رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها

وكنا

وكنا ألفناها ولم تك مألفا * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
كما تؤلف الارض التى لم يطب بها * هواء ولا ماء ولكنها وطن

(آخر)

طيب الهواء ببغداد يؤرقنى * شوقا اليها وان عاقت مقادير
فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور

ذكرت بهذين البيتين ما أنشدنيه من لفظه لنفسه الوزير العلامة فخر الدين ابن مكانس وهو من مخترعاته

ان الهواءين يا معشوق قد عبثا * بالروح والجسم فى سر وفى عان
فالروح تكفيك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فيك فنى

(وقال الشيخ بدر الدين الدمامينى)

أقول لمهجتى كم ذا ألاقى * من البلوى بظبى فيك قاسى
أذكره بأشجانى فينسى * فأفديه غزالا فى كناس

(أعرابى)

وتشكو الى الدار فرقة أهلها * وبى مثل ما بالدار من فرقة الاهل

(سليمان المحاربى)

اذا لم تكن ليلى بنجد تغيرت * بشاشة دنيا أهل نجد وطيبها

(آخر)

فما أحسن الدنيا وفى الدار خالد * وأقبحها لما تجهز غازيا

(ذو الرمة)

وقفت على ربع لمية ناقتى * فمازلت أبكى عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه * تكلمنى أحجاره وملاعبه

(بشار)

وقفت بها صحبى تطلب عراصها * بدمعى وأنفاسى براح وتمطر

(آخر)

منازل لم تنظر بها العين نظرة * فتقلع الا عن دموع سواكب

(البحترى)

أرى بين ملتف الاراك منازلا * موائل لو كانت مهاها موائلا

فكن مسعدا فيهن ان كنت عاذرا * وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

(الوائلى وهو أحسن ماقيل فيه)

سقيت ربوع الظاعنين فانه * غنى لك عن ما العيون الهواطل

(ولمؤلفه)

وقفنا بربع الحب والحب راحل * نحاول رجعاه لنا ونحاول
وألقت دموع العين فيه سائلا * لها من عبارات الغرام دلائل
اذا نفحة الاحباب منها تقسمت * تطيب بها أسحارنا والاصائل
تشير غرامى ساجعات غصونها * فنها على الحالين هاجت بلابل
مراتع الا فى مرابع لذتى * مطالع أقمارى بها او المنازل

(قال ابن حمديس الصقلى)

ذكرت صقلية والاسى * يهيج للقلب تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة * فانى أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا * حسبت دموعى أنهارها

(الكفيك) لما فارق بغداد

لهفى على بغداد من بلدة * كانت من الاسقام لى جنة
كأننى عند فراقى لها * آدم لما فارق الجنة

(القاضى عبد الوهاب المالكى)

سلام على بغداد منى تحية * وحق لها منى السلام المضاعف
لعمرك مافارقتها قاليا لها * وانى بشط جانبيها العارف
ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الاقدار ممن يساعف
فكانت كخل كنت أهوى دنوه * وتأتى به أخلاقه فيخالف

(وللعلامة) ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب عند فراقه للاندلس فى واقعته المشهورة

أموطنى الذى أزعجت عنه * ولم أرزى به مال ولادم
لئن أزعجت عنك بغير قصد قصد * فقبلى فارق الفردوس آدم

(وقال ابن الرومى)

بلد صحبت بها الشبيبة والصبى * ولبست ثوب العيش وهو جديد

فاذا

فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

(قال على بن عبد الكريم الصيبى) تأتى ابن الرومى بقصيدته التى مدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر وقال انصفنى وقل الحق أيما أحسن قولى فى الوطن

ولى وطن آليت أن لا ابيعه * وان لا أرى غيرى له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

(أم قول الاعرابى)

أحب بلاد الله مابين منعج * الى وسلمى ان يصوب غمامها
بلاد بها عشق الشباب تمائمى * وأول أرض مس جلدى ركامها

فقلت بل قولك لانه ذكر الوطن ومحبته وأنت ذكرت العلة فى ذلك (وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة) من رسالة كتبها الى السيد زين الدين عمر الجعفرى خطيب جامع التوبة بدمشق وينهى بعده الذى أضرم به من شوقه الشهابى ناره وأخلى من زكانه لجلية مطاره وتركه ملقى فى الصهريج كأنه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السياره فلابد والحالة هذه من آه على دمشق التى هى جنة من تاه وباهى وجيران جيرونها التى اغارداه لسان الحب سماها

فما قلت ايه بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبى آها

(غيره)

فياوطنى ان فاتنى بك سالف * من الدهر فلينعم لساكنك البال

أى والله طالما حن المملوك اليها وأنشد ودمعه كالمطر سلام الله يامطر عليها

مطر من العبرات خدى أرضه * حتى الصباح ومقلتى سماؤه

(وقال الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا) فسح الله فى أجله ونقلتهما من خطه

خليلى ان وافيتما الشام ضحوة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ عنى سلاما كتبته * بدمعى على مقرى ولا تنسيا سطرا

يكتب أبياتى الرائية

ياصاحبي اذا الثنايا أشرقت * ولحقتا منها ثغور أزاهر
استنشقا ذاك النسيم فانه * مما تحمل من شمائل هاجر

(وقال الشيخ شرف الدين بن عنين)

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وظلك يامقرى على ظليل
وهل أرنى بعد ماشطت النوى * ولى فى ذرى روض هناك مقيل
دمشق فبى شوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

(ولما خرج الرشيد) الى أخذ أخته علية معه فلما صارت بالمرج عملت شعرا وصاغت فيه لحنا من الرمل وكتبت الابيات ليلا على بعض الفساطيط فى طريق الرشيد فلما دخل الى مضرب الحرم بصربه فقرأه فاذا هو

ومغترب بالمرج يشكو شجوه * وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه * تنشق تستشفى برائحة القرب

فلما قرأه علم انه من فعل علية وانها قد اشتاقت الى العراق والى أهلها فأمر بردها (الوليد بن زيدون) يتشوق الى مكان يدعى بالزهراء وكان اجتماعه وولادة محبوبته

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ومرأى الروض قد راقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله * كأنه رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
لا أسكن الله قلبا عن تذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى * وافاكم بفتى أضناه ما لاقا
فالآن أحمد ما كنا بعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

(وقال الشيخ مهذب الدين أبو الفرج عبد الله بن أسعد الموصلى الشافعى الدهان) رحمه الله يتشوق الى دمشق المحروسة

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها
من كل أدهم صهال له شية * صفراء يسترها طورا ويبديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى أحشاء أرضيها

فا

فما قضى حبه قلبى لسربها * ولا قضى نحبه ودى لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها * ولا نسيت مبيتى جار جاريها
كأن أنهارها ماضى ظبا حشيت * خناجرا من لجين فى حواشيها
واها لها حين حلى الغيث عاطلها * مكللا واكتسى الاوراق عاريها
وحاك فى الارض صوب المزن مخمله * ينيرها بغواديه ويسديها
ديباجة لم تدع حسنا مفوقها * الا أتاه وما أبقى مواشيها
ترنو اليك بعين النور ضاحكة * اذ بات عين من الوسمى يبكيها
والدوح ربالها ريا قدا كتملت * شبابها حين ماشابت نواصيها
نشوى تغنى لها ورق الحمام على * أوراقها ويد الانواء تسقيها
صفا لها الشرب فاخضرت أسافلها * حتى صفا الظل فابيضت أعاليها
وصفق النهر والاغصان قد رقصت * فنقطته بدر من تراقيها
كأنما رقصها أوهى قلائدها * وخانها النظم فانثالت لآليها
وأعين الماء قد أجرت سواقيها * والاعين النجل قد جارت سواقيها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت * أقمارها فأجابتها قماريها
فللحاظ وللاسماع ما اقترحت * من وجه شادنها أو صوت شاديها
اذا العزيمة عن فرط الغرام ثنت * قلبا تثنى له غصن فيثنيها
ريم اذا جلبت حسنا لواحظه * للنفس حتى بخديه فيحييها
جناية طرفه المحور جانبها * وآس عارضه المخضر آسيها
تقبل الكأس خجلى كلما شرعت * فى ماء فيه فقاسته بما فيها
اشتاق عيشى بها قدما فتذكرنى * أيامى السود بيضا فى لياليها
ونحن فى جنة لاذاق ساكنها * بؤسا ولا عرفت بأساء غانيها
سماء دوح ترد الشمس صاغرة * عنا وتبدى نجوما من نواحيها
ترى النجوم بها من كل ناحية * ممدودة كنجوم الزهر أيديها
اذا الغصون هززناها لنيل جنى * صارت كواكبها حصبا أراضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة * كأنها جمر نار فى تلظيها
شهية الطعم تحلو اعند آكلها * بهية اللون تحلى عند رائيها
ياليت شعرى على بعداء ذاكرتى * عصابة لست طول الدهر ناسيها

عندى أحاديث وجد بعد بعدهم * أظل أجددها والعين ترويها
كم لى بها صاحب عندى له نعم * كثيرة وأياد لا أؤديها
فارقته غير مختار فصاحبنى * صبابة منه تخفينى وأخفيها
رضيت بالكتب بعد القرب فانقطعت * حتى رضيت سلاما فى حواشيها
ان يعلنى غير ذى فضل فلا عجب * يسمى على سابقات الخيل هاديها
والماء يعلوه أقذاؤه وهارجل * أخفى الكواكب نورا وهو عاليها
لو كان جد بحد ماتقدمنى * عصابة قصرت عنى مساعيها
مافى خمولى من عار على أدبى * بل ذاك عار على الدنيا ومافيها

(الاديب الفاضل الكامل صفوان بن ادريس المرسى) يتشوق الى مرسية وطنه

لعل رسول البرق يغتنم الاجرا * فينثر عنى ماء عبرته نثرا
معاملة أربو بها غير مذنب * فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقى من تدمير قطرا محببا * يقر بعين القطر ان يشرب القطرا
وتقرضه دون اللجين وانما * توفيه عينى من مدامعها تبرا
وماذاك تقصير به غير أنه * سجية ماء البحر أن يروى الزهرا
خليلى قوما فاحبسا طرق الصبا * مخافة ان يحمى بزفرتى الحرا
فان الصبا ريح على كريمة * بآية مايحرى من الجنة الصغرى
خليلى أعنى أرض مرسية المنى * ولولا توخى الصدق سميتها الكبرى
ووكرى الذى منه درجت فليتنى * فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا
وماروضة الخضراء قدمثلت بها * مجرتها نهرا وأنجمها زهرا
بأبهج منها والخليج مجرة * وقدفتحت أزهار ساحتها الزهرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا * وزهر الربى ولدت آدابى الغرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطرى * تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
وان نثرت ريح الصبا زهر الربى * تعلمت حل الشعر تسكبه نثرا
فوائد أشجار هناك اقتبستها * ولم أر روضا غيره يقرؤ السحرا
كأن هزيز الريح يمدح روضها * فتملأ فاها من أزاهيره درا
أيا رتعات الحسن هل فيك نظرة * من الجرف الاعلى الى السكة الغرا

فانظر

فانظر من هذى لتلك كأننى * أغير اذا غازلتها أختها الاخرى
هى الكاعب الحسناء تمم حسنها * وقدت لها أوراقها حللا خضرا
اذا خطبت أعطت دراهم زهرها * وماعادة الحسناء ان تنقد المهرا
وقامت بعرس الانس قينة أيكها * أغاريدها تسترقص الغصن النضرا
وقل فى خليج يلبس الحوت درعه * ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا ما بدا فيها الهلال رأيته * كصفحة سيف وسمها قبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شبهت متنه * بسطر لجين ضم من ذهب عشرا
وفى جرفى روض هناك تجافيا * لنهر يود الافق لو زاره فجرا
كأنهما خلان صفاً معا وقد * بكيا من رقة ذلك المرا
وكم بأبيات الحديد عشية * من الانس مافيه سوى انه مرا
ميانا كأن الدهر غض بحينها * فحلت بساط البرق أفراسها الشقرا
عليهن أجرى خيل دمعى بوجنتى * اذا ركبت حمراء باديتها الصفرا
أأهدى بالفرش المنعم دوحه * سقتك دموعى انها مزنة شكرا
فكم فيك من يوم أغر محجل * نقضت أمانيه فخليتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه * تود الثريا أن تكون لها نحرا
سقت أدمعى والقطر أيهما انبرى * بقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لوقصدت حقوقهم * لما فارقت عينى وجوههم الزهرا
ولو كنت أقضى حق نفسى ولم أكن * لما بت استحلى فراقهم المرا
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة * وهل تستجير العين أن تفقد السفرا
قضى الله ان تنأى بى الدار عنهم * أراد بذاك الله ان أعتب الدهر
ووالله لونلت المنى ماحمدتها * وماعادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبى ودونهم * مرام يجد الركب فى طيها شهرا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * ولا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولولا علاهماتهم لعنيتهم * ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبار البيد فى مهرق السرى * بحيث جعلت الليل فى ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة * وطرحا وتحميلا فأخرج لى صفرا
كأن زمانى حاسب متعسف * يطارحنى كسرا أما يحسن الجبرا

ولست وان طاشت سهامى بائس * فان مع العسر الذى لم يبق يسرا

(ولمؤلفه عفا الله عنه)

تذكرت أوطانى ويا حبذا الذكرى * لتلك القصور البيض والربوة الخضرا
وأشجار واديها وبهجة جنكها * وقد نقر الشحرور فى دفه نقرا
وتجعيد ذاك الماء وميل غصونه * فهذا به كسر وهذا به سكرى
وما أحسن الميعاد ممن تحبه * بقمعه الاسنى وليلته القمرا
اذا الناس فى هرج ومرج بلهوهم * وقلبى بمن أهواه فى بلدة أخرى
ترى كل حزب لاهيا بسروره * وكل له شغل به قد غدا مغرى
اذا أصبحوا هزوا الشمائل بالندا * فينظر منه فوق أعطافهم درا
كرام اذا ولوا وطار نداهم * وللبائس المسكين يبغى به الاجرا
فآه على تلك العشايا وطيبها * وآه على حلو الزمان الذى مرا
فيا عاشق المعشوق لا تبد سلوة * عن المزة الفيحاء والجبهة الغرا
اذا ازدرع اللوان واخضر أرضه * فلا تذكروا مصر ولا تذكروا الاهرا
ويا من يجارى أو يضاهى بغيرها * تأمل فذا الميدان دونك والشقرا
خليلى أحيا من ذكرت ومنزلى * بعيشكما قولا قفانبك من ذكرى

(ولمؤلفه أيضا) يرثى دمشق المظلومة ويصف ما حل بها من التيار فى سنة ثلاث وثمانمائة

أجريت جر الدمع من أجفانى * حزنا على الشقراء والميدان
وتلاعبت أهدابها بمدامعى * لعب الكماة بأرؤس الفرسان
وتوقدت نيران حزنى اذ رأت * تلك الربوع مواقد النيران
لهفى على تلك البروج وحسنها * حفت بهن طوارق الحدثان
لهفى على وادى دمشق ولطفه * وتبدل الغزلان بالثيران
نزلوا ظلال الدوح فلا تسل * ما حل بالاغصان والكثبان
سقطت غصون البان من قاماتها * لما سمعن نواعق الغربان
وشكا الحريق فؤادها المارأت * نور المنازل أبدلت بدخان
جناتها فى الماء منها أضرمت * فعجبت للجنات فى النيران
كانت معاصم نهرها فضية * والآن صرن كذائب العقيان

ماذاك

ماذاك الا ترك هم وجت بها * فتخضبت منها بأحمر قان
كرهت جدا ولها حوافر خيلهم * فتسابقت هربا كخيل رهان
خافت خدود الارض من أفعالهم * فتلثمت بعوارض الريحان
أذكيت نار الصدر يا ورقاؤها * وتأثرت بلواعج الاشجان
تبكى على غصن وأندب قامة * فجميعنا نبكى على الاغصان
واحسرتاه على دمشق وقولها * سبحان من بالمغل قد أبلان
عادانى الدهر الخؤون بمغله * والعجم منه وقبلهم غازانى
فعساك تأخذ ثارها من مغلهم * بالحل ثالث سبعة وثمان
لو عاينت عيناك جامع تنكز * والبركتين بحسنها الفتان
وتعطش المرحين من أورادها * وتهدم المحراب والايوان
لأتت جفونك بالدموع ملونا * دمعا حكى اللؤلؤ على المرجان
قطرات جفن ترجمت عن حرقتى * فكأنهن قلائد العقيان
أبنى أمية أين عين وليدكم * والمغل تقتل فى ذرى الاركان
شربوا الخمور بصحنه حتى انتشوا * ألقوا عرابدهم على النسوان
لم يرحموا طفلا بكى فقلوبهم * فى الفتك صخر لا أبو سفيان
قصوا جناح النسر بعد نهوضه * ياليته لو فاز بالطيران
ألواحه أجرت دموعى أسطرا * كتبت على اللوحين من أجفانى
ان أنكروا يوم الحساب فعالهم * فشهيدنا عثمان ذو القرآن
لهفى على كتب العلوم ودرسها * صارت معانيها بغير بيان
أعروسنا لك أسوة بحماتنا * فى ذا المصاب فأنتما أختان
غابت بدور الحسن عن هالاتها * فاستبدلت من عزها بهوان
ناحت نواعير الرياض لفقدهم * فكأنها الافلاك فى الدوران
شتتهم أيدى سبا يا دهرنا * وتلوت آى الجمع بالفرقان
حزنى على الشهباء قبل حماتنا * هو أول وهى المحل الثانى
لا تدع الاحزان يا شقراءنا * السبق للشهباء فى الاحزان
رتعت كلاب المغل فى غزلانها * وتحكمت فى الحور والولدان
لهفى على تلك الشعور وطولها * جرت بها الاعناق كالارسان

لهفى عليك محاسنا لهفى على * لك مرأئيا لهفى عليك مغانى
لهفى عليك منازلا ومنازها * ومقام فردوس وباب جنان
ان قال لحظى قال سيفى ضارب * أوقال طرفى قال حد سنان
أدمشق آهاتى عليك كثيرة * كالدمع فى جفن الكئيب العانى
حسراتها لاتنقضى من خاطرى * هى شغل أفكارى ونصب عيانى
لى أنة لى حرقة لى لهفة * لى حسرة لى لوعة وكفانى
أمنازل الاحباب كيف تبدلت * تلك الربى بمقاتل الفرسان
ان لم أسل ماء العيون مجاريا * ماء الغمام بها فما أجفانى
لاتنه جفن الصب فى جريانه * دعنى وشأنك ياغمام وشانى
العين والانسان قد فقدا معا * أبكيك ياعينى ويا انسانى
لم أدر من أبكى وأندب حسرة * للقصر للشرفين للميدان
للجبهة الغراء أم خلخالها * للمزة الفيحاء أم اللوان
لايهجر المشتاق عن تذكارها * ياجاحرى بالظلم والعدوان
شوقى بها قاتلى أقل لك منشدا * لك ان تشوقنى الى الاوطان
واذا أتيت بماجرى فى ربعها * فعلى أن أبكى بدمع قانى
ماكان أهنى العيش فى ساحاتها * والدار دارى والزمان زمانى
أسفى على أيامها لاتنقضى * ماكان أهناها وماأهنانى
أيام لاماء السرور مكدر * أرعى نضير العيش بل برعانى
ولقد وقفت على ربوع حبائبى * فتندبتهن نوادب الاحزان
ولقد وقفت على الديار مناديا * بلسان مغترب وعبرة عانى
يادار أين حبائبى فأجابنى * عنها الحريق بألسن النيران
حكم القضا فيهم ونفذ حكمه * فتشتتوا فرقا بكل مكان
يارب لم شتاتهم بمحمد * سر الوجود وبهجة الاكوان
ان لم نلذ فى أمرنا بجنابه * فبمن يلوذ ويستجير الجانى
أترى الاله مؤيدا سلطاننا * حتى أقول وعشت بالسلطان
يارب فعل الذنب أصل بلائنا * فاصفح وجد للذنب بالغفران
واغسل بماء الامن وجه رجائنا * واصرف بفضلك حاصر الطغيان

واجمع

واجمع على جسماننا أرواحها * ياجامع الارواح بالجسمان

(تقى الدين السروجى يقول)

وافى رضيع النبت من ذاك الحمى * نحيا تدور على الربى كاساته
سفح سفحت عليه دمعى فى ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته

وفى المثل لولا حب الوطن لخرب بلد السوء الكريم يحن الى جنابه كما يحن الاسد الى غابه (وماأرق قول مزار بن هباش الطائى)

سقى الله أطلالا بالية الحمى * وان كن قد أبدين للناس مابيا
منازل لو مرت بهن جنازتى * لقال صداها حاملا أنزلا بيا

(لسان الدين بن الخطيب)

ياجنة فارقت من غرفاتها * دار القرار بما اقتضته ذنوبى
أسفى على ماضاع من حظى بها * لاتنقضى زفراته ونحيبى
ان أشرقت شمس شرقت بعبرتى * وتفيض فى وقت الغروب غروب
حتى لقد علمت ساجعة الضحى * شجوى ونائحة الاصيل شجونى
وشهادة الاخلاص توجب رجعتى * لنعيمها من غير مس لغوب

(وله)

سلام على تلك المعاهد انها * مراتع الاوفى وعهد صحابى
ويا أنسة العهد أنعمى فلطالما * سكبت على مثواك ماء شبابى

(أنشدنى صاحبنا الاعز الشيخ محمد الاندلسى الخياط) رحمه الله تعالى قال أنشدنى الشيخ شمس الدين أبوعبد الله المشرقى رحمه الله

اشتاق للغرب وأصبو الى * معاهد فيها وعصر الصبا
ياصاحبى نحواى والليل قد * أرخى جلابيب الدجى وأحتبا
لاتعجبا من ناظر ساهد * بات يراعى أنجما غيبا
القلب فى آثارها طائر * لمارآها تقصد المغربا

(ورد على من سيدى وأخى الجناب الشهابى ابن حجر) أعزه الله تعالى كتاب من مكة المشرفة الى دمشق المحروسة وفى أثنائه من متجدداته

أسر غرامى من عزول وحاسد * فاعلان صبرى لايشابه أسرارى
بليت بمن لم يدر مقدار صبوتى * فوالهفى بعد الرحيل على الدارى

(نقلت) من كتاب فوات الوفيات تأليف صلاح الدين الكتبي في ترجمة طراد بن علي بن عبد العزيز أبي فراس السلمي الدمشقي الكاتب المعروف بالبديع مات متولي مصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة

يا نسيما هب مسكا عبقا * هذه أنفاس ريا جلقا
كف عني والهوى مازادني * برد أنفاسك الا حرقا
ليت شعري نقضوا أحبابنا * يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوقي نحوهم * عارضا من سحب عيني غدقا
وانثري عقد دموعي طالما * كان منظوما بأيام اللقا

واشتهرت هذه الابيات وغنى بها المغنون (قال بعضهم) مررت يوما بشوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة حمولها تفاح من الشام فعبقت روايح تلك الحمول فاكثرت التلفت وكانت أمامي امرأة سائرة ففطنت لما داخلني من الاعجاب الى تلك الرائحة فأومأت الي وقالت هذه أنفاس ريا جلقا (ونقلت) من مجموع بخط العلامة المؤرخ قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان تغمده الله برحمته قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصيل الخزاعي يا أصيل كيف تركت مكة قال تركتها وقد أحجن ثمامها وأمرسلمها وأغدق اذخرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع القلوب في أماكنها (تفسير ما فيه من الالفاظ الغريبة) أحجن الثمام اذا خرجت جمته وهي خوصه والثمام نبت ضعيف له خوص وأمر السلم اذا خرج والسلم شجر من الغضا الواحدة سلمة وأغدق الاذخر اذا ظهرت ثمرته والاذخر نبت (ونقلت من خط الحافظ اليغموري) كانت الامتعة الثمينة والذخائر النفيسة تأتي الى مصر وتباع ولا ينظر اليها يوسف عليه السلام واذا جاءت أجمال صوف من كنعان لاتصل الا بين يديه (مرض عمار بن عباد) حين ولي الرقة فما كاد ينجع فيه دواء فقال له طبيبه سببه الهواء فبعث الى بغداد فحمل الهواء في جرب فكان يفتح كل يوم في وجهه جراب الى أن برئ

(الباب التاسع والاربعون في دار سكنت كثيرة الحشرات قليلة الخير عديمة النبات)

(وأبلغ ماسمع فيها قول كمال الدين بن الاعمى)

دار

دار سكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات من حشراتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض مافيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها
و بنات تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن فاقه * قد قدمت فيه على أخواتها
و بها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ماطربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها
و بها من الخطاف ماهو معجز * أبصارنا عن حصر كيفياتها
تغشى العيون بمرها ومجيئها * ويصم سمع الخلد من أصواتها
و بها خنافيس تطير نهارها * مع ليلها اليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة * نزع الطهارة نحوها شوكاتها
شوكا تها فاقت على سمر القنا * في لونها وتمامها وثباتها
و بها من الجرذان ماقد قصرت * عنه العتاق الجرد في حملاتها
وترى أبا غزوان منها هاربا * وأبا الحصين يروغ عن طرقاتها
و بها خنافس كالطنافس أفرشت * في أرضها وعلت على شرفاتها
لوشم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها
و بنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
متراحم متراكب متقارب * مترا كم في الارض مثل نباتها
و بها قراد لا اندمال لجرحها * لا يفعل المشراط مثل أداتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها
و بها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لا يدخلون مساكنا بل يحطمو * ن جلودنا فالعفو من سطواتها
مارا عني شئ سوى وزغاتها * فنعوذ بالرحمن من نزغاتها
سجعت على أوكارها فتظنها * ورق الحمام سجعن في شجراتها
و بها زنابير تظن عقاربا * بالابر للمسموم من لدغاتها
و بها عقارب كالاقارب رتعا * فينا حمانا الله لدغ حماتها
فكأنما حيطانها كغرابل * أطلعن أرؤسهن من طاقاتها

كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
السم فى نفثاتها والمكر فى * لفتاتها والموت فى لفتاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت بيزاقاتها
ولقد رأينا فى الشتاء سماءها * والصيف لا ينفك من صعقاتها
فضجيجها كالرعد فى جناتها * وترابها كالوبل من خشياتها
واليوم عاكفة على أرجائها * والآل يلمع فى ثرى عرصاتها
والنار جزؤ من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
قدرمت من قبل ان يلقى لآدم أمنا حواء فى عرفاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على عتباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون فناءها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * تتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دارتبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتنذر باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين شو * قا للصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها
أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * أخراى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بن أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

(حكى الزمخشرى) فى ربيع الابرار أن رجلا من أهل الشام اطلع على جرد أخرج من جحره دنانير كثيرة فتركها وأخذ يلعب بها ثم أدخلها امكانها فقام الرجل وأخذ الدنانير فأقبل الجرذ يثب ويضرب بنفسه الارض حتى مات (وحكى الشريشى) فى شرح المقامات عن أبى محمد الحسن بن اسمعيل الضراب قال كنت قاعدا انسخ فى ضوء السراج وبين يدى قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة وأخذت لوزة ومضت ثم عادت أخرى فبددت الماء الذى فى القدح فعادت الفأرة فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلى ساعة فاذا قد جاءت فأرة أخرى فدارت حول القدح فسفسفت وبقيت ساعة على ذلك

والفأرة

والفأرة الاخرى تسفسف من داخل فلم تجد حيلة فى خلاصها فضت وأتت بدينار فوضعته ووقفت فلم أرفع القدح ففعلت ذلك الى أن أتت بسبع دنانير ووقفت ساعة فلم أخل عن الفأرة فضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنه لم يبق عندها شئ فخليت عنها (قال الغندجانى) رويت هذه الحكاية عن أشياخ ثقاة قيل ان الخصى من كل شئ أضعف من الفحل الا الجرذان فان الخصى يحدث فيه شجاعة وجراءة ولا بدع فى ذلك فان الجرذان الكبار لا تدع المرء وبنات عرس الا قتلتها فينبغى لمن فى منزله شئ منه أنه يصطاد منه ذكرا ويخصيه ويتركه فى البيت فانه يأتى على بقية الجرذان بأسرها (وذكر الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة) قال أخبرنى الشيخ شمس الدين بن خضر الدمشقى أحد كتاب المنسوب بدمشق سنة اثنين وخمسين وسبعمائة قال حللت مثقال ذهب لاجل الكتابة به فاتفق أنى نزلت من البيت وتركته فى الدواة بغير غطاء ثم رجعت الى البيت ونظرت فلم أر شيئا من الذهب فى الدواة فتعجبت غاية العجب فنظرت فاذا فار فى جانب البيت وعلى خرطومه أثر الذهب يلمع فعلمت أنه شربه فنصبت المصيدة وخرجت من البيت فما لبث أن وقع فيها فأخذت طاسة وجعلت فيها ماء وأمسكت بذنبه وجعلته يعوم فى الطاسة وكلما أراد الخروج رددته بذنبه الى أن شرب ماء كثيرا وكاد يموت فقبضت بذنبه ودليت رأسه الى أسفل فجعل يستقى من حلقه الذهب مختلطا بالماء الذى شربه الى أن لم يبق منه شئ فغسلت الذهب مرة ثانية ووزنته فلم ينقص غير قيراطين هكذا أخبرنى أو كما قال (وحكى الكواشى) فى تفسيره أن ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما ألقى فى النار جعل كل حيوان يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار * وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابراهيم (وذكر الزمخشرى) عن ابن عباس انه قال الوزغ بريد الشيطان يرسله ليفسد على الناس ملحهم ومن العجب ان الافعى لا ترد الماء ولا تريده واذا وجدت الخمر شربت منه حتى تسكر وكنية الافعوان أبو حيان وأبو يحيى لانه يعيش ألف سنة وأرض حمص لا تعيش فيها العقارب واذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لساعتها سمع غلام رجلا يقول أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع فقال ما أقل علمك بل لعمرى انها لتنفع اذا شق بطنها ثم شدت على

موضع اللسعة وتجعل فى جوف اناء فخار ويسد رأسه ويطين جانبه ويوضع فى التنور فاذا صار رمادا يشفى به من به الحصاة مقدار نصف دانق فتفتت الحصاة وتلسع الافعى فيموت (حكى) أن عقربا لسعت مفلوجا فذهب عنه الفالج * وشتم رجل الارضة فقال له بكر بن عبد الله المزنى مه فهى التى أكلت الصحيفة التى تعاقد المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها تيقنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين وقيل لها الاى شئ تأكلين كتب المشتغلين فقالت ما آكل الا كتب الذين لا يشتغلون وقال لقمان لابنه لا تكن الذرة أكيس منك تجمع فى صيفها الشتائها النملة تفلق الحب أنصافا لئلا تنبت فتفسد والكزبرة تفلقها أرباعا لانها من بين الحب ينبت نصفها اذا قربت العقرب من الولادة أكلت أولادها جلدها وخرقوه حتى يخرج وقد ماتت الام وقال الشاعر فى ذلك

وحاملة لا يكمل الدهر حملها * تموت وينمو حملها حين تعطب

لعاب الجراد سم لا يقع على شئ الا أحرقه خطب المأمون يوما فوقع الذباب على عينيه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى الظهر أحضر أبا الهذيل فقال له لم خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة فقال صدقت وأجازه بمال وقال الجاحظ فى منافع الذباب انه يحرق ويخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون ولذا ترى المواشط تستعمله وتأمرن به العرائس وما أحسن قول عنترة

وخلى الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعها * قدح المكب على الزناد الاجذم

قيل هذا من التشبيهات العقم وقال الجاحظ وجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض الا قول عنترة وخلى الذباب البيتين وزعموا أن رجلا من ولد حليمة ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصيد خلق الله وأحذقهم بالتدريب وبلغ من حذقه أنه ربى ذئبا يصطاد به الظباء والثعالب وسرق منه فرجع اليه من ثلاثين فرسخا وضرى أسدا حتى صار أهليا واصطاد به الحمر والبقر وعظام الوحش وضرّى الزنابير حتى اصطاد بها الذباب قال الجاحظ من من علم البعوضة أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاؤها وأنها متى

طعنت

طعنت فى ذلك الجلد الغليظ الصلب نفذ خرطومها مع ضعفه على غير معاناة ولو أنك طعنت بمسلة شديدة المتن لانكسرت (وقال التيفاشى) ومما جرّبه الناس كافة لاجل البق الصابون فانه اذا طلى به المواضع التى بها البق أى موضع كان من جدار أو سرير قتله ولم يعد اليه مادام أثر الصابون فيه قال صاحب الفلاحة النبطية اعلم أن القطران من أعظم شئ يكرهه النمل فمتى أردت أن لا يقرب النمل شيئا فخط حول ذلك خطا من القطران مدوّرا فان النمل لا يقربه وان طليت به حول جحرة النمل هربن صدق الحلزون اذا أحرق حتى يصير كلسا أبيض وذر على بيوت النمل هربن فان أقمن به متن جميعا وقال صاحب الفلاحة النبطية أيضا حجر المغناطيس الجاذب للحديد اذا وضع على باب أحجرة النمل لم يخرجن وهربن الى تخوم الارض قال وأهل بلادنا يجعلون فى وسط الكدس من الحنطة وغيرها من الحبوب من حجر المغناطيس وغيرها لئلا يدنو منه النمل قال واذا غطيت اناء فيه عسل أو غيره بصوف أبيض من كبش ولكن منفوشا لم يقربه النمل وكذلك اذا أدرت الصوف حول الاناء من أسفله لم يقرب به النمل القمح المسوّس اذا وضع فى بيت فيه بق فان السوس يأتى عليه بمجموعه ولا يدع منه بقة واحدة وهذا صحيح مجرّب والبنفسج اذا قطع قطعا صغارا وجعل عليه قليل عجين فان الفأر يأكله ولا تستطيع معدته أن تهضمه فيموت عن آخره وهذا مما جرب وصح عند معاشر الناس كافة (قال الشيخ شهاب الدين بن فضل الله)

وناموس له قرص أليم * نضوج له ومنه لنا نضوج
ومن عجب تراه العين أنا * مع الناموس يرتفع الضجيج

(وقال الشيخ ابراهيم المعمار فى البراغيث)

ان البراغيث اللئام * قسوا علىّ فقلت مالى
الا البخور لاختمرت * وقرصونى قلت أبالى

(ومن العجائب) ماذكره ابن بدرون فى شرح قصيدة بنى الافطس عند ذكر الواثق وجلالته وهيبته فانه يحكى من هيبتهم له انه لما ثقل فى علته التى مات فيها خيل اليهم فى بعض الاوقات وقد أغمى عليه انه قضى فدنا منه تركى يقال له ايتاخ ليعلم هل مات أم لا فلما دنا منه فتح عينيه ونظر الى ايتاخ فرجع القهقرى فانتشب طرف سيفه بالباب فاندق وسقط ايتاخ على قفاه لما نظره هيبة له

ورعبادا خله من نظره اليه فمن العجائب انه لم تمر ساعة من نظره الى ايتاخ الا وقد مات فأخذ وجعل فى بيت فما أقام به الا يسيرا فوجد وقد أخرجت الفارة عينيه فسبحان من لا يزول ملكه المنفرد بالبقاء لا اله الا هو العلى العظيم وعلى ذكر ابن بدرون فما أحسن قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

لك يا بدرون وجه * صار عنوان السعاده
لا تخف نقصا ومحقا * أنت بدر وزياده

(وقريب) من هذه الواقعة ماذكره الثعالبى فى لطائف المعارف انه لما جىء برأس مروان بن محمد الى عبد الله بن على أمر بعزله فجاءت هرة قلعت لسانه وجعلت تمضغه فقال عبد الله أو غيره لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان فى هذه لكفانا وكان مروان قد عرض بظهر الحيرة سبعين ألف عربى على سبعين ألف عربى ثم قال اذا انقطعت المدة لم تنفع العدة (نقلت) من الطالع السعيد فى فضلاء الصعيد تأليف العلامة المحدث البارع كمال الدين جعفر الادفوى فى ترجمة تاج الدين الدشناوى محمد القوصى مولدا ودارا ووفاة محنة الدهر وفريدة العصر فقيه عالم فاضل محدث أديب شاعر كريم الاخلاق طيب الاصول والاعراق فمن نظمه ملغزا فى نخلة

يامن اذا ماقاصد أمله * تمم له منه الذى أمله
ومن حوى الفضلين فضل الندى * وفضل علم للهدى حصله
ما اسم رشيق القد حلو الجنى * ذو فطنة ممزوجة بالبله
ألمى دقيق الخصر قد زانه * ردف له يهتز ما أثقله
أوانثنى يعزى لوادغدا * وارده مستعذبا منهله
حل به أسنى ملوك الورى * ومن غدا بالفضل والمعدله
ان قلت صف لى حسنه واقتصد * قلت محياك ما أجمله
أو قلت صف لى ملكه واقتصر * قلت أجل جل الذى كمله
أو قلت هل من مسترفد * قلت وللمسكين والارمله
تصحيف ما ألغزته مودع * فى النظم فافتح بالذكا مقفله
وعكسه أيضا بلغت المنى * مستودع فيه فما المسأله

(القول) فى طبائع الحيات وانما سميت حية لانها تحوت أى اجتمعت ويطلق على
الذكر

الذكر والانثى يقال حية ذكر وحية أنثى وهى أصناف كثيرة لا تحصى كما لا تحصى أصناف السمك (ذكرت) بقوله حية وهو ما أنشدنى انفسه من لفظه المقر المجدى فضل الله بن مكانس عفا الله عنه

عاذلتى بعد أن توفيت * فى النوم أبصرتها الشقيه
تلسعنى بالملام فيكم * كأنها فى الوجود حيه

(رجع) وشرها الافاعى ومسكنها الرمال والجبال ويضرب المثل بها بأفاعى سجستان ومن التهويل فى أمرها ما حكاه ابن شبرمة ان أفعى منها نهشت غلاما فى رجله فانصدعت جبهته ويحكى أن شبيب بن شبه دخل على المنصور فقال ياشبيب أدخلت سجستان فانه بلغنى أنها محواة أى كثيرة الحيات قال نعم يا أمير المؤمنين قد دخلتها قال فصف لى أفاعيها فقال هى دقاق الاعناق صغار الاذناب مقلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف قال أرسطو وليست الافعى من الحيوان الذى يلد حيوانا مثله وان خرج من بطنها اولادوانما ذلك لتكسر البيض فتلويها وتجمعها فى بطنها فيتوهم من رأى ذلك انها تلد وليس الامر كذلك ومن الافاعى ما يتسافد بأفواهها فاذا أعطى الذكر الانثى وقع كالمغشى عليه فتعمد الانثى الى موضع مذاكيره فتقطعها نهشا فيموت من ساعته فاذا بلغ بعضها لم يكن له مخرج لضيق مكان الولادة فيبقى فى بطنها حتى يجرح فيشقه ويخرجن وتموت الام من ساعتها فيكون طلبها للولد هلاكها وذكرها يسمى الافعوان يأتيها أيام الصراف فيصوت بها فتأتيه وبعض الحيات مستطيل أكدر اللون واخضر واسود وابيض وأرقط وفى بعضها غش وتخرج كل بيضة ثعبانا على لونها ولم يعرف السبب فى اختلاف ذلك وأماداخله فشئ أسمج من الصديد واقذر وهو فى جوفها منضد طولا على خط واحد وليس للحيات سفاد معروف تنتهى الى علمه وليس عند الناس فى ذلك الا الذى ترون من ملاقات الحيات والتوا كل واحدة منهما على صاحبه حتى كأنهما لو وح خيزران مفلوذ والحية مشقوقة اللسان ولذلك يظن بعض الناس ان لها لسانين وهى واسعة النحر ولها خطم وكذلك يفعل نابها ولو كان لرأس الحية عظم لكان أشد لعضها ولكن جلدا نطبق على عظمين مستطيلين وتوصف بالنهم والشره لانها تبتلع الفراخ من غير مضغ

كما يفعل الاسد ومن شأنها انها متى ابتلعت شيأ فيه عظم أتت شجرة أو حجرا شاخصا فتنطوى عليه انطواء شديدا فتحطم ذلك العظم حتى تصيره رفاتا ومن عادتها اذا نهشت انقلبت فيتوهم انها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس الامر كذلك وانما فى نابها عضل فاذا عضت استغرق ادخال الناب كله وهو أجن يشبه بالبيض فاذا انقلبت كان أسهل لخروجه وأسلس لنزعه وفى طبعها انها اذا لم تجد طعما تعيش بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع ولا تأكل الا لحم الشئ الحي وربما بقيت أربعة أشهر فى الشتاء صابرة على الجوع لا تغتذى بشئ ألبتة وهى اذا هرمت استقرت فى بيتها واقنعها النسيم ولم تشته الطعام ومن عجيب أمرها انها لا تطلب الماء ولا تريده لغلبة الارضية عليها ولهذا تصبر عن الغذاء المدة الطويلة لان حرارتها لا تسرع بتحليل مادتها لقلة الحرارة وغلظ المادة وهى لا تضبط نفسها على الشراب اذا شمته لما فى طبعها من الشوق اليه فهى اذا وجدته شربت منه حتى تسكر وربما كان السكر سبب حتفها لانها اذا سكرت خدرت والذكر من الحيات لا يقيم فى الموضع الواحد وربما تقيم الانثى على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على المكسب ثم تخرج سائرة فتى وجدت جحرا دخلته واثقة بان ذلك الساكن فيه بين أمرين اما ان يقيم فيه فيصير طعاما لها واما أن يهرب فيصير الجحر لها ولهذا يضرب المثل بها فى الظلم فيقال أظلم من الحية وعين الحية لا تدور فى رأسها وكذلك عين الجراد كأنها مسمار مضروب وعينها اما تنطبق وان قلعت عادت وكذلك نابها ان قلع عاد بعد ثلاثة أيام وكذلك ذنبها ان قطع عاد وفى طبعها أنها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتطلبها وتعجب بها وباللبن ومتى ضربت بالقصب الفارسى ماتت وان ضربت بسوط قد مسه عرق الخيل ماتت وهى طويلة الذماء والذماء بطؤ خروج الروح بعد القتل وذلك انها تذبح حتى تفرى أوداجها فتبقى أياما لا تموت ويقال انها لا تموت حتف أنفها الا ان تقتل أو تصاد وتبقى فى جؤن الحواثين تدلكها الايدى وتكره على الطعم فى غير أرضها الى أن تموت أو تحملها السيول فى الشتاء والزمهرير فتموت اذا ضررت والحية تسلخ فى كل عام قشرا عن جلدها فى أول الربيع والخريف وتبتدئ بالسلخ من عيونها ثم من رؤسها ويتم سلخها فى يوم وليلة واذا هرمت وعجزت عن سلخه أدخلت نفسها بين عودين أو فى صدع

ضيق

ضيق حتى ينسلخ ثم تأتى الى عين ماء فتنغمس فيه فيشتد بذلك لحمها ويعود الى قوته وشدته وليس فى الارض شئ مثل جسم الحية الا والحية أقوى منه بدنا اضعافا ومن قوتها انها اذا دخلت صدرها فى جحر أو صدع لم يستطع أقوى الناس وقد قبض على ذنبها بكلتى يديه ان يخرجها لشدة اعتمادها وتعاون أجزائها وليست بذات قوائم لها أظفار ومخالب أو اظلاف تتشبث بها وتعتمد عليها وربما انقطعت فى يد الجاذب لها وانما الشدة ففقر ظهرها فان لها ثلاثين ضلعا وذلك مشاهد فى صعودها وسعيها اخاف الرجل الشديد الحضر وعند هربها منه وهى برية وتعيش فى البر بعد ان يطول مكثها فى الماء وصارت مائية وأصنافها كثيرة جدا وهذا القدر كاف فى وصفها (القول على طبائع الفأر) يقولون جميع ما يقع عليه اسم الفأر فأر وهى أنواع فأر البيت والربات والخلد واليربوع وفأرة البيش وفأرة المسك فاما فأرة البيت فصنفان جرذان وفأر وهما كالجواميس والبقر والبخت والعراب والفأر من الحيوان الذى جمع حاستى الشم والبصر وليس فى الحيوان أفسد منه ليس يبقى على شئ جليل ولا حقير الا أهلكه وأتلفه ولا يقصر فعله عما فعلته ريح عاد ويكفيه ما يحكى عن سد مآرب ومن تدبيره فى الشئ يأكله ويحسوه وهو انه يأتى القارورة الضيقة الرأس فيحتال حتى يدخل طرف ذنبه فى عنقها وكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع فى القارورة شيأ ولقد حكى ان رجلا كان عنده جرة زيت فغاب عنها مدة ثم افتقدها فوجدها مملوءة حجارة وليس فيها من الزيت شئ فأدار فكره فى ذلك الى أن الفيران كشفوها وشربوا منها الى ان لم يبق ان تصل أفواهها الى الشراب فدلت أذنابها حتى لم تصل الى الزيت فألقوا الحجارة شيأ بعد شئ فكان الحجر اذا وقع فى الحق طفا الزيت حتى فنى ولقد أرانى بعض الاصحاب ظرفا من زجاج كان فيه فستق مقشور قد نقبته وأكلت ما فيه وكل البزور تأكل قلوبها وتترك قشورها وما أعجب من شئ كعجبى من نوى الخرنوب التى لا تقدر الاضراس على كسره وهى تنقبه وتأكل قلبه وكذلك تفعل بالقرطم مع ملاسته وفى طبعه النسيان فربما صيد مرات فيفلت ويعود وبه يضرب المثل فى السرقة والنسيان والحذر ويبلغ الفأر من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقوف فربما فاجأه السنور وهو يريد أن يعبر الى بيته والسنور فى الارض وهو فى السقف ولو شاء أن يدخل بيته لم يكن

للسنور عليه سبيل و يشير اليه السنور فى الارض بيساره كالقائل له ارجع فاذا رجع أومى اليه بيمينه كالقائل له عد فيعود وانما يطلب بذلك أن يعيى أو يزلق ولا يفعل به ذلك ثلاثة مرات الا ليسقط فيثب عليه (وحكى الجاحظ) ان ناسا أنكروا أن يخلق الفار فى أرحام اناثها من أصلاب ذكورها ولكن من بعض الارض كطينة القاطول فان أهلها يزعمون أنهم رأوا الفار لم يتم خلقه بعد وان عينيه فصان ثم ينقئان حتى يتم خلقها وتشتد حركتها ذكر الجاحظ ذلك على طريق الاستبعاد (قال صاحب المنهاج) وانما رأيت ذلك عيانا اتفق أنى سافرت من الفيوم فمررت بقرية تسمى صفط واذا بفيران قد نجوا من شقوق الارض كجراد منتشر كل واحد منها نصفه حيوان ونصفه الآخر طين لم تكمل خلقته وكذلك يتولد بمصر اذا انكشف ماء النيل عنها (القول فى طبائع العقرب) وهذا الحيوان أصناف منه الجرارة والطيارة وماله ذنب كالحربة وماله ذنب معقف وفيها السود والخضر والحمر والصفر والكمد وماله لون الرماد وما لونه لون اللهب وماله جناحان وأصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون العقرب مائية الطباع ومن ذوات الذرو كثرة الولد تشبه السمك والضب وعامة هذا النوع اذا حملت الانثى منه يكون حتفها فى ولادتها لان أولادها اذا استوى خلقها أكلت بطنها وخرجت فتموت والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول أخبرنى من أثق به انه رأى العقرب تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهى قدر القمل كثير العدد والعقرب شر ما يكون اذا كانت حبلى ولها ثمانية أرجل ولها أظلاف مثل أظلاف الثور وعيناها فى ظهرها وهى من الحيوان الذى لا تسبح ومن عجيب أمرها انها لا تلسع الميت ولا المغشى عليه ولا النائم الا أن يتحرك شئ من بدنه فانها عند ذلك تضربه وضربها له انما هو خوفا فهى تدفع بنفسها بضربها وهى تأوى الى الخنافس وتسالمها وتصادق من الحيات كل اسود سالخ وربما لسعت الافعى فتموت وفيها من يلسع بعضه بعضا فيموت الملسوع ومن شأنها اذا لسعت الانسان فرت فرار من يخاف العقاب (وقال الجاحظ) والعقارب تستخرج من موتها بالجراد لأنها حريصة على أكله تمسك الجرادة فى عود ثم تدخل بها فى مكانها فاذا عاينتها العقرب تعلقت بها ومتى أدخل الكراث اليها وأخرج تبعته وما معها من جنسها ونوعها وهى اذا خرجت من بخشها فى طلب المطعم يكون لها نشاط وعزم

تضرب

تضرب كلما لقيته من حيوان أو نبات أو جماد وربما ضربت الطست والقمقم فتخرقه وتسيل ماءه وربما نشبت فيه ابرتها وهذه الابرة منعوتة فيها السم والعقارب القاتلة تكون فى موضعين بشهرزور وعسكر مكرم وهى جرارات وهذه العقارب تلسع فتقتل وربما تناثر اللحم من لسعته أو تعفن لحمه واسترخى ولا يدنو منه أحد الا وهو يمسك أنفه مخافة أعدائه وهى فى غاية الصغر فان أكبر ما يوجد منها يكون قدر زنته دانقا واحدا والذى يوجد منها كبيرا يكون زنته ثلاث حبات وقد وزنت بشعيرة فرجحت الشعيرة عنها ذكر هذا صاحب كتاب النوار ومن ظرائف أمرها انها مع صغرها وقلتها ونزارتها تقتل الفيل والبعير بلسعها وبنصيبين عقارب قتالة يقال ان أصلها من شهرزور وان بعض الملوك حاصرها فأتى بالعقارب من شهرزور ورمى بها فى كيزان بالمجانيق الى البلد فأعطوا القوم بأيديهم وما أظرف قول من قال وقد واعد امرأة ليأتيها فلما خرج من عندها ضربته عقرب فى طريقه (فقال)

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابى
لا بارك الرحمن فيها عقربا * دبابة دبت الى دباب

وسمع خبره صاحب الدار فقال

ودار وأيام سكانها * تقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن ذنبهم * فان عقاربنا تضرب

(القول فى طبائع النمل) ذهب ابن أبى الاشعث انه لا يتزاوج ولا يتوالد ولا يتلاقح وانما يسقط منه شئ حقير فى الارض فينمو فيصير بيضا ثم يتكون فيه وهو من الحيوان المحتال يتفرق فى طلب المعاش فاذا وجد شيأ أنذر الباقين فيجيئن ويحملن وكل واحد يجتهد فى اصلاح العامة غير مختلس لشئ من الرزق دون صحبه ويقال انما يفعل ذلك رؤساؤها ومن تحيله فى الرزق انه ربما وضع بينه وبين ما يخاف عليه منه ما يحجزه عنه من ماء أو شعر فيتسلق فى الحائط ويمشى على جذع من السقف مسامتا لما حفظ ثم يلقى نفسه عليه وفى طبعه انه يحتكر زمن الصيف لزمن الشتاء وله فى الاحتكار من الحيل ما انه ما اذا احتكر ما يخاف نباته قسمه نصفين ما خلا الكسفرة فانه يقسمها أربعا لما ألهم ان كل نصف

منها ينبت واذا خاف العفن على الحب أخرجه الى ظاهر الارض ونشره وأكثر ما يفعل ذلك فى القمر ويقال ان حياته ليست من قبل ما كله ولا قوامه وذلك انه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ولكنه مقطوع نصفين وانما قوته اذا قطع الحب من استنشاق ريحه لا غير وذلك يغذوه ويكفيه وهو يشم ما ليس له ريح مما لو وضعه الانسان على أنفه لما وجد له ريحا والكلام عليها طويل وهذا القدر كاف (لبعض الشعراء) فى البراغيث والبق والبعوض

نومى على ظهر الفراش منغص * والليل فيه زيادة لا تنقص
من عاديات كالذئاب تداءبت * وسرت على عجل فلا تتربص
جعلت دمى خمرا تداوم شربها * مسترخصات منه ما لا يرخص
فترى البعوض مغنيا بربابة * والبق يشرب والبراغيث ترقص

(أبو عامر بن شهيد) يصفه اسود زنجى وأهلى وحشى ليس بوان ولا زميل وكأنه جن لا يتحرى من ليل وشونيزه أو نبتها غرره نقطة مداد أوسويداء قلب قراد شربه غب ومشيه وثب يسرى ليله ويكمن نهاره ولا يمنعه ستر يدرك بطعن مؤلم ويستحل دم كل مسلم مشاور للاساوده يجرذيله على الجبابره يتكفن بأرفع الثياب ويهتك ستر كل حجاب ولا يحفل ببواب يردمناهل العيش العذبه ويصل الاجراح الرطبه ولا يمنع منه أمير وهو أحقر من كل حقير سره مبثوث وعهده منكوث (نقلت من كتاب الامتاع والمؤانسه لابى حيان التوحيدى) ان نبات عرس انما تلقح من أفواهها وتلد من آذانها ومن عادة هذا الجنس انه يسرق ما وجد من حلى الذهب والفضة ويخبئه فى جحره وان وجد أيضا فى البيت حبوبا خلط بعضها ببعض (النمل) عمول مواظب فاذا جمع الحب قطعه كيلا ينبت اذا أصابه الندى والبلل ويخرجه ويبسطه عند فم الجحر حتى اذا يبس أدخله فمن جرب طبائع النمل أدرك علم زمان المطر والصحو ومن أراد أن يهلك النمل فليدق الكبريت والحريق ويذره فى جحره ولا يولد من تزاوج لكنه يخرج منه شئ صغير فيقع فى الارض فيصير بيضا ثم يتصور من البيض بالهيئة التى ترى (الخنافس) اذا شمت ريح الورد ماتت وأجنحتها مدمجة لاصقة بها (البق والبعوض) لا تناكح لهما وانما تستحيل من عين الماء ووسخه ونتنه ومن أخذ غصن العنب ووضعه تحت سريره لم يقربه بق ولا بعوض

ومن أراد أن لا يتأذى بالبراغيث فليحفر وسط البيت حفرة ويملأها بدم تيس فان البراغيث تجتمع هناك وان وضع فى الحفرة ورق دفلى ماتت البراغيث ثم ماذكره أبو حيان فى الامتاع ومنه قيل لذؤيب أتزعم انك مفلس لا تقدر على قرض ولا جمع ولا خفالة ويبتك عامر بالفار فقال على بن أبى عتيق الطلاق الثلاث ألبتة ان كان يمنعهم من التحول عنا الا انهم يسرقون أطعمة الناس ويأكلونها فى بيتى لأمنهم فيه لانه لا هرة هناك (وعلى ذكر الفار) فما أحسن قول الشيخ أحمد الموال الشهير بالفار أنشدنيها المرحوم الفخرى بن مكانس

قلبى صبا نحو بطحى رأيتو رق * لما رأى القاعد أخلاه وعليها دق
ومذ قطعها الصبى شقات قلت الحق * يافار نلت المنى اعبر لهذا الشق

يتأذى بمن ينبذه بهذا اللقب فاتفق حضورهما عند الامير قشتم نائب السلطنة الشريفة يسلمان عليه حين قدم من سفره فأحضرلهما مشمشا وباعلى العادة فمسك فخر الدين الاناء وقال ذكروا أن شراب الليمون فى الاسفار يسكن الدم اذا فار فاحتدمنه الفار وقال كذبت عن من نقلت هذا فقال عن الفارابى فكان الشاهد أنكى من الزائد (نقلت من تذكرة العلامة عز الدين الموصلى شيخنا) رحمه الله وفقا يوضع لفقد الذباب من البيت الذى يكون فيه وصورته ان يوضع يوم الخميس المعروف بخميس البيض قبل طلوع الشمس بعد صلاة الفجر ويكون واضعه قد صام أربعة أيام لا يفطر فيها على زفر ولا زهومة ثم يضعه على هذه الهيئة ويكون الوضع فى ورق لونه رصاصى تربيعا بالمسطرة محررا وهو هذا الوفق المبارك ان شاء الله تعالى

هلك	الذباب	باذن الملك	القاهر القدير
٨٧٥	٦٧٢	٥٦٢	٥٧٣
٦٧١	٨٧٣	٧٢٨	٥٧
٨٣٧	٥٨	٦٧	٨٧٣

(ناصر الدين بن النقيب)

ودار خراب بها قد نزلت ولكن نزلت الى السابعه
فلا فرق بين أنى أكون بها أو اكون على القارعه
فوالله ما نمت فى أرضها * ولا طلعت لى بها طالعه
ومفردت بالصفات القبا * ح وما هى الا لها جامعه
تشاورها هفوات النسيم فتصغى بلا أذن سامعه
اذا ما قرأت اذا زلزلت * بها خفت أن تقرى الواقعه
وأخشى بها ان أقيم الصلا * ة فتسجد حيطانها الراكعه

(قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ) أنشدنى الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمانى قال حضرت منزل الشيخ جمال الدين بن نباتة فرأيت فيه نملا كثيرا فقلت

مالى أرى منزل المولى الاديب به * نمل تجمع فى أرجائه زمرا
فقال لا تعجبن من نمل منزله * فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

(وعلى ذكر النمل) ذكرت ما نقلته من خط الوداعى ما صورته دب شخص شاهد عدل يقال له النميلة فعمل فيه عز الدين بن رواحة

عتبت على نميلة فى التعدى * وجراءته على ما لا يحل
وقلت مقال انكار عليه * تدب على العدول وأنت عدل
فقال لقد عتبت على ظلما * وهل للنمل غير الدب شغل

(من المجربات) اذا ظهر النمل فى موضع أن يقرؤ عشر مرات فى نفس واحد هم الغداء والعشاء طويل فانه يرحل باذن الله (السيد الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على الامدى فى الحية

وتخاله فى القيظ سوطا باليا * ملقى وفى كانون دملج معصم
وقد استدارت مقلتاه بحمرة * فيها تحاكى قطرتين من الدم

(وله فيه)

وهو حبل قل اذا ما امتد أو * مثل خيط النهر مهما اضطربا
سببا للموت وصالا به * وكذاك الحبل يدعى سببا

(من كتاب كتبه محيى الدين بن عبد الظاهر) الى القاضى كمال الدين بن العطار كاتب الدرج السعيد من منزله خربه اللصوص من كل صامد تزاحمت

به مدارج السيول وغصت به حلوق الوحول وغدا شجا فى صدور السهول قد جشت الاقطار وجوه صفاته وفتحت الايام والليالى ما لعله من حسن صفاته وأصبح مغاثرا فى طرق الزروع كم حصل منه لها أذى ومحاجر كم أطرفت عيون الارض منه على قذى كأن أسوده على الارض كاب يؤذى الابصار وكم خدّ به استدار منه له أوحش عذار كم تجمعت فلذة فكانت ظلمات بعضها فوق بعض وبنيت فى الفضاء فأحسن بها من نهود تهد وفى صدور الارض تروع المراعى فى المراعى وتسمع بها قعاقع سهام المنايا فتغدو اترا كيش للحيات والافاعى من كل أفعى تفترس افتراس الضيغم وتلس املاس الجدول وتنكمش انكماش السهم تفزع رائيها فى المنام واذا انقبضت صارت عروة واذا انبسطت فهى حزام كم جنات التراثب فى أنيابها وكم لعبت بالارواح بلعابها ذات ألوان كالدنيا بيننا تروق اذا هى نزوع ولين معاطف كالايام وكأنما استدار بها اشراك المرقوع قد غدت للخيام أطنابا عوض الاطناب واذا شاهد الاطباء علاماتها وامتدادها قالوا هذا الذى يقال له الموت من العلامات والاسباب كم قد نضجت العيون منها بأسود سالخ وكم أحرق سمها مهربا فى كوره لا حاجة بنار الموت وهو له نافخ ومن عجب أنها تمشى على بطنها ولا تأكل ما تفترس وتوقد فى الليالى المدلهمة عيونها نارا لا يجد عليها هدى طرق المقتبس (القاضى فتح الدين بن الشهيد)

أقول لنمل العذار التى * على الخد دبت قفى تحملى
حمت عسل الريق أحاظه * الى ابن نمل فلا تسلى

(بدر الدين يوسف الذهبى)

يا جمال الكتاب بل يا * حميد الذكر حقا ومن له العلياء
لى بيت صعب مجاريه الفكر وما ان تحمله البلغاء
ظاهر العيب لا عروض له * والضرب والقبض فى ذراه سواء
لا أراه من الخفيف فلم ذا * جاز فيه التشعيب والاقواء
للبراغيث فيه رقص وللبق * زمير وللذباب غناء
عامل لا أراك فيه وهذا * لك دليل ان ليس فيه بناء

(منقول من الموجز لابن نفيس) مما يطرد الهوام من البيت التبخير بأصل

الرمان وقضبانه وأصل السوس والقنة والقرون والاظلاف والحوافر والشعر والحلتيت وورق الغار وحبه ورماد الصنوبر وخصوصا صمغ القنة والشونيز والمركبات من هذه (الحيوانات التى تهرب منها الحشرات) اذا جعل فى البيت لغلغ أو طاوس أو قنفد أو ابن عرس فان الهوام تفزع منها وتهرب وان ظهرت قتلها وكذلك البيضايات والايائل (طرد الحيات) الكبريت والنوشادر بالخل يهرب بها والخردل يقتلها واذا وضع على مسكنها هربت منه (طرد العقارب) الفجل المشدوخ وعصارته اذا مسكت وورقه والباذروج وثفل الصائم والتبخر بالعقرب يهرب العقارب وكذلك الزرنيخ اذا وضع والفجل المقطع اذا وضع على جحرها لم يجسر على الخروج منه (طرد البراغيث) اذا رش البيت بطبيخ الحنظل أو نقوعه تماوتت البراغيث وتهاربت وكذلك العليق والخرنوب ودم التيس اذا جعل فى حفرة آوت اليه البراغيث وكذلك يجتمع على خشبة طليت بلحم القنفد وسيخ الكبريت والدفلى يهرب بها * وطرد البق والبعوض التدخين بنشارة خشب الصنوبر أو القلقندس أو بالشونيز أو بمجموعهما وهو أجود أو بالآس اليابس أو بالكبريت أو باخثاء البقر أو بالحرمل أو بورق السرو أو جوزه ورش البيت بطبيخ هذه أو بطبيخ الترمس أو الداب (طرد ابن عرس) يطردها ريح السداب (طرد الفار وقتلها) المرتك والحريق والبنج وأصل الفار وهى تتداوى بالسباحة فى الماء فان لم تجدها ماتت والتراب الهالك وخبث الحديد واذا سلخت الفأرة الذكر أو قطع ذنبها أو خصى وربط بخيط هرب الفار الباقى والسلخ أقوى (طرد النمل) دخان النمل نفسه يطرده ويهرب (طرد الذباب) يقتلها الزرنيخ وحده أو باللبن ودخانه ودخان الكندر وطبيخ الحريق الاسود (وطرد الزنابير) بخار الكبريت والثوم (طرد الخنافس) دخان الدلب وورقه (طرد الارضه) يطردها الهدهد اذا جعل فى البيت والتدخين بأعضائه وريشه (طرد السوس) الافشين والفوتنج وقشور الاترج وماء الحنظل الرطب (طرد سام أبرص) الزعفران اذا جعل منه فى البيت هرب

(الباب الخمسون فى وصف الجنان وما فيها من حور وولدان)

عن أبى سعيد الخدرى يرفعه ان الله جل ذكره احاط حائط الجنة لبنة من

ذهب

ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال تعالى طوبى لك منزل الملوك وقال زيد بن أرقم قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون قال نعم والذى نفسى بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب قال فان الذى يأكل تكون له الحاجة والجنة طيب لا خبث فيها قال عرق يفيض من أحدهم كرشح المسك فيضمر بطنه (دخل داود عليه السلام) غارا من غيران بيت المقدس فوجد حزقيل يعبد ربه وقد يبس جلده على عظمه فسلم عليه فقال أسمع صوت شبعان ناعم فمن أنت فقال داود قال الذى له كذا وكذا امرأة وكذا وكذا أمة قال نعم وأنت فى هذه الشدة قال ما أنا فى شدة ولا أنت فى نعمة حتى ندخل الجنة (قال مالك بن دينار) جنات النعيم بين جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل ومن يسكنها قال الذين هموا بالمعاصى فلما ذكروا عظمة الله راقبوه (وقال بعض العلماء) فى السدس الاخير من الليل تفتح أبواب الجنة الاترى أن أرواح الرياحين تفوح فى ذلك الوقت * جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال ذهبت المكارم الا من التقوى يا ابن أخى اشتريت بها دارا فى الجنة أشهدك أنى جعلتها فى سبيل الله (ولمؤلفه رحمه الله)

اذا رأيتم قبر خير الورى * والمنبر الزاهى واجلاله
بشراكم الجنة هنيتم * ومن يرى هذا فطوبى له

وأنا أبتهل بلسان التضرع والخضوع وأسأل لحظات الاعتراف والخشوع لمتصفحى كتابى هذا وأبوابه ومتأملى ألفاظه واعرابه الصفح عما يقفوا عليه من عثرات العبارات والمعانى والتجاوز عما وقع فيه من التقصير والتوانى فالمعترف بذنبه كمن لا ذنب له ومن لا يقبل العذر فالذنب له

من رام أن يقبل البارى معاذره * فليقبلن مسرعا ممن له اعتذار

وليقتد بقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم لا سيما مع استغراق زمان أنا بنكده منوط وليل ونهار أنا فيهما بطلب القوت مربوط واعزافى عجومة ظاهرة فى البيان وعجمة غالبة فى اللسان تمنع عن ادراك حقائق المرادات والجمع بين دقائق المعانى وحسن العبارات

والكنني مكره في ذلك لا بطل

فان لم يكن نظم القصائد شيمتي * وليس جدودي يعرب واياد
فقد تسجع الورقاء وهي حمامة * وقد تنطق الاوتار وهي جماد

ثم قل أن يخلص مصنف كتاب من الهفوة بل الهفوات وهيهات ثم هيهات ان ينجو الناظر أو المؤلف من العثرة بل العثرات خصوصا مع الممتحنين بل المتعنتين والحاسدين المغتابين ولكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب عثرة أخيه ليهتكه طلب الله عثرته فهتكه

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا * فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وأنا أقسم على جماعة متصفحيه أن يتأملوه وينظروا فيه بعين الرضا ويعبروا عنه بلسان الصفا والوفا فان تجد فيه بعيدا قربه أو خطأ أصلحه وصوبه

فان زل طرفي أو كبا فهو حلبة * يزل بها الطرف المطهم جاريا
فعفوا جميلا عن خطاي فانني * أقول كما قد قال من كان شاكيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

وبالله أستعين أولا وآخرا ظاهرا وباطنا والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

قد تم طبع كتاب الفاضل الاديب اللوذعي الاريب ابي علي البهائي الشهير بالغزولي في اليوم الرابع عشر من جمادى الثانية سنة ألف وثلثمائة من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه وهو كتاب يشتمل على وصف دار الملك وما يحتاج اليه من انشاء وشعر وطب ونعيم وعلم هيئة ونديم ومجلس شراب وما يليق به من آنية الراح وما تفتقر اليه دار الملك من خزائن السلاح والآنية والملابس وما يليق بها من الشعار كالمغارق المصفوفه والزرابي المبثوثه ولما كان قد تداولت عليه الاعصار والقرون وعن لعرائسه أن تتردى برداء المنون لما أنه لم يكن موجودا الا القليل من نسخه ولم يسبق أحد الى حوز فضله بطبعه بادرت مطبعة الوطن الى اقتناص ربعه

الشارده

الشارده ففازت بالرشف من أكواب رحيقه المسلسله والآن أن نقول قد فاح مسك ختامه واستنار في دجى الليل بدر ظلامه ولاح فجره وأسفر وروضه بحسن الختام أزهر بمطبعة الوطن البهيه الكائنة بمصر المحميه مصححا بالدقة على قدر الامكان والله المستعان وعليه التكلان

تم

(فهرست الجزء الثاني من كتاب مطالع البدور في منازل السرور للشيخ الاديب والفاضل الاريب علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي)

صحيفة

صحيفة

(تمت فهرست الجزء الثاني من مطالع البدور)

